جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الإِرجاف دراسةٌ قرآنيةٌ

إعداد

حمزة عبد الفتاح أحمد قاسم

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح في نابلس، فلسطين.

2015م

" الإِرجاف دراسةٌ قرآنيةٌ"

إعداد

حمزة عبد الفتاح أحمد قاسم

نوقشت هذه الاطروحة بتاريخ 9 / 3/ 2015م واجيزت .

أعضاء لجنة المناقشة:

التوقيع

- الدكتور محسن الخالدي / مشرفًا ورئيسًا .....
- الدكتور هارون كامل / ممتحنًا خارجيًّا .....
- الدكتور خالد علوان / ممتحنًا داخليًّا .....

إهداء

إلى والدَيَّ العزيزين _أمد الله في عمر الوالدة بالخير، ورحم الله الوالد، وجمعنا به في الفردوس الأعلى .

إلى زوجتي العزيزة (أم البراء) _التي ما بخلت عليَّ بوقتها و جَهدها و دعائها ونصائحها_، وأبنائي فلذات كبدي .

إلى المسلمين عامة والمجاهدين خاصة؛ فهم يحتاجون كل جهد منا في مواجهة الباطل ونشر تعاليم الدين الحنيف .

إلى الباحثين عن الحقيقة، أقدم لهم نموذجاً للبحث عن الحقِّ بتجرد .

شكر وتقدير

أشكرالله الكريم على منّه وفضله في إكمال الأطروحة، وأسأله سبحانه أن يتقبلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يجزيني على ما بذلته فيها خيراً في الدنيا والآخرة.

وأشكر أستاذي الدكتور_الفاضل_: محسن الخالدي _حفظه الله_، الذي ما فتئ يُغدق علينا من العلم النافع، والمنهج العلمي القويم، والصبر على الأخطاء، وتحمل الأعباء؛ فجزاه الله عنا خير الجزاء.

والشكر موصول إلى من تكرّم عليَّ وقَبِلَ النظر في أُطروحتي ومناقشتي فيها، وتتبع مواطن الزلل لتجنبها وتصحيحها، وأخصُّ بالذكر:

أستاذي الدكتور_الفاضل_: خالد خليل _حفظه الله_.

والأستاذ الدكتور_الفاضل_: هارون كامل _حفظه الله_.

وإلى كل من أسهم في استكمال أطروحتي هذه، وخاصة القائمين على الموسوعات العلمية والمكتبات المختلفة.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

"الإرجاف دراسة قرآنية"

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يُقدّم من قبل لنيل أية درجة علمية أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

unless otherwise referenced. Is the work provided in this thesis researcher's own work and has not been submitted from anywhere else for any other degree or qualification.

Student's name: اسم الطالب: حمزة عبد الفتاح أحمد حاج

Signature: التوقيع:

Date: التاريخ: ٢٠١٥/٢/١٩

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء.	**ت**
الشكر والتقدير.	**ث**
إقرار	**ج**
فهرس المحتويات.	**ح**
ملخص الرسالة بالعربية.	ر
مقدمة	**1**
الفصل الأول: (الإرجاف)، ودلالته في السياق القرآني.	**12**
المبحث الأول: حقيقة الإرجاف.	**13**
المطلب الأول: الإرجاف في اللغة.	**13**
المطلب الثاني: الإرجاف في الاصطلاح.	**14**
المبحث الثاني: الإرجاف في ضوء السياق القرآني.	**17**
المطلب الأول: عرض مادة (رجف) في القرآن الكريم ودلالتها في السياق القرآني.	**17**
المطلب الثاني: ملحوظات عامة ولطائف بلاغية وبيانية على مادة (رجف).	**18**
المبحث الثالث: المعاني التي لها صلة بالإرجاف.	**28**
المطلب الأول: الشائعات.	**28**
الفرع الأول: مفهوم الشائعة.	**28**
الفرع الثاني: ورودها في السياق القرآني.	**28**
الفرع الثالث: أشكال الشائعات.	**30**

المطلب الثاني: التثبيط.	33
الفرع الأول: التثبيط في اللغة والسياق القرآني.	33
الفرع الثاني: وسائل التثبيط.	35
المطلب الثالث: التخذيل.	40
الفرع الأول: مفهوم التخذيل وورود في السياق القرآني	40
الفرع الثاني: أشكال التخذيل.	41
المطلب الرابع: اللمز والهمز والنبز.	45
الفرع الأول: مفهوم اللمز والهمز والنبز في اللغة والسياق القرآني.	45
الفرع الثاني: أشكال اللمز والهمز والنبز.	48
المطلب الخامس: الإرهاب.	51
الفرع الأول: الإرهاب في اللغة والاصطلاح.	51
الفرع الثاني: مادة (رهب) في االسياق القرآني.	56
المطلب السادس: التعويق.	58
الفرع الأول: التعويق في اللغة والاصطلاح.	58
الفرع الثاني: مادة (عوق) في االسياق القرآني.	58
الفصل الثاني: ذكر المرجفين وبيان وسائلهم.	60
المبحث الأول: الشيطان.	61
المطلب الأول: بيان عداوة الشيطان لبني آدم.	61
الفرع الأول: التعريف بالشيطان.	61
الفرع الثاني: عداوة الشيطان لبني آدم.	64

المطلب الثاني: وسائل الشيطان وطرقه.	68
المبحث الثاني: الكفار، من قبل ومن بعد بعثته (صلى الله عليه وسلم).	79
المطلب الأول: وسائل الكفار في الإرجاف.	79
المطلب الثاني: أمثلة على إرجاف الكفار.	86
المبحث الثالث: أهل الكتاب.	90
المطلب الأول: علاقة أهل الكتاب بالمسلمين.	90
المطلب الثاني: وسائل إرجاف أهل الكتاب.	92
المطلب الثالث: أمثلة على إرجاف أهل الكتاب.	97
المبحث الرابع: المنافقون	106
المطلب الأول : معنى النفاق وأنواعه.	106
الفرع الأول: معنى النفاق.	106
أولا: النفاق في اللغة.	106
ثانيا: النفاق في الاصطلاح.	106
الفرع الثاني: أنواع النفاق.	107
المطلب الثاني: وسائل المنافقين في الإرجاف.	109
الفصل الثالث:الإرجاف بين الأمس واليوم.	121
المبحث الأول: الإرجاف الديني العقائدي	122
المطلب الأول: الدعوة إلى العلمانية، وفصل الدين عن الحياة	123
المطلب الثاني: الولاء للكافرين والبراء من المؤمنين	127
المطلب الثالث: جمعيات التنصير والتبشير وشراء الذمم	128

المطلب الرابع: التقريب بين الأديان والمذاهب الأخرى	130
المبحث الثاني: الإرجاف السياسي	132
المطلب الأول: السياسة في اللغة والاصطلاح	132
المطلب الثاني: أشكال الإرجاف السياسي	134
الشكل الأول: إلزام الناس بالنظام الديمقراطي	134
الشكل الثاني: الزَّجّ بالمخالفين في غياهب السجون	137
المبحث الثالث: الإرجاف الإعلامي	139
المطلب الأول: تهويل الأحداث وتضخيمها	139
المطلب الثاني: نشر الرذائل	141
المبحث الرابع: الإرجاف الاجتماعي	144
المطلب الأول: تقديم العادات والتقاليد _المخالفة للدين_ على الدين وتعاليمه	144
المطلب الثاني: تحرير المرأة	145
المبحث الخامس: الإرجاف العسكري	147
المطلب الأول: الإرجاف بأن قوة اليهود وأمريكا لا تقهر	147
المطلب الثاني: مَنْع المستضعفين في الأرض من الإعداد للجهاد	148
الفصل الرابع: أسباب الإرجاف وآثاره وطرق مكافحته	152
المبحث الأول: أسباب الإرجاف وآثاره	153
المطلب الأول: أسباب الإرجاف	153
المطلب الثاني: آثار الإرجاف	158
المبحث الثاني: طرق مكافحة الإرجاف	161

المطلب الأول: طرق القرآن وأساليبه في منع الإرجاف قبل حدوثه	161
المطلب الثاني: طرق القرآن وأساليبه في معالجة الإرجاف أثناء حدوثه وبعده	166
الخاتمة	175
فهرس الآيات	180
فهرس الأحاديث	191
قائمة المصادر والمراجع	193
الملخص	b

"الإرجاف دراسة قرآنية"

إعداد

حمزة عبد الفتاح أحمد قاسم

بإشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

اشتملت الرسالة على أربعة فصول وخاتمة وثلاثة فهارس على النحو الآتي:

الفصل الأول: وكان بعنوان: الإرجاف، ودلالته في السياق القرآني، حيث قام الباحث بالربط بين المعنى اللغوي للإرجاف وبين المعنى الاصطلاحي له، ثم ربطهما بالسياق القرآني، متوسعا فيه ليشمل الموضوعات التي تشترك مع الإرجاف في المعنى.

وأما الفصل الثاني؛ فكان بعنوان: ذكر المرجفين وبيان وسائلهم، حيث تتبع الباحث كلَّ من أرجف بأهل الحق منذ بداية الخليقة، حيث أرجف إبليسُ بآدم عليه السلام، وتبع إبليس في إرجافه أهل الكتاب والمشركون والمنافقون في العهد النبوي، وتم ربط الماضي بالحاضر من خلال ذكر المرجفين في عصرنا، مظهرا لمواقفهم التي أرجفوا فيها بأهل الحق.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: الإرجاف بين الأمس واليوم، حيث عالج الباحث فيه الأشكال الحديثة للإرجاف، سواء الديني أو السياسي أو الإعلامي أو الاجتماعي أو العسكري، حيث تم ربطها بالآيات الكريمة التي عالجت تلك الأشكال قديما.

أما الفصل الرابع فتحدث عن: أسباب الإرجاف وآثاره وطرق مكافحته، حيث استقرأ الباحث أسباب الإرجاف وآثاره ووسائل منعه ومكافحته، و بين أحكامه من خلال الآيات القرآنية الكريمة والمواقف المختلفة المتعلقة بها من سيرة حبيبنا صلى الله عليه وسلم.

وأخيرا الخاتمة، واشتملت على أهم النتائج والتوصيات ومن ثم ثلاثة فهارس، الأول للآيات الكريمة، والثاني للأحاديث الشريفة، والثالث للمصادر والمراجع.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد ﷺ، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وعلى آله وأصحابه المبرَّئين من الإرجاف والشرك والكفر والنفاق، الطيبين الطاهرين، وعلى من اتبعه بهديه إلى يوم الدين... أما بعد:

فقد شهد العالم منذ نشأته إلى عصرنا الحالي مواقف تحتاج منا إلى وقفات، نأخذ منها العبر والعظات، وبالرغم من تنوع واختلاف تلك المواقف، إلا أنها يجمعها الكيد لأهل الحق المخلصين في كل حين، ابتداءً من خلق آدم عليه السلام وإخراجه من الجنة بإرجاف إبليس _عليه من الله ما يستحق_، مروراً بالأنبياء الكرام ومقارعة أقوامهم لهم، وانتهاءً بخاتمهم وسيدهم حبيبنا المصطفى ﷺ_في صراعه مع المشركين والكافرين وأهل الكتاب والمنافقين _، وما أصابه أصاب أمته عليه الصلاة والسلام في عصرنا من قوى القهر والظلم العالمي، التي بات إرجافها هو الأعظم على مرِّ التاريخ.

إن الذي دفعني لخوض غمار هذا الموضوع: ازدياد الظلم والإرهاب العالمي على المستضعفين في الأرض، وتسمية الأمور بغير مسماها، حتى بات الحقُّ يُعرَّفُ على أنه باطل، والعكس صحيح تماما.

هذا ولعل الله تعالى أن يشرح صدور قوم كانوا قد ضلوا واغترُّوا بما يُروِّجه الغربُ من شعارات زائفة، ويعيدهم إلى عقولهم ومعرفة المرجفين من أعدائهم الذين يتربصون بالأمة الدوائر، ويرجعون كما كانوا قادة للأمم إلى ما فيه سعادة العالم، بعدما تكالب على الأمة أعداؤها؛ فنهشوا لحمها ولم يرحموها ولا أبناءها؛ فمعرفة العدو جزء مهم من العلاج للوهن الذي أصاب هذه الأمة.

وتناولت هذه الدراسة موضوع المرجفين بدراسة موضوعية استقرائية من القرآن العظيم، من لدن آدم عليه السلام إلى واقعنا المعاصر، متتبعاً المرجفين _قدر استطاعتي وما تمليه طبيعة

البحث_، وذلك ببيان أساليبهم وأنواع إرجافهم، والمواقف التي ظهر فيها كيدُهم، وغاياتهم، وأسباب إرجافهم، ومن ثم بيان وسائل مكا

فحة إرجافهم، وإنزال حال المرجفين قديما على واقعنا المعاش لأخذ العبرة والعظة واليقظة والحذر، وبيان حكم الإسلام في خلف المرجفين وأسلافهم.

وإنني أسأل اللهَ تعالى المُطَّلع على القلوب، أن أنال شرف دراسة هذا الموضوع لأهميته، وأدعوه سبحانه أن يوفقني لإتمامه على أكمل وجه؛ لعلي أخدم فيه ديني وأمتي. وأسأله تعالى أن أنال رضاه وثوابه من خلال هذا العمل، وأن يكون في ميزان حسناتي يوم الحساب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الدراسات السابقة

بعد البحث تبين لي أن موضوع أطروحتي جديد على المكتبة الإسلامية – حسبما توصل له اجتهادي–، وما كُتِبَ حول الموضوع فهو لا يعدو كونه مقالات بعيدة عن المنهجية العلمية والبحث العلمي الصحيح، بل لا تعدو كونها بعض الموضوعات المفرقة والمبثوثة في كتب التفسير، وبعض المؤلفات القديمة منها والحديثة، ومنها رسائل علمية. ولم أجد– بعد تتبع وعناء بحث– أي خطة تماثل ما ذهبت إليه في هذه الدراسة، ومن الدراسات التي تناولت بعض أجزاء من هذا الموضوع:

أولا. رسالة ماجستير، **بعنوان: خطوات الشيطان– دراسة قرآنية موضوعية.** وائل عمر بشير. إشراف: د.عبد السلام حمدان اللوح. الجامعة الإسلامية–غزة. 2008م.[1]

على اعتبار أن الشيطان أول المرجفين وأخطرهم؛ إذ تناولت الدراسة: خطورة الشيطان في إضلال الناس، وطرقه في إغوائهم، سواء بالتزيين، أم بالإنساء، أم بالتخويف، أم بالنزع والمس.

ثانيا. رسالة ماجستير، **بعنوان: السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن والسنة.** جملات الجرايبة، إشراف: د. فايز شلدان. الجامعة الإسلامية_غزة. 2010م. [2]

[1] http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/ ISSN 1726-6807

[2] library.iugaza.edu.ps/thesis/88118.pdf

حيث قامت الباحثة بمعالجة موضوع المنافقين_ الذين يعتبرون الخطر الأعظم قديما وحديثا؛ لأنهم ينخرون في جسد الأمة_ من خلال سماتهم العقدية والنفسية، وسبل مواجهتهم وخطرهم بالوسائل الحديثة.

ثالثا. كتاب **بعنوان: أساليب مواجهة الشائعات**. د.ساعد العرابي الحارثي وآخرون. ط1. جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.1422هـ.[1]

تناولوا فيها الإشاعات_ والتي هي من أهم أنواع الإرجاف ووسائله_ من وجهة نظر أمنية وبطرق تكنولوجية حديثة، وكيفية محاربتها على شكل أبحاث مختصرة ونقاش بناء.

وقد تميزت دراستي لهذا الموضوع عن غيرها، بأنها شاملة لكل المرجفين قديما وحديثا، بدءًا بالشيطان، ومرورا بالكفار _وبخاصة أهل الكتاب_، إلى المنافقين، وانتهاء بمرجفي اليوم، مع تحديد دقيق لما يشمله مصطلح الإرجاف من معان. واشتملت كذلك على وسائل محاربة المرجفين، وبيان الآثار الناجمة عن الإرجاف، واستنباط أنواع الإرجاف، والكشف عن أسبابه، وحكم المرجفين، كل ذلك بربط موضوعي، شمل ما سمح المقام بجمعه من النصوص القرآنية الكريمة، بفهم سلفنا الصالح، وعلمائنا الأجلاء.

أهميـة الدراسة

يمكن تلخيص أهمية الدراسة في النقاط التالية :

أولا. تكمن أهمية هذا العمل في كونه دراسة كاملة شاملة، لموضوع مهم وحيوي، لم يدرس من قبل بهذا التكامل.

ثانيا. خطورة الموضوع: للمرجف _ فردًا أو جماعةً_ اتصال بالمجتمع المسلم؛ فقد يكون عدوا داخليا مستترا، وخطره حينئذ عظيم، وشره مستطير، وقد يكون عدوا خارجيا، هذا مع أنه يُعدّ أقل خطرا من سابقه، إلا أنه يجب التعرف عليه حتى نحذر منه، كذلك فقد يكون من ضعاف الإيمان

[1] http://www.nauss.edu.sa/Ar/DigitalLibrary/Books/Pages/Books.aspx?BookId=575

المحسوبين على الأمة، وهو يطعن فيها بعلم أو بغير علم، فجاءت هذه الدراسة تبين أحوالهم جميعا وخطرهم.

ثالثا. الإرجاف مرض يسيرُ في خطٍّ متوازٍ مع الدولة الإسلامية قوةً وضعفا، فلعل هذه الدراسة أن تنبه الغافل، وتثير همة المتكاسل، وتوقظ الأمة من رقادها، بعد أن تتعرف على المرجفين وما يكيدونه للأمة، وسبل علاج هذا المرض الخبيث.

رابعا. قد يكون لنا نحن أهل فلسطين خصوصية في العلاقة بالمرجفين، فكثير منهم مرتبط بالعدو الصهيوني الغاشم، مما يجعل شرهم على الأرض والعرض والدين مستطيرا.

مشكلة الدراسة

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية وغيرها:

1. ما هو الإرجاف؟
2. ما هي الموضوعات التي لها صلة بالإرجاف؟
3. من هم المرجفون؟
4. ما هي وسائل الإرجاف قديما؟
5. ما هي الآثار الناجمة عن الإرجاف ؟
6. ما هي أنواع الإرجاف؟
7. ما هي أسباب الإرجاف؟
8. ما هي وسائل الإرجاف حديثا؟
9. ما هو حكم المرجفين؟

منهـج الدراسة

اتبع الباحث في هذه الدراسة **المنهج الاستقرائي والتحليلي والوصفي**، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

1. جمع الآيات الكريمة ذات العلاقة بموضوع الإرجاف، واتباع خطوات التفسير الموضوعي فيها من خلال كتب التفسير القديمة والحديثة، وربط هذه الآيات بالواقع ما أمكن ذلك.

2. الاستدلال بالأحاديث الصحيحة والحسنة التي لها علاقة بموضوع الإرجاف، مع تخريجها من مصادرها الأصلية، وبيان أقوال أهل العلم في الحكم على الأحاديث مالم تكن في الصحيحين.

3. عمل تراجم للأعلام المغمورين.

4. بيان معاني المفردات والمصطلحات الغريبة، مع الرجوع إلى مظانها الأصلية.

5. الاطلاع على الكتب والمقالات التي تناولت الموضوع للإفادة منها ونقدها.

أهداف الدراسة

1. بيان معنى الإرجاف في اللغة والاصطلاح مع بيان العلاقة بينهما.

2. إظهار عظم اهتمام القرآن الكريم بالإرجاف والمرجفين.

3. إبراز أنواع المرجفين على مر التاريخ القديم والمعاصر.

4. بيان وسائل المرجفين في الصد عن سبيل الله تعالى للحذر منها.

5. تتبع المواقف التي حصل فيها إرجاف، من أجل إظهار آثارها الخبيثة.

6. بيان أسباب الإرجاف، والبيئة التي يظهر فيها لتجنبها.

7. بيان حكم المرجفين؛ لعله أن يحقق الردع لمن تسول له نفسه الإرجاف بأهل الحق.

أسباب اختيار الدراسة

وقع اختياري على هذا الموضوع لأسباب متعددة أهمها:

1. خدمة القرآن العظيم، والأمة الإسلامية.

2. عدم عثوري على دراسة علمية وافية حول موضوع الإرجاف في القرآن الكريم؛ فأكون سببا في طرق الموضوع؛ لعلنا نفيد طلبة العلم بعدنا في سبر هذا الموضوع.

3. إثراء المكتبة الإسلامية بدراسة موضوع الإرجاف، مما يتيح للناس عموما وطلبة العلم خصوصا الإفادة منه ونشره كعلم نافع.

4. تكالب قوى الكفر الداخلي والخارجي على أمة التوحيد، وتشابه ما يحدث اليوم مع ما حدث في العصور الفاضلة الأولى؛ لعلنا نقتفي أثر الرسول ﷺ في إعادة العزة للأمة.

5. خصوصيتنا في فلسطين الحبيبة؛ فبعض المرجفين يقومون على خدمة الصهاينة، مما يجعلهم أكثر خطرا على الأمة من غيرهم، ويوجب علينا هذا الأمر الحذر الشديد منهم.

خطة الأطروحة

تتكون الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وثلاثة فهارس.

المقدمـة وفيها: بيان الدراسات السابقة، وأهمية الدراسة، ومشكلة الدراسة، وأسباب اختيار الدراسة، وأهداف الدراسة، والمنهج المتبع في كتابة الدراسة.

والفصول الأربعة، وهي:

الفصل الأول: (الإرجاف)، ودلالته في السياق القرآني. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: حقيقة الإرجاف. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإرجاف في اللغة.

المطلب الثاني: الإرجاف في الاصطلاح.

المبحث الثاني: الإرجاف في ضوء السياق القرآني. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عرض مادة (رجف) في القرآن الكريم ودلالتها في السياق القرآني.

المطلب الثاني: ملحوظات عامة، ولطائف بلاغية وبيانية على مادة (رجف).

المبحث الثالث: المعاني التي لها صلة بالإرجاف. وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: الشائعات.

الفرع الأول: مفهوم الإشاعة.

الفرع الثاني: ورود الإشاعة في السياق القرآني.

الفرع الثالث: أشكال الشائعات.

المطلب الثاني: التثبيط، وفيه فرعان:

الفرع الأول: التثبيط في اللغة والسياق القرآني.

الفرع الثاني: وسائل التثبيط.

المطلب الثالث: التخذيل.

الفرع الأول: مفهوم التخذيل وروده في السياق القرآني

الفرع الثاني: أشكال التخذيل.

المطلب الرابع: اللمز والهمز والنبز.

الفرع الأول: مفهوم اللمز والهمز والنبز في اللغة والسياق القرآني.

الفرع الثاني: أشكال اللمز والهمز والنبز.

المطلب الخامس: الإرهاب.

الفرع الأول: الإرهاب في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: مادة (رهب) في السياق القرآني.

المطلب السادس: التعويق.

الفرع الأول: التعويق في اللغة والاصطلاح.

الفرع الثاني: مادة (عوق) في السياق القرآني.

الفصل الثاني: ذكر المرجفين وبيان وسائلهم. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الشيطان. وفيه مطالبان:

المطلب الأول: بيان عداوة الشيطان لبني آدم. وفيه فرعان:

الفرع الأول: التعريف بالشيطان.

الفرع الثاني: عداوة الشيطان لبني آدم.

المطلب الثاني: وسائل الشيطان وطرقه.

المبحث الثاني: الكفار، قبل وبعد بعثته(صلى الله عليه وسلم). وفيه مطلبان:

المطلب الأول: وسائل الكفار في الإرجاف.

المطلب الثاني: أمثلة على إرجاف الكفار.

المبحث الثالث: أهل الكتاب. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: علاقة أهل الكتاب بالمسلمين.

المطلب الثاني: وسائل إرجاف أهل الكتاب.

المطلب الثالث: أمثلة على إرجاف أهل الكتاب.

المبحث الرابع: المنافقون. وفيه مطلبان:

المطلب الأول : معنى النفاق وأنواعه. وفيه فرعان:

الفرع الأول: معنى النفاق.

الفرع الثاني: أنواع النفاق.

المطلب الثاني: وسائل المنافقين في الإرجاف.

الفصل الثالث:الإرجاف بين الأمس واليوم. وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الإرجاف الديني العقائدي. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الدعوة إلى العلمانية، وفصل الدين عن الحياة

المطلب الثاني: الولاء للكافرين والبراء من المؤمنين

المطلب الثالث: جمعيات التنصير والتبشير وشراء الذمم

المطلب الرابع: التقريب بين الأديان والمذاهب الأخرى

المبحث الثاني: الإرجاف السياسي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: السياسة في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: أشكال الإرجاف السياسي. وفيه شكلان:

الشكل الأول: إلزام الناس بالنظام الديمقراطي

الشكل الثاني: الزَّجّ بالمخالفين في غياهب السجون

المبحث الثالث: الإرجاف الإعلامي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تهويل الأحداث وتضخيمها

المطلب الثاني: نشر الرذائل

المبحث الرابع: الإرجاف الاجتماعي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقديم العادات والتقاليد _المخالفة للدين_ على الدين وتعاليمه

المطلب الثاني: تحرير المرأة

المبحث الخامس: الإرجاف العسكري. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإرجاف بأن قوة اليهود وأمريكا لا تقهر

المطلب الثاني: مَنْع المستضعفين في الأرض من الإعداد للجهاد

الفصل الرابع: أسباب الإرجاف وآثاره وطرق مكافحته. وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أسباب الإرجاف وآثاره. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أسباب الإرجاف

المطلب الثاني: آثار الإرجاف

المبحث الثاني: طرق مكافحة الإرجاف. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طرق القرآن وأساليبه في منع الإرجاف قبل حدوثه

المطلب الثاني: طرق القرآن وأساليبه في معالجة الإرجاف أثناء حدوثه وبعده.

والخاتمة: حيث اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

وثلاثة فهارس، الأول: للآيات الكريمة، والثاني: للأحاديث الشريفة، والثالث: للمصادر والمراجع.

الفصل الأول

(الإرجاف)، ودلالته في السياق القرآني

المبحث الأول: حقيقة الإرجاف

المبحث الثاني: الإرجاف في ضوء السياق القرآني

المبحث الثالث: المعاني التي لها صلة بالإرجاف

المبحث الأول

حقيقة الإرجاف

المطلب الأول: الإرجاف في اللغة.

تكاد كتب اللغة والمعاجم اللغوية تجمع على معنى واحد للرجف، وهو: **(الحركة والاضطراب الشديد)**، قال الأصفهاني: "الرجف الاضطراب الشديد"[1].

وكذلك ابن فارس يقول إن" الرَّاء والجيم والفاء أصل يدل على اضطراب. يقال رَجَفَتِ الأرض والقلب. والبحر رَجَّاف لاضطرابه. وأَرْجَفَ الناس في الشيء، إذا خاضوا فيه واضطربوا "[2].

وأصله: "رجَفَ الشيءُ يَرْجُفُ رَجْفاً ورُجُوفاً ورَجَفَاناً ورَجِيفاً وأَرْجَفَ: خفق واضطرب اضطرابا شديدا... ورَجْفُ الشيء كرَجَفانِ البعير تحت الرحل، وكما تَرْجُفُ الشجرة إذا رَجَفَتْها الريح، وكما تَرْجُف السن إذا نغض أصلها. والرَّجْفَةُ: الزَّلزلة. والرَّاجِفُ: الحُمّى المُحَرِّكة، مذكر... ورَجَفَ الشجر يَرْجُفُ: حرّكته الريحُ، وكذلك الأسنان... ورَجَفَ القوم إذا تهيأوا للحرب... وقيل: الرَّجَّافُ يوم القيامة"[3].

"والرَّاجِفُ: الحُمَّى ذات الرِّعْدة. وأَرْجَفَتِ الناقةُ: جاءت مُعْيِية مسترخية أُذُناها ترجف بهما، والقوم: خاضوا في أخبار الفتن ونحوها" [4].

---

[1] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، الراغب (ت: 502هـ)، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط\ 1 - 1412 هـ، (1\ 189).

[2] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، (ت: 395هـ)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 6مج، (2/ 491).

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل، (ت: 711هـ)، **لسان العرب** الناشر: دار صادر - بيروت، ط\ 3 - 1414 هـ، 15مج، (9/ 112_114)، بتصرف.

[4] الفيروزآبادى، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط\ 8، 1426 هـ – 2005 م، (ص: 812).

يلاحظ الباحث فيما سبق الأمور الآتية:

1. اجتمع أهل اللغة على معنى مادة رجف، وهو الاضطراب والحركة، فالبحر رَجَّاف، لاضطراب الريح بحركة الموج، ورجف القوم إذا تهيأوا للقتال، فهم في حركة واصطفاف واضطراب داخلي قبل المعركة، عدا عن الخيل وجلبتها، وهكذا الشجر والأسنان وغيرها.

2. إن هذه الحركة ليست عادية بل شديدة، نتيجة للاضطراب الحاصل، فهي حركة شديدة عشوائية، تبعث في النفس الخوف وعدم الاستقرار.

3. إن جميع ما سبق أمور حسية، اجتمع معها أمر معنوي، هو الخوض في الأكاذيب ونشرها، والعلاقة تظهر في أن المرجف يتحرك لسانه_ وكذا أعضاؤه وأفعاله_ بالأقاويل التي تُحدث اضطرابا بين الناس.

المطلب الثاني: الإرجاف في الاصطلاح.

بالنظر إلى تعريف الإرجاف على مدار الحقب الزمنية المختلفة لأهل العلم، نجدهم يدورون في فلك واحد، بين معمم للمعنى في كل من أحدث اضطرابا عند المسلمين، وبين مخصص له في القول والأخبار السيئة فحسب، ومن أقوالهم:

أولا. قال **قتادة:** "(الإرجاف): الكذب الذي كان يذيعه أهل النفاق ويقولون: قد أتاكم عدد وعدة "[1]، فقد خصصه بأمرين اثنين: بالمنافقين، وبالأخبار.

ثانيا. قال أبو هلال العسكري:" هُوَ الْإِخْبَار باضطراب أَمر الرجل "[2].

ثالثا. ابن فورك، يرى أنه: "الإخبار بما يضطرب الناس لأجله من غير تحقق به"[3]، حيث يظهر تخصيصه بالأقوال والأخبار، ولكنه عمم الفاعلين له.

---

[1] الطبري، محمد بن جرير الآملي، أبو جعفر (ت: 310هـ)، **جامع البيان**، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420 هـ - 2000 م، 24مج ، (20/ 327).

[2] أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: نحو 395هـ): **معجم الفروق اللغوية**، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي «قم»، ط/1، 1412هـ، (ص: 301).

[3] ابن فورك، محمد بن الحسن الأصبهاني، أبو بكر (ت: 406هـ)، **تفسير ابن فورك** من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، تحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، جامعة أم القرى - السعودية، ط 1، 1430هـ، **(1/ 394)**.

رابعا: الراغب الأصفهاني، حيث يقول: إن"الإرجاف إيقاع الرجفة إما بالفعل وإما بالقول"[1]، وهو ممن اختاروا التعميم.

خامسا. القرطبي، قال: "الإرجاف: إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به"[2]، كغيره ممن ركز على الأخبار، وعلى الغاية منها.

سادسا. البقاعي: حيث قال: "{والمرجفون في المدينة} وهم الذين يشيعون الأخبار المخيفة لأهل الإسلام التي تضطرب لها القلوب"[3]، وهو بذلك وإن خصصها بالأخبار إلا أنه عمم القائلين بها، من المنافقين وغيرهم.

سابعا. أبو البقاء الكفوي قال: الإرجاف هو"الْإِخْبَار الْكَاذِب"[4]، فقد قصرها على الأخبار.

ثامنا. المراغي، حيث قال: "الإرجاف وهو الزلزلة وصفت بها الأخبار الكاذبة لكونها مزلزلة غير ثابتة"[5]، رابطا له بالأصل اللغوي.

تاسعا. ابن عاشور، إذ يقول:" الإرجاف: إشاعة الأخبار، وفيه معنى كون الأخبار كاذبة أو مسيئة لأصحابها يعيدونها في المجالس ليطمئن السامعون لها ... فالمرجفون قوم يتلقون الأخبار فيحدثون بها في مجالس ونواد ويخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل... وهم من المنافقين والذين في قلوبهم مرض وأتباعهم وهم الذين قال الله فيهم {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ} في سورة النساء [83].

---

[1] الأصفهاني، مفردات غريب القرآن (1 / 189)، **واختاره** الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل (ت: 1414هـ)، **الموسوعة القرآنية**، مؤسسة سجل العرب، 1405 هـ (8/ 212).

[2] القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/2، 1384هـ، (20ج في10مج)، (14/ 246).

[3] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط، (ت: 885هـ)، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 22مج (15/ 413).

[4] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ): **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، مؤسسة الرسالة – بيروت–بدون طبعة ولا سنة–، (ص: 79).

[5] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ) **تفسير المراغي**، مكتبة مصطفى البابى الحلبي ، مصر، ط\ 1، 1365 هـ، 30مج، **(22/ 37).**

فهذه الأوصاف لأصناف من الناس. كان أكثر المرجفين من اليهود وليسوا من المؤمنين؛ لأن قوله عقبه {لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ} لا يساعد أن فيهم مؤمنين"[1].

فقد خصصها من جهة الأخبار، وعممها من حيث المرتكبون لها كالمنافقين واليهود وغيرهم.

الراجح: عند الباحث:

بناء على الربط بين أصل الوضع اللغوي والواقع الناشئ عنه، فيرى الباحث أن الإرجاف: **(إحداث الاضطراب في النفس، بالقول أو الفعل أو بغيره)**؛ فكثيرا من الاضطرابات_ الحاصلة بفعل المنافقين والمشركين واليهود وحتى بعض المسلمين_ تكون في غير الأقوال.

[1] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت: 1393هـ)، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984م، 30 مج و(ج 8 قسمين) **(330/21)**، بتصرف.

المبحث الثاني

الإرجاف في ضوء السياق القرآني

يعد القرآن الكريم المصدر الأول للمعلومات الموثوقة عند الإنسان المسلم؛ إذ إن احتمالية الخطأ لا توجد فيه أبدا، كما قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[1]، ومن هنا كان للنظر في معنى الرجف في القرآن ضرورة حتمية لا انفكاك عنها لطالب العلم؛ فالقرآن يفسِّر بعضُه بعضا.

المطلب الأول: عرض مادة (رجف) في القرآن الكريم.

ورد اللفظ: رجف، باشتقاقاته المختلفة في ثمانية مواضع في القرآن العظيم، على النحو الآتي:

1. الآية (78) من سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾، (مكية)، والمقصود ثمود قوم صالح (عليه السلام).

2. الآية (91) من سورة الأعراف: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾، (مكية)، والمقصود الكفار من مدين قوم شعيب(عليه السلام).

3. الآية (155) من سورة الأعراف:﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّىَّ ﴾، (مكية)، والمقصود قوم موسى (عليه السلام).

4. الآية (37) من سورة العنكبوت: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾، (مكية)، والمقصود مدين قوم شعيب(عليه السلام).

[1] النساء: 82

5. الآيـــة (60) مـــن ســـورة الأحـــزاب: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾، (مدنيـــــــة)، والمقصود المنافقون والذين في قلوبهم مرض من أهل الإرجاف.

6. الآية (14) من سورة المزمل: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴾، (مكية)، يعني يوم القيامة.

7. الآية (6) من سورة النازعات: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾، (مكية)، وفيها لفظان، الأول: ترجف، والثاني: الراجفة. والمقصود الأرض والجبال يوم القيامة، أو (النفخة الأولى: الصيحة)، كما سيأتي بيانه في المطلب الثاني من هذا المبحث.

المطلب الثاني: ملحوظات عامة، ولطائف بلاغية وبيانية على المادة (رجف).

أولا: وردت مادة (رجف) ثماني مرات في سبع آيات قرآنية، في خمس سور قرآنية، ست آيات منها مكية، وآية واحدة مدنية.

ثانيا: كل الآيات التي وردت فيها مادة (رجف) مكية باستثناء آية سورة الأحزاب فمدنية؛ فالآيات التي تضمنت ألفاظ الزجر والشدة من خصائص القرآن المكي، وهذا يدل على أسلوب حكيم من الحكيم الخبير، ناسب فيه واقع أهل مكة المعرضين عن الصراط المستقيم، حيث ناسبهم أسلوب التخويف والترهيب، ببيان حال اضطرابهم يوم القيامة، سواء النفسي _الناتج عن الخوف من سوء مآلهم– أو المادي –بالرجفة والزلزلة الشديدة –، لعلهم يرجعون عن غيهم ويؤوبون إلى رشدهم.

ثالثا: استخدم القرآن الكريم مادة الإرجاف بمفهومها اللغوي _أي: الحركة والاضطراب_ عند مخاطبتهم بالإرجاف، وذلك لأن الإرجاف كمصطلح لم يكن قد تطور مفهومه ليصل إلى الأمر المعنوي إلا في المدينة_على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم_، عندما قامت للإسلام دولة وظهر النفاق، وقامت حروب طاحنة بين أهل الإسلام والكفر، وصار للشائعات شأن وصارت ذا خطر شديد.

ومن هنا جاءت لفظة المرجفين بمعنى: مثيري الفتن والاضطرابات، في سورة مدنية، كنتيجة لتطور أحداث الواقع، فتطور المصطلح لذلك.

رابعا: في الآيات المكية أُسند الإرجاف إلى جهتين:

الجهة الأولى: إلى **(الراجفة)** نفسها، كما في آيات الأعراف الثلاث، وآية العنكبوت، وآية النازعات، وفيه إجمال للكيفية التي يحصل بها (الرجف)، وفي إسناد الأخذ إلى الرجفة تهويل لما نزل بهم، ومبالغة في تصوير المعنى[1].

والجهة الثانية: إلى **(الأرض والجبال)**، كما في آية المزمل، حيث نلاحظ التخصيص، وبيان الكيفية، وسبب الاضطراب الحاصل.

أما الآية المدنية فأُسند الإرجاف فيها إلى: (المرجفين)؛ إذ المقام مقام إيمان وحفاظ عليه، لا إرهاب وتخويف لهم، بل بيان لحال فئات مدسوسة تنخر في أمن المجتمع، تحاول خلق اضطرابات في المجتمع المؤمن، تتعدد صفاتهم، ويزداد خطرهم كلما كانوا ألصق بالمؤمنين.

وهنا تظهر لفتة تستحق البحث، وهي: من المقصود بالمرجفين؟ مع أن كثيرا من المفسرين يقولون: إنهم المنافقون، ولكنَّ الذي دعاني إلى افتراض هذا التساؤل هو: عطف المرجفين على المنافقين وعلى الذين في قلوبهم مرض، حيث قال سبحانه: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾[2]، فهل العطف هنا يقتضي التغاير، بمعنى أنّ المرجفين غير المنافقين، وغير الذين في قلوبهم مرض، أم أن هناك أقوالا أخرى؟

بعد استقراء آراء العلماء، يتبين للباحث أنهم ذهبوا في ذلك مذاهب، أهمها:

---

[1] انظر: المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت: 1429هـ)، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة، ط1، 1413هـ - 1992م، 2مج، (2/ 355).

[2] الأحزاب: 60

القول الأول: إن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد، وممن قال به: قتادة[1]، ورجحه الطبري[2]، والنحاس[3].

ومن المعاصرين الشيخ **الشعراوي** الذي استدل على ذلك بأن الله وصف المنافقين في آيات أخرى بأن في قلوبهم مرض، فتجتمع الصفات الثلاث في المنافقين، حيث قال: " تلحظ أن المنافقين وصفهم الله هنا بصفات ثلاث {المنافقون والذين فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ والمرجفون فِي المدينة ... } [الأحزاب: 60] فالعطف هنا لا يقتضي المغايرة، إنما عطف صفات مختلفة لشيء واحد، وجاءتْ هذه الصفات مستقلةً؛ لأنها أصبحتْ من الوضوح فيهم، بحيث تكاد تكون نوعاً منفرداً بذاته، وقد وصف القرآن في موضع آخر المنافقين بأن في قلوبهم مرضاً، فقال سبحانه: {وَمِنَ الناس مَن يَقُولُ آمَنَّا بالله وباليوم الآخر وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ الله والذين آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ الله مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: 8 – 10] ، وفي هذا دليل على أن الواو هنا أفادت عطف صفة على صفة، لا طائفة على طائفة "[4].

القول الثاني: إن الأوصاف الثلاثة لفئات مختلفة، وممن قال به **الفراء** حيث قال: " المرجفون كانوا من المسلمين، وكان المؤلفة قلوبهم يرجفون بأهل الصفة، كانوا يشنعون على أهل الصفة أنهم هم الذين يتناولون النساء لأنهم عُزّاب" [5]، وكذلك **الزمخشري** يقول: " المعنى : لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدكم، والفسقة عن فجورهم، والمرجفون عما يؤلفون من أخبار السوء..."[6]، ومثله العز بن عبد السلام[7]، ورجحه أبو السعود[8]، وقريب منهم الشهيد سيد قطب حيث قال: " فلا يتعرض لهن ذوو السيرة السيئة من المنافقين والمرجفين والفساق الذين كانوا

---

[1] الطبري، **جامع البيان** (20/ 327).

[2] المصدر السابق (20/ 326).

[3] النحاس، أحمد بن محمد المرادي، أبو جعفر (ت: 338هـ)، **إعراب القرآن**، تعليق: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421 هـ، (3/ 223).

[4] الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418هـ)، **تفسير الشعراوي ـ الخواطر**، مطابع أخبار اليوم، 20مج ، (لا يوجد سنة الطبعة، أو مكانها، رقم الإيداع نشر عام 1997 م)،(19/ 12173– 12174).

[5] الفراء، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور، أبو زكريا (ت: 207هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد النجاتي و محمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، دار المصرية - مصر، ط\1، (2/ 349).

[6] الزمخشري، **الكشاف** (5 / 351)، بتصرف.

[7] العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام الدمشقي، أبو محمد سلطان العلماء (ت: 660هـ)، **تفسير القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط\1، 1416هـ/ 1996م، 3مج، (5 /63).

[8] أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي (ت: 982هـ)، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (5 /352).

يتعرضون للنساء في المدينة "[1] في حديثه عن نساء الرسول(ﷺ) ونساء المسلمين عند خروجهن للخلاء.

القول الثالث: هناك تداخل في أقوالهم، ومنهم:

ابن عاشور الذي لم يلبث بعد تصريحه بأنها صفات لفئة واحدة هي أهل النفاق، إلا أن قال:" فهذه الأوصاف **لأصناف من الناس.** وكان **أكثر المرجفين من اليهود** وليسوا من المؤمنين؛ لأن قوله عقبه (لنغرينك بهم) لا يساعد أن فيهم مؤمنين"[2]، ومثله الدكتور وهبي الزحيلي[3].

والذي يراه الباحث أن مراده _والله أعلم_ أنها وإن كانت صفاتٌ اجتمعت في المنافقين، إلا أنه لا يمنع أن يشترك معهم في الإرجاف فئات أخرى، كاليهود وغيرهم كما ذكر.

رأي الباحث: حتى يُحكم على ماسبق ويُرجح بين الأقوال، يجب الربط بين الآية وما حولها، ففيها إشارات واضحة تدل على المراد، وكذلك بالاطلاع على ما ورد حول الآيات من نصوص وآثار.

الملحوظة الأولى: جاء قبلها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[4]، فما علاقة أمر الله (تعالى) للرسول ﷺ بأن يأمر نساءه ونساء المؤمنين بإدناء الجلابيب بالمرجفين؟، يتضح **الجواب** باستحضار الآيتين قبل هذه الآية، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴾[5]، إذن فالقضية تتعلق بإيذاء الرسول والمؤمنين عموما باتهامهم، والكذب عليهم، والتعرض لنسائهم، فجاءت الآية الكريمة تبين

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (5 /2874).

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (22/ 108).

[3] انظر: الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط\2، 1418 هـ، 30مج، (22/ 111).

[4] الأحزاب: 59

[5] الأحزاب: 58 – 57

نوعا من أنواع الأذى لهن، وهو التعرض لهن في الطرقات، وجاء الأمر بإدناء الجلابيب الساترة التي تمنع الأذى عنهن، ولم يكتف سبحانه بسد باب الأذى بذلك، بل جاء الوعيد الشديد لمن يصدر منه ذلك الأذى وغيره، بالإغراء به وطرده من المدينة ولعنه كما سيتبين لاحقا_عند الحديث عن أحكامهم_.[1]

ويؤكد ماسبق قول السُّدِّي: " كانت المدينة ضيقة المنازل، وكان النساء إذا كان الليل خَرجْن، يَقْضين الحاجة، وكان **فُسَّاق مِن فُسّاق المدينة** يخرجون، فإذا رأَوا المرأة عليها قناع قالوا: هذه حُرّة فتركوها، وإذا رأوا المرأة بغير قناع قالوا: هذه أمة، فكانوا يراودونها، فأنزل الله تعالى هذه الآية" [2].

مما سبق يظهر جانب كبير من المقصود بالمرجفين، كالمنافقين والفساق وغيرهم.

الملحوظة الثانية: عندما نربط بين قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾[4]، واللتان أحاطتا بالآيات السابقة، ففي الأولى بيان لصنفين من أصحاب الأذى هم: الكافرون عموما والمنافقون، وفي الأخرى نهى المؤمنين عن أذية الرسول كما آذى بنو إسرائيل سيدنا موسى ﷺ.

ومن كل ما سبق **يرى الباحث** أن المقصود بالمرجفين هم المنافقون واليهود المجاورون للمسلمين، ومن تأثر بهم من ضعاف الإيمان وفساق المسلمين عموما، والله أعلم.

صحيح أن عموم السورة تتحدث عن المنافقين في حوادث مختلفة، غير أن تعميم الحكم على غيرهم أولى؛ لردع من تسول له نفسه أذية المسلمين من جانب، وأكثر واقعية من جانب

---

[1] انظر لمزيد بيان: البقاعي، **نظم الدرر، (6/454- 455)**.

[2] الواحدي، علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، (ت: 468هـ)، **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط2، 1412 هـ – 1992 م **(ص: 363)**.

[3] الأحزاب: 48

[4] الأحزاب: 69

آخر، حيث إن الأذى يصدر في كثير من الأوقات من بعض ضعاف الإيمان والجهلة عدا عن غيرهم، والأذى منهم يكون أشد وقعا على النفس.

خامسا: أما صورة اللفظ ومشتقاته، فهي كالآتي:

1. الراجفة: (مؤنّث الراجف، اسم فاعل) من الثلاثيّ رجف وزنه فاعل.

وذلك في آيات الأعراف الثلاث، وآية العنكبوت، وكذا النازعات، بلفظ: الاسم "**الراجفة**"، وفيه دلالة على ثبوت ذلك وتيقن حصوله، فالواجب على أهل الألباب الاتعاظ وأخذ العبرة.

كذلك فإنها جاءت مفردة، لأن الحديث عن شكل واحد من أشكال الزلزلة يوم القيامة.

2. اسم الفاعل من الرباعي (أرجف)، وزنه مُفْعِل.

وذلك في آية الأحزاب، بلفظ: "**المرجفون**"، بالجمع ليوضح حجم تآمرهم على الدولة الإسلامية الناشئة، وأنه ليس خطأ فرديا بلا تخطيط مسبق، بل منهج يقوم عليه جماعة لها أهداف سياسية اعتقادية. ولا شك في أن مجيء اللفظ عاما بدون تخصيصه بالمنافقين أو اليهود أو غيرهم، له دلالته التي تناسب حجم الاضطراب والخوف الذي حصل جراء غزوة الأحزاب، والذي شارك فيه كل من المشركين واليهود والمنافقين وضعاف الإيمان.

3. الفعل (المضارع).

وذلك في آيتي المزمل والنازعات، بلفظ:"**ترجف**"، ومن مقاصدها: ما يدل عليه الفعل من معاني التجدد والحدوث، لتذكير مشركي مكة، بأن ما حدث من زلازل واضطرابات يمكن أن يحدث معهم ولكن بشكل مرعب مخيف، فليعودوا إلى رشدهم.

سادسا: القراءات الواردة في مادة رجف في الآيات ودلالتها:

" قرأ الجمهور: ترجف بفتح التاء مبنيا للفاعل وزيد بن علي: بضمها مبنيا للمفعول"[1]، فعلى قراءة المبني للمعلوم تكون: الراجفة والأرض فاعلا للرجف، وهو من باب المجاز الإسنادي، وعلى قراءة المبني للمجهول، تكون: الراجفة والأرض نائبا للفاعل، والغرض منه _والله أعلم_: توجيه الأنظار تجاه الحدث لعظمه وهوله، عدا عن كون المحدِث للرجف_وهو الله تعالى_ معلوما لا يحتاج إلى بيان.

سابعا: لماذا جاءت بلفظ الرجفة في آية الأعراف (78)، وليس الزلزلة أو الصيحة أو غيرها؟

إن الفرق بين الرجفة والزلزلة: " أن الرجفة: الزلزلة العظيمة، ولهذا يقال: زلزلت الأرض زلزلة خفيفة، ولا يقال: رجفت إلا إذا زلزلت زلزلة شديدة، وسميت زلزلة الساعة رجفة لذلك، ومنه الإرجاف وهو الإخبار باضطراب أمر الرجل، ورجف الشئ إذا اضطرب، يقال رجفت منه إذا تقلقلت"[2]، إذن فالمقصود منها التعظيم والتهويل بأقصى ما يحمله اللفظ من معنى.

وأما الصيحة فهي مسبب من مسببات الرجفة، فقد ترجف بسبب الصيحة، أو الخسف أو غيرهما، وهذا التعميم لمسببات الرجفة _من خلال عدم ذكره_ بلا شك له دلالة خاصة به، ويرى الباحث أن الحكمة _في ذلك_ قد تكون عدم صرف الانتباه عن حجم الحدث، وهول النتائج الواقعة، فلو ذكر سبب الرجفة لانحصر الفكر في السبب المذكور.

ثامنا: أُسند الإرجاف للأرض والجبال، مع أنها مرجوفة، وهذا عند العلماء من المجاز الإسنادي _أي: إسناد الفعل إلى سببه_ فالصيحة أو النفخة هي الراجفة حقيقة، والأرض والجبال بما عليها مرجوفة مفعولة.

---

[1] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420 هـ، (10/ 317).

[2] العسكري، **معجم الفروق اللغوية** (ص: 249).

يقول إسماعيل حقي: "المراد بالراجفة: الواقعة التي ترجف عندها الأجرام الساكنة كالأرض والجبال، أي تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم، وهى النفخة الأولى أسند إليها الرجف مجازا على طريق إسناد الفعل إلى سببه فإن حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الأجرام الساكنة من الرجفان "[1].

وقد اختار بعض العلماء[2] جواز الوجهين فيها، فيجوز أن يكون الإسناد فيها على الحقيقة باعتبار أنها متحركة ومحركة لغيرها، حيث إن " رَجَف لازم ومتعد، رَجَف رَجْفًا ورجَفَانًا ورُجُوفاً: تحرك. ورَجَفَهُ رَجْفًا: حركه. وَرَجَفَت الأرضُ وأَرْجَفتْ: زلزلت"[3]. ويجوز حملها على المجاز كما سلف.

تاسعا: من لطائف الجذر (ر ج ف): أن من صفات حرفه الأول (الراء) التكرار، فهو بذاته يحدث اضطرابا في نطق الحرف يناسب دلالة الكلمة على المعنى_مع أن تكرار الرآء في التلاوة لا يجوز_.

عاشرا: المعنى الذي جاءت عليه الراجفة يختلف باختلاف السياق، حيث:

1. إنها جاءت في الآية (78) من سورة الأعراف بلفظ: ((**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**))، وتعني: الصيحة، يقول الإمام الطبري: " وإنما عنى بـ"الرجفة" ها هنا الصيحة التي زعزعتهم وحركتهم للهلاك، لأن ثمود هلكت بالصيحة، فيما ذكر أهل العلم"[4].

---

[1] حقي، إسماعيل بن مصطفى الإستانبولي، أبو الفداء (ت: 1127هـ)، **روح البيان**، دار الفكر – بيروت، **(10/ 316)**.

[2] انظر: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم (ت: 1332هـ)، **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد السود، دار الكتب العلميه – بيروت، ط1– 1418 هـ **(9/ 396)**، و بنت الشاطئ، عائشة محمد علي عبد الرحمن (ت: 1419هـ)، **التفسير البياني للقرآن الكريم** دار المعارف – القاهرة، ط7، 2مج، **(1/ 131)**، ودرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ)، **إعراب القرآن وبيانه**، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص، (دار اليمامة و دار ابن كثير – دمشق – بيروت)، ط4، 1415 هـ، 10 مج **(10/ 365)**.

[3] الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب(ت: 817هـ)، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 6مج، 1973_ 1996م **(3/ 41)**.

[4] الطبري، **جامع البيان (12/ 545)**.

والحق أن الله تعالى صرح بذلك، كما في قوله:﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴾[1]، حكاية عن ثمود قوم صالح _عليه السلام_ أنفسهم الذين عناهم في الآية السابقة.

ولا عجب في استخدام لفظ (الرجفة)، فالمقام مقام العبرة والعظة، فمن كفر بالله تعالى وكذب الرسل كانت نتيجته الحتمية العذاب في الدنيا قبل الآخرة، ومن أنواع العذاب الرجفة، فليعتبر أهل الشرك.

2. كذلك في الآية (91) من سورة الأعراف جاءت بلفظ: ((**فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ**))، حكاية عن مدين قوم شعيب (عليه السلام)، ونلاحظ التشابه التام في الألفاظ مع الآية السابقة، وكذلك تشابهها مع الآية (37) من سورة العنكبوت: ((**فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ**))، حيث إن الألفاظ واحدة وكذا النتيجة واحدة، إذ إن صفتهم بعد الرجفة تكون: الجثو على الركب بلا حراك، وكأن فيه إشارة إلى اتحاد صفة العذاب لمن سبق من أقوام.

3. وفي الآية (155) من سورة الأعراف: ((**وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ**)).

المقصود منها: الزلزلة العظيمة التي صعقتهم بتزلزل الجبل من تحتهم، فأغشي عليهم أو ماتوا من هولها، واختلفوا في سببها على أقوال أقربها عبادتهم للعجل، أو طلبهم رؤية الله تعالى[2].

4. أما الآية (6) من سورة النازعات: ((**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ**))، فقد اختلف العلماء في المقصود بهما؛ فمنهم من يرى أن الراجفة والرادفة هما: الصيحتان، أي: النفختان، ومنهم من يرى أن الرَّاجِفَةُ: هي الزلزلةُ ، وتتبعها الرَّادفةُ: الصَّيحة، وثالث بأن الراجفة هي الأرض، والرادفة الساعة.[3]

---

[1] هود: 67

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان (13/ 148)**، والزمخشري، أبا القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، جار الله (ت: 538هـ): **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3، 1407هـ، 4ج، **(2 / 296)**، وابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام (ت: 542هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 – 1422 هـ **(3 / 104)**.

[3] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن (19/ 195)**، وهناك أقوال أخرى لا طائل من ورائها، وانظر_لمزيد بيان_: رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين (ت: 1354هـ)، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990 م، 12مج **(8/ 450)**.

والذي يراه الباحث:

أنه لا مانع من أن تكون الرجفة في الآية الكريمة صيحة (نفخة) تزلزل الأرض، جمعا بين القولين، فالذي سبَّبَ اضطراب الأرض هي الصيحة _والله أعلم_.

حيث إنها" تضطرب اضطراباً كبيراً مزعجاً. {الراجفة} أي: الصيحة، وهي النفخة الأولى التي هي بحيث يبلغ – من شدة إرجافها للقلوب، وجميع الأشياء الساكنة من الأرض والجبال إلى نزع النفوس من جميع أهل الأرض – مبلغاً تستحق به أن توصف بالعراقة في الرجف" [1].

[1] البقاعي، **نظم الدرر (21/ 222)**.

المبحث الثالث

المعاني التي لها صلة بالإرجاف، وفيه ستة مطالب

المطلب الأول: الشائعات.

الفرع الأول: مفهوم الإشاعة.

الإشاعة في اللغة: هي الظهور والانتشار، جاء في لسان العرب:" شاعَ الخبر في الناس يَشِيعُ شَيْعاً وشيَعاناً ومَشاعاً وشَيْعُوعة، فهو شائِع: انتشر وافترق وذاع وظهر. وأشاعه هو وأشاع ذكر الشيء: أطاره وأَظهره".[1]

أما الإشاعة في الاصطلاح:

فهي الأخبار التي يتناقلها الناس دون التحقق من صحتها، سواء بإضافة عليها ما ليس منها أو حذف ما لا يخدم هدفها، أو بنقلها كما هي[2].

ووجه العلاقة بين الإشاعة والإرجاف:

أن الإشاعات وسيلة أساسية في اضطراب المجتمع المسلم يلجأ إليها المرجفون، والإرجاف _الاضطراب والزعزعة_ نتيجة حاصلة جراء الإشاعات، وثمرة من ثمارها.

الفرع الثاني: ورودها في السياق القرآني.

أولا: وردت كلمة الشائعات بالمعنى الاصطلاحي مرة واحدة في سورة النور، في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

---

[1] ابن منظور، **لسان العرب (8/ 191)**.

[2] انظر: مجموعة من العلماء والاختصاصيين، **أساليب مواجهة الشائعات** ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض\ مركز الدراسات والبحوث، 1422هـ-2001م ، ط1، **(ص: 10)**.

[3] النور: 19

تشيع الفاحشة أي: تنتشر ويتحدث الناس فيها، وبخاصة أنها كانت في عرض سيد الطاهرين وإمام المرسلين ﷺ، يقول الزمخشري: " المعنى: يشيعون الفاحشة عن قصد إلى الإشاعة، وإرادة ومحبة لها "[1].

ثانيا: وردت بمعان مختلفة، كما قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾[3]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[4]، وقوله: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ ﴾[6]، وقوله: ﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[7]، وقوله سبحانه: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾[8]، وقوله: ﴿ وَإِنَّ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾[9]، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[10]، [10]، وقوله تعالى: ﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾[11].

وبالتدبر، يظهر الجامع المشترك بين الألفاظ السابقة، وهو: الانتشار والكثرة، يقول الأصفهاني: " الشِّيَاعُ: الانتشار والتّقوية. يقال: شاع الخبر، أي: كثر وقوي، وشَاعَ القوم: انتشروا وكثروا ... والشِّيعَةُ: من يتقوّى بهم الإنسان وينتشرون عنه، ومنه قيل للشّجاع: مَشِيعٌ، يقال: شِيعَةٌ

---

[1] الزمخشري، **الكشاف (3/ 221)**.

[2] الأنعام: 65

[3] الأنعام: 159

[4] الحجر: 10

[5] مريم: 69

[6] القصص: 4

[7] القصص: 15

[8] الروم: 32

[9] الصافات: 83

[10] القمر: 51

[11] سبأ: 54

وشِيَعٌ وأَشْيَاعٌ، قال تعالى: (وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ) [الصافات/ 83]، هذا مِنْ شِيعَتِهِ وَهذا مِنْ عَدُوِّهِ [القصص/ 15]... " [1].

فالعلاقة بين ورودها بالمعنى الاصطلاحي والمعنى في الآيات الأخرى هو: الانتشار، وإذا انتشر كثر وقوي وظهر، إلا في الشيع، كما في الآية الأولى.

الفرع الثالث: أشكال الشائعات.

تتعدد صور الشائعات في القرآن بين إفك يحمل في طياته افتراء، وشائعات لها من الصحة نصيب فتُضخَّم، ومنها مايهدف لإشاعة المنكرات في أوساط المسلمين، **ومن ذلك:**

أولا: الإفك، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [2]، وهذا من أسوء الكذب، وأكثره أثرا في النفوس، حتى إنه قد يُخرج الحليم عن حلمه، ويزيد في حيرة الحيران، ويخل بأمن المجتمع ويحدث اضطرابا فيه، ذاق لوعته أهل المدينة في حادثة الإفك، وفي هذا يقول أبو السعود: "أي بأبلغ ما يكون من الكذب والافتراء، وقيل: هو البُهتانُ لا تشعرُ به حتَّى يفجأكَ، وأصلُه الإفكُ وهو القلبُ لأنه مأفوكٌ عن وجهه وسننه، والمراد به ما أفك به الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها"[3].

ثانيا: إشاعة المنكرات في المجتمع، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4]، فإظهار ونشر الفواحش والزنا وما وجب ستره من أمور المسلمين كعوراتهم، له أثر عظيم في تفكك المجتمع واضطرابه، كيف لا والناظر للواقع المرير يرى القتل فيما يسمى بقضايا الشرف- مثلا-، وانتحار الفتيات أو الشباب، بزعم أنه لم تُترك لهم الحرية في إقامة علاقات إباحية، تحميها قوانين الديمقراطية وحقوق

---

[1] الأصبهاني، **المفردات في غريب القرآن (ص: 470)**، بتصرف.

[2] النور: 11

[3] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم (6/ 160)**.

[4] النور: 19

الإنسان، وما علموا لجهلهم أنها بداية النهاية، والانسلاخ عن فطرة الغيرة والشرف، وتجاهلوا قول رب العـــــــــالمين: ﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ ﴾ [1]، ولو كان فيه خير فرجح على المفاسد لشُرِّع، ولكنه التقليد الأعمى للغرب، فهذه الدماء التي تسيل، والاضطراب في أمن الأسر، ما هو إلا نتيجة من نتائج البعد عن دين الله وعدم تحكيمه في الأرض، قال سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[2].

ثم من منظور آخر: وفي جلسة علمية ناقدة بين مجموعة من الأساتذة، طُرِحت قضية التدني العلمي لدى الطلاب، أسبابه وعلاجه، فاحتار الجالسون؛ إذ إن الكادر التعليمي كان من أصحاب الدرجات العلمية العليا، وأما المناهج فيقوم عليها (بروفسورات) وأساتذة جامعات وخبراء في التنمية البشرية، وأما المدارس فتعتبر نموذجية في بُنيتها عما كانت عليه سابقا، فأين الخلل؟!

وعند التمحيص والنظر في أحوال الطلاب، وجدوا أن الطالب الذي لم يتجاوز الصف السابع، يحمل جوالا تزيد قيمته عن راتب أستاذه لشهر، فيه أكثر من أربعين فيلما إباحيا، وصورا لنساء عاريات!!!!

إذن كيف يُنتظر من هؤلاء الشباب والفتيان إنتاج، ولم يُوفر لهم أسباب السكن النفسي وغيره؟!، ولذلك فإن الضرر الذي تُلحقه قنوات التلفزة، وتناقل الأشرطة الإباحية، في ظل المساعي الحثيثة للاحتلال وأذنابه في إسقاط الجيل الجديد في براثن الرذيلة المؤدية إلى العمالة، لهو الشر المستطير الذي يجب التنبه إليه، والتحذير منه بكل الطرق.

ثالثا: ما أُشيع وله أصل صحيح، فهُوِّل عن أصله بهدف إثارة الاضطراب والرعب في قلوب الموحـــــــــدين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا

[1] النساء: 25

[2] الأنعام: 82

غُرُورًا ﴾[1]، وكان هذا يوم الخندق، حيث تكالبت فيه قوى الكفر التي لا تجتمع إلا على قتال أصحاب المنهج الصحيح قديما وحديثا؛ فكما اجتمعت القبائل العربية من أهل الشرك مع أهل الكتاب وأهل النفاق في الخندق، اجتمعوا اليوم في حربهم ضد المسلمين الخُلَّص، فما أشبه اليوم بالأمس، وما أحرى الباحثين أن يجعلوا حادثة الخندق في دراساتهم، يقتبسون منها ما يعينهم على تجاوز هذه المرحلة العصيبة.

وهنا يبرز دور (الطابور) الخامس، فلنترك عروة بن الزبير يحدثنا عن بعض ما حدث فيها، حيث قال: فَلَمَّا اشْتَدَّ الْبَلَاءُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ نَافَقَ نَاسٌ كَثِيرٌ وَتَكَلَّمُوا بِكَلَامٍ قَبِيحٍ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا فِيهِ النَّاسُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ جَعَلَ يُبَشِّرُهُمْ وَيَقُولُ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ، فَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ آمِنًا، وَأَنْ يَدْفَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَفَاتِحَ الْكَعْبَةِ، وَلَيُهْلِكَنَّ اللهُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَلَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا فِي سَبِيلِ اللهِ ". فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ مَعَهُ لِأَصْحَابِهِ_سماه بعدها في رواية أخرى ب: مُعَتِّبَ بْنَ قُشَيْرٍ_: **أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ يَعِدُنَا أَنْ نَطُوفَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَأَنْ نَغْنَمَ كُنُوزَ فَارِسَ وَالرُّومِ، وَنَحْنُ هَا هُنَا لَا يَأْمَنُ أَحَدُنَا أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ، وَاللهِ لَمَا يَعِدُنَا إِلَّا غُرُورًا "**[2].

فقوله: يعدنا أن نطوف بالبيت... ونحن هنا لا يأمن أحدنا... كلمة حق أراد بها بث روح اليأس، وإشاعة الفوضى في أحلك ظرف يمر بالأمة، وهكذا أهل الإرجاف في كل زمان، لا يفتأون بكل طاقتهم عن أن يصدوا عن الإسلام.

ولا أدل على ذلك مما يشيعونه _مثلًا_ عند حديثهم عن القوة التي تتمتع بها أجهزة المخابرات العالمية، حتى أوصلوهم لدرجة العلم بكل شيء، مما كان سببا في إنتاج جيل منهزم قبل البلوغ، ينام قبل الغروب خوفا، فلطالما مكثت أمه تحيك له قصصا عن الخوف من الظلمة، فكيف

---

[1] الأحزاب: 12

[2] الطبري، **جامع البيان**،(20/ 223)، والبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي الخراساني أبو بكر (ت: 458هـ)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424 هـ ، كتاب: السير، باب: من ليس للإمام أن يغزو به بحال، (ح: 17864) **(9/ 55)**، **وحسنه** المدخلي، إبراهيم بن محمد(معاصر): **مرويات غزوة الخندق**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1424هـ، (267)..

يرجى من مثل هؤلاء تغيير الواقع المرير؟!، وأنَّى لهم أن يكونوا خير خلف لخير سلف؟ أين هم من أبناء الصحابة في الشجاعة، برغم قلة العدد والعتاد؟ وكيف غابت عنهم معية الله تعالى في بدر والخندق وحنين وسائر المعارك؟.

المطلب الثاني: التثبيط

الفرع الأول: التثبيط في اللغة والسياق القرآني

أولا: في اللغة

" ثبطه عن الأمر: ريثه فتثبط، وما ثبطك عن ذلك؟ وغلام ثبط وجارية ثبطة: فيهما كسل وثقل... وفرس ثبط: ثقيل النزول على الحجر"[1].

" وثَبَّطه عَلَى الأَمر فتَثَبَّط: وقَّفَه عَلَيْهِ فتوَقَّف. وأَثْبَطه المرَضُ إِذا لَمْ يَكَدْ يُفارِقُه. وثَبَطْتُ الرجلَ ثَبْطاً: حبَسْتُه، بِالتَّخْفِيفِ"[2].

ثانيا: في السياق القرآني:

لقد وردت هذه اللفظة في كتاب الله تعالى **مرة واحدة**، وأُسند الفعل فيها إلى الله تعالى، حيث قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ **فَثَبَّطَهُمْ** وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[3]، " فَثَبَّطَهُمْ: فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث "[4].

ومن ثم فقد يقول قائلٌ: التثبيط نُسب إلى الله تعالى في هذه الآية، وليس صفة من صفات المنافقين وغيرهم؟.

---

[1] الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد جار الله (ت: 538هـ)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419 هـ - 1998 م، 2مج، **(1/ 104)**، بتصرف.

[2] ابن منظور، **لسان العرب (7/ 267)**.

[3] التوبة: 46

[4] الزمخشري، **الكشاف (2/ 275)**.

والحق أنه وإن كان من فعل الله تعالى، غير أنه كموضوع _ والبحث يتعلق بالإرجاف كموضوع، وليس كمصطلح فحسب_ ورد كثيرا كفعل من أفعال المرجفين، كما سيأتي في الآيات الكريمة في الفرع الثاني من هذا المطلب.

ومن جانب آخر فلا يرى الباحث بأسا _والله أعلم_ من التعريج عليه، إذ إن فيه لفتة تستحق النظر، وهي: أن الله تعالى استخدم مع المرجفين أسلوبا يوافق أساليبهم، لكنه سُخِّر في خدمة المسلمين وليس كما استخدمه المرجفون. وهذا من باب الكيد بهم، فهم يكيدون والله يكيد بهم.

فما الحكمة من تكسيلهم عن القتال وعن الخروج مع المجاهدين ؟

لم يترك الله تعالى لنا أن نجتهد في الجواب، مخافة أن تكثر التأويلات؛ فالموقف لا يسمح للشائعات بأن تروج، والمسلمون بحاجة لكل ما يرفع المعنويات في قتال الروم _من أقوى القوى المادية كانت حينئذ_ حيث قال سبحانه: ﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾[1].

فذكر سبحانه الأسباب مفصلة وهي:

أولا: لوخرجوا فيكم أيها المؤمنون لم يزيدوكم إلا ضررا وفسادا.

ثانيا: ولأسرعوا بركائبهم السَّير بينكم ليفتنوكم عن الخروج بتثبيطهم لكم.

ثالثا: لقد جُرِّبوا في السابق ومنها في غزوة أحد، فخذلوا المسلمين بالانحياز عن القتال، وأجالوا فيك يامحمد وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله بالتخذيل[2] .

---

[1] التوبة: 48 – 47

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان (14/ 278– 283)**.

وهذا يعلمنا العمل بقاعدة: (سد الذريعة)، فلا نخرجهم معنا حتى لا يحدث التثبيط والتخذيل، وهذا ينسحب على كل أمورنا.

وأما وجه العلاقة بين التثبيط والإرجاف، فالتثبيط ثمرة من ثمار الإرجاف، فالإرجاف يشمل التكسيل وإضعاف الهمة عن القيام بالشيء، ويشمل التخويف والتيئيس وغير ذلك من وسائل.

الفرع الثاني: وسائل التثبيط.

يبرع المثبطون في استخدام وسائل شيطانية، يستطيعون من خلالها ثني الناس عن فعل الخير، فلا هم قدموا شيئا لخدمة هذا الدين، ولا هم يحبون أن يقدم أحد شيئا؛ حتى لا يشعروا حينها بمرارة السبق، وألم الحسرة بعد الحسد، **ومن تلك الوسائل:**

أولا: العبارات التي تحمل معاني اليأس، كالقول بأن النتيجة حتمية للواقع المحسوس، واستحالة التغيير، ومن ذلك قوله تعالى عن أسلوب من أساليب أهل التثبيط، يقوم على بيان أن الهزيمة حتمية لكثرة جموع الكفار وقوة العدة، فلا داعي إذًا لإهلاك النفس، فللبيت رب يحميه، حيث قال: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾[1].

وفي نزولها روى الواحدي عن قتادة قال: " ذَاكَ يَوْمُ أُحُدٍ بَعْدَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحَةِ وَبَعْدَمَا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "أَلَا عِصَابَةٌ تُشَدِّدُ لِأَمْرِ اللَّهِ فَتَطْلُبُ عَدُوَّهَا فَإِنَّهُ أَنْكَى لِلْعَدُوِّ وَأَبْعَدُ لِلسَّمْعِ"، فَانْطَلَقَ عِصَابَةٌ عَلَى مَا يَعْلَمِ اللَّهُ مِنَ الْجَهْدِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ جَعَلَ الْأَعْرَابُ وَالنَّاسُ يأتون عليهم، يقولون هَذَا أَبُو سُفْيَانَ مَائِلٌ بِالنَّاسِ، فَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ }. "[2]

---

[1] آل عمران: 173

[2] الواحدي، **أسباب النزول** (ص: 132)، قال محققه: مرسل **إسناده حسن**.

وقد ورد عن عكرمة أنه قال: " كَانَتْ بَدْرٌ مَتْجَراً فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَوْعِدُكَ عَامٌ قَابِلٌ، بَدْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هُوَ مَوْعِدُكَ فَلَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَوْعِدِ أَبِي سُفْيَانَ لَقِيَهُمْ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنَّ بها جموعا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَمَّا الْجَبَانُ فَرَجَعَ، وَأَمَّا الشُّجَاعُ فَأَخَذَ أُهْبَةَ التِّجَارَةِ، وَأُهْبَةَ الْقِتَالِ، وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، ثُمَّ خَرَجُوا حَتَّى جَاءُوا فَتَسَوَّقُوا بِهَا فَلَمْ يَجِدُوا بِهَا أَحَداً، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ "[1].

ويرى البيضاوي أن في رواية عكرمة **شذوذا** عن أقوال العلماء، والأرجح أنها "إنما نزلت في خروج النبي ﷺ إلى بدر الصغرى. وذلك أنه خرج لميعاد أبي سفيان في أحد"[2].

وأما قائل عبارة (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم)، فقد اختلف العلماء في تحديده[3]، وأيا كان القائل، أو الوقت الذي قيلت فيه، فشاهِدُنا مما سبق: **بيان صورة من صور التثبيط**، مورست في حق النبي (ﷺ) وأصحابه، وتُجمع الروايات السابقة وغيرها على أنها نزلت في أبي سفيان؛ لإثارة الفزع في قلوب المؤمنين.

*** إذن فدلالة الآية الكريمة كالآتي:**

الذين: هم المؤمنون، الذين استجابوا لله والرسول.

الناس(الأولى): هم قوم _الأعراب أو جماعة من بني عبد قيس أو نعيم بن مسعود_ كان أبو سفيان قد سألهم أن يثبِّطوا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد.

---

[1] الطبري، **جامع البيان** (ح 8250) (412/7)، وابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي (ت: 327هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد الطيب، مكتبة نزار الباز – السعودية، ط \ 3 – 1419 هـ، عند قوله: (وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، (ح4522) **(3/ 818-819)**.

[2] البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1- 1418هـ، **(2/ 49)**.

[3] انظر: أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمى البصري (ت: 209هـ)، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة، 1381هـ **(1/ 9)**، وابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (ص: 172)، والفراء: **معاني القرآن (1/ 247)**، وابن أبي حاتم: **تفسير القرآن العظيم (3/ 817)**.

الناس(الثانية): هم أبو سفيان وأصحابه من قريش– الذين كانوا معه بأحد–.

فاخشوهم: فاحذروهم، واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم.

فزادهم إيمانا: فزادهم يقينا إلى يقينهم، وتصديقًا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن بغيتهم التي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيها، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، وقالوا: كفانا الله، ونعم المولى لمن وليه وكفَله.[1]

وهذا ديدن المؤمن وغايته دائما رضى الله، لا يضره من خالفه ولا من خذله، إذا كان على بينة من أمره، ففي الطريق وعلى جنباتها مثبطون، نرجو لهم الهداية ونحب لهم ما نحب لأنفسنا من خير، ومن أبرزهم: الذين يقولون وبصوت ملؤه الرَّجف، إنَّ الغرب قد جمعوا لكم فاخشوهم، ونسوا ريح الأحزاب وجنودها، وعزة المؤمن واستعلاءه، ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[2].

ثانيا: العبارات المثبطة عن النفير للجهاد، والتي تُذَكِّرُ ضعاف الإيمان بنعيم الدنيا ومتاعها، من باب ثنيهم عن الخير، ومن ذلك قوله تعالى في ذهابهم إلى تبوك: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾[3].

يقول البيضاوي: " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله بقعودهم عن الغزو خلفه ... وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله إيثارا للدَّعة والخفض على طاعة الله ... وقالوا لا تنفروا في الحر أي قال بعضهم لبعض أو قالوه للمؤمنين **تثبيطاً** "[4].

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان (7/ 405)**.

[2] التوبة: 67

[3] التوبة: 81

[4] البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط/1 - 1418 هـ، (3/ 91).

فسبحان الحكيم الذي لم يلزمهم بالخروج مع رسوله، بل تركهم يقعدون مع الخوالف بالرغم من وهن الأعذار التي تذرعوا بها، إذ لو ألزمهم لكانوا عباً ثقيلا على الجيش: ﴿ **لَوْ** خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَالَكُمْ ﴾[1]، وسيشيعون الأكاذيب بين المؤمنين، ويحاولون إخافتهم من الحرب، وإذا بدأ القتال فهم أول الهاربين، بل ربما أعانوا العدو.[2]

وفي زمن الرويبضة الذي نحياه بلغ المثبطون قمة الهرم، فلا هم ذادوا عن حياض الأمة، ولا هم أعانوا من يذودوا بأموالهم وأقوالهم، بل ولا هم سكتوا– ويا ليتهم سكتوا–، ولم يكتفوا بالتخذيل والتثبيط، فلن يستمع لهم أحد حينئذ، بل وصلوا إلى درجةِ أنهم قاتلوا وقَتلوا وأَسروا ودَعوا الكفار لقتل أهل الإيمان، وأمدوهم بالمال والنصرة، عن أبي مسعودٍ[3] عقبة_رضي الله عنه_، قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (إِنَ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ)[4].

ثالثا: القعود بأنفسهم عن الفعل، وملامة غيرهم عليه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ** قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[5].

وقد ورد أنها نزلت في **عبد الله بن أبيّ وأصحابه**، وممن قال بذلك: (جابر بن عبد الله_رضي الله عنه _ وقتادة والسدي والربيع)[6] وابن جريج[7].

---

[1] التوبة : 47

[2] انظر: **تفسير الشعراوي** (9/ 5371).

[3] هو: "عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الأنصاري، أبو مسعود البدري. مشهور بكنيته. اتفقوا على أنه شهد العقبة، واختلفوا في شهوده بدرا، فقال الأكثر: نزلها فنسب إليها. وجزم البخاري بأنه شهدها،... مات قبل سنة أربعين... قلت: والصحيح أنه مات بعدها،... قيل: مات بالكوفة. وقيل: مات بالمدينة": ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، العسقلاني (ت: 852هـ): **الإصابة في تمييز الصحابة**، تحقيق: عادل أحمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1– 1415هـ، 8ج، (رقم:5622)، **(4/ 432)**، بتصرف.

[4] البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (ت: 256هـ): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**، تحقيق: محمد زهير، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، 9 مج، كتاب: أحاديث الأنبياء،(باب: حديث الغار)، (ح 3483) **(4/ 177)**.

[5] آل عمران: 168

[6] انظر: الطبري، **جامع البيان**، حسب الترتيب الأجزاء التالية: (8202–8200–8201–8203) **(7/ 383)**.

[7] انظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، (ح4483) **(3/ 811)**.

وذكر بعض العلماء أن المراد من هذه الأخوة: الأخوة في النسب، أو الأخوة بسبب المشاركة في الدار، على اعتبار أن اللام للتعليل، بمعنى: لأجل وليس للتعدية[1]، وأما إن كانت للتعدية، فتعني: أنهم إخوانهم في النفاق وفي عداوة الرسول ﷺ.

*** نلاحظ في ظلال ماسبق :**

أنه كان يدور حديث بينهم قبل معركة أحد للتثبيط عن الجهاد مفاده: أطيعونا واقعدوا[2]، ولهذا جاء اللوم منهم أن لو أطاعونا ما حدث لهم ذلك، فلم يكتفوا بالقعود والانخذال عن الجيش، بل راحوا يدعونهم إلى القعود، بل ولاموهم على المشاركة تثبيطا لهم في المستقبل عن الجهاد.

وفي الآية الكريمة لفتة بلاغية مفادها: تقديم القول على القعود، بالرغم من أن الواقع مغاير لذلك، كما يقول محمد رشيد رضا: " وقدم القول فيه على القعود عن القتال لأنه أقبح منه، فإن القعود ربما كان لعذر أو التمس الناس له عذرا، واللوم فيه على فاعله وحده، لأن إثمه لا يتعداه إلى غيره، وأما هذا القول الخبيث فإنه أدل على فساد السريرة وضعف العقل والدين، وضرره يتعدى لما فيه من تثبِيط همم المجاهدين"[3].

ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[4]، فالمنافقون يُخَذِّلون إخوانهم والمؤمنين قبل الغزو وبعده، ليورث كلامهم حسرة في القلوب لا تزيله الأيام، يقول في أضواء البيان: "بيَّن في آيات أخر أنهم يقولون لهم ذلك قبل الغزو **ليثبطوهم**"[5].

---

[1] انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي(ت: 606هـ)، **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية – بيروت – 1421هـ – 2000 م، ط1، مج (4/ 465)، والطبري، **جامع البيان** (7/ 382)، وابن عاشور، **التحرير والتنوير** (4/ 164).

[2] **تفسير الشعراوي** (3/ 1868).

[3] رضا، محمد رشيد، **المنار** (4/ 189).

[4] آل عمران: 156

[5] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (ت: 1393هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت – لبنان، 1415هـ _ بدون طبعة_ (1/ 214).

إذن فهي سنة متوارثة بينهم جيلا بعد جيل، لا تكاد تتخلف بالرغم من تباعد الأزمان وطولها.

المطلب الثالث: التخذيل

التخذيل عن اتباع الحق والتخويف من النتائج، وترك معونة من يحتاج إليها، أسلوب آخر للمرجفين.

الفرع الأول: مفهوم التخذيل وروده في السياق القرآني

أولا: التخذيل في اللغة.

"خذل: خَذَل يخذُلُ خَذْلاً وخِذْلاناً، وهو تركك نصرة أخيك، وخِذْلانُ الله للعبد: ألا يعصمه من السوء، والخاذِلُ والخَذولُ من الظباء والبقر الوحشية: التي تخذُلُ صواحبَها في المرعى وتنفرد مع ولدها، وقد أَخْذَلَها ولدها"[1].

و" التَّخْذِيل: حَمْلُ الرجلِ على خِذْلان صاحبه وتَثْبِيطُه عن نصرته."[2] فخَذَله يعني: ترك النصرة عند شدة الحاجة، وخَذَّله: حمل الغير على عدم نصرته وهذا أشد، فنتيجة التخذيل وعدم النصرة، حدوث اضطراب وزعزعة في الصف المسلم، ومؤداه الهزيمة والانكسار.

فهذا المظلوم الذي ينتظر نصرة من إخوانه، كيف يكون حاله إذا خذلوه وقد كان يتوسم فيهم خيرا، لا شك بأن له أسوء الأثر على حاله ومآله.

ثانيا: التخذيل في الاصطلاح.

نظرا لترابط المعنى اللغوي بالاصطلاحي؛ فإن العلماء لم يتطرقوا له كمعنى منفصل، ومع ذلك فقد جاء في معجم لغة الفقهاء أنه: " العمل على إبعاد الناس عن قتال العدو"[3].

---

[1] الخليل، أبو عبد الرحمن بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت: 170هـ)، **العين**، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 8 مج (4/ 244).

[2] ابن منظور، **لسان العرب** (11/ 202).

[3] قلعجي، محمد رواس، وقنيبي، حامد صادق، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس، ط/2، 1408 هـ، (ص: 125)، وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبا السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري (ت: 606هـ)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ – 1979م، تحقيق: طاهر الزاوى ومحمود الطناحي، 5ج، (2/ 16).

ثالثا: التخذيل في السياق القرآني.

لقد وردت مادة (خذل) ثلاث مرات في الآيات القرآنية، في قوله تعالى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن **يَخۡذُلۡكُمۡ** فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا **مَّخۡذُولٗا** ﴾[2]، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ **خَذُولٗا** ﴾[3].

والجامع في ورود اللفظ في السياق القرآني هو: ترك العون والمدد، وهو ما يتفق تمام الاتفاق مع المعنى اللغوي والاصطلاحي.

ومن هنا فإن التخذيل- سواء كان بترك النصرة، أو بمنع الغير منها- أسلوب مشين من أساليب أهل الإرجاف، يدل على خبث في الطبع، وسوء في السريرة.

وعليه فإن في التخذيل منعا للناس من النهوض للقتال، وفي الإرجاف نشر للاضطراب بين المسلمين، **فالإرجاف أعم من التخذيل.**

الفرع الثاني: أشكال التخذيل.

تتعدد أشكال التخذيل عن نصرة الحق وأهله، كيف لا وأهل الأهواء – بقيادة إبليس عليه من الله ما يستحق- على مر الزمان قد أخذوا على عاتقهم محاربة أولياء الله، إنها معركة الحق والباطل، **ولنضرب مثالين على التخذيل كما عرضهما القرآن الكريم:**

أولا: بث روح الهزيمة النفسية، كما قال سبحانه: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ **وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا** فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾[4]، ثم ما لبثوا إلا أن أساؤوا الأدب مع النبي ومع الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ

---

[1] آل عمران: 160

[2] الإسراء: 22

[3] الفرقان: 29

[4] المائدة: 22

﴿ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴾[1]، إنها اللحظات الحاسمة التي يحتاج موسى(عليه السلام) فيها إلى نصرتهم.

و"الظاهر أنهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء، وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عزّ وجلّ جهرة . والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم"[2].

ومما يكشف الحدث وعظمه، دعاء موسى عليه السلام على إثرها: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[3]، وهكذا المؤمن دائم اللجوء إلى الله، إذا خذله الناس، فلن يخذله ربه، فهو لا يملك إلا نفسه وأخاه بعد خذلان بني إسرائيل.

وكذلك فعل بعض جنود طالوت، حيث قالوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ ﴾[4]، وهكذا ضعاف الإيمان في كل زمان، لا يبخلون بجهد يكون فيه زعزعة الثقة بالله ونصره، فلا هم قدموا جهدهم حسب استطاعتهم، ولا هم قعدوا عن نصرة المؤمنين وكفوا ألسنتهم عن إخوانهم، "والضمير في { قَالُواْ } للكثير المنخذلين عنه اعتذاراً في التخلف وتخذيلاً للقليل"[5].

ثانيا: الانسحاب قبل بلوغ الهدف، ليكسروا القلوب ويثيروا الحسرة في النفوس، كما في غزوة أحد عندما رجع ابن أبي سلول بثلث الجيش، وأظهر الشماتة بالمسلمين، بحجج واهية تدل على خذلانه لهم، وفي ذلك قال تعالى:﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ

---

[1] المائدة: 24

[2] الزمخشري: **الكشاف** (2 / 16).

[3] المائدة: 25

[4] البقرة: 249

[5] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (281/1).

﴿ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [1].

روى الطبري بسنده عن جمع من العلماء_منهم: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وغيرهما_ قولهم: " خرج رسول الله ﷺ- يعني حين خرج إلى أحد – في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة، **انخزل عنهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول بثلث الناس** وقال: أطاعهم فخرج وعصاني! والله ما ندري علامَ نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس!! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريْب، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول: يا قوم، أذكّركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوّهم! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم، ولكنا لا نرى أن يكون قتال! فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أبعدَكم الله أعداء الله! فسيُغني الله عنكم! ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

وذكر بعض أهل التفسير[3] في معنى قول الله تعالى على لسان المنافقين:﴿ **لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ** ﴾ أقوالا مفادها:

أولا: لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالاً لاتبعناكم فيه لكن ما أنتم عليه ليس بقتال بل إلقاء بالأنفس إلى التهلكة.

ثانيا: لو نحسن قتالاً لاتبعناكم فيه، وإنما قالوه دغلاً واستهزاء وتخذيلا لغيرهم.

ثالثا: لو نحسن قتالاً لاتبعناكم فيه، وإنما قالوه تذرُّعا لعدم المشاركة.

---

[1] آل عمران: 167

[2] الطبري، **جامع البيان**(ح: 8193) (7/ 378)، لم أقف على صحته، ولكن يشهد لعمومه حديث من رواية البخاري في **صحيحه**، كتاب: المغازي، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ، (ح: 4050) (5/ 96)، ومسلم في **صحيحه**، كِتَابُ: صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ،(ح: 2776) (4/ 2142).

[3] انظر: الماوردي، **النكت والعيون** (1/ 435)، والرازي: **التفسير الكبير** (4/ 464)، والبيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (411/1).

وأجيب عنها:

أولا: كيف لا يعلمون أن المسلمين ذاهبون للحرب، وذلك ظاهر في كل شيء من التجهيزات والإعداد من كلا الجيشين؟، وحتى لو كان ذلك ظنا فهو يؤدي إلى العلم، "لأن الظن في أحوال الدنيا قائم مقام العلم، وأمارات حصول القتال كانت ظاهرة في ذلك اليوم "[1].

ثانيا: وأما أنه إلقاء بالنفس إلى التهلكة، فكيف ذلك وهو خروج في سبيل الله تعالى وبأمره سبحانه؟.

ثالثا: وأما كونهم لا يحسنون القتال، فهو عذر أقبح من ذنب؛ إذ كيف يصح وهم أهل الحروب الطاحنة، قبل الإسلام وبعده؟.

ولم يبق إلا أنه الإنخذال والتخذيل، و"{ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ للإيمان } لانخذالهم، وكلامهم هذا فإنهما أول أمارات ظهرت منهم مؤذنة بكفرهم، وقيل: هم لأهل الكفر أقرب نصرة منهم لأهل الإيمان، إذ كان انخذالهم ومقالهم تقوية للمشركين، وتخذيلاً للمؤمنين"[2] .

وما أجمل ما ربطه البقاعي من أراجيف المنافقين بقوله:" { لقد ابتغوا } أي طلبوا طلباً عظيماً كلهم لكم { الفتنة } أي **لتشتيتكم** { من قبل } أي قبل هذه الغزوة في يوم أحد **بكسر قلوب العسكر** بالرجوع عنه حتى كاد بعضهم أن يفشل، وفي المريسيع بما قال ابن أبيّ: { ليخرجن الأعز منها الأذل } [المنافقون : 8] وفي غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب في أخذ كنوز كسرى وقيصر **والإرجاف بكم** في نقض بني قريظة، وغير ذلك. كما صنعوا قبله في غزوة قينقاع والنضير في قصدهم تقوية كل منهم عليكم " [3].

---

[1] الرازي: **التفسير الكبير** (464/4).

[2] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** (411/1).

[3] البقاعي، **نظم الدرر** (3/ 465).

ومن اللفتات البلاغية الواردة في هذا المقام:

ورد في الآية قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ﴾، وجاء قبلها قوله سبحانه: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، فالأولى(نافقوا) على هيئة الفعل، والذي يدل على تجدد النفاق منهم كلما سنحت لهم الفرصة. والثانية(المؤمنين) على هيئة الاسم، ومن دلالته أن الاسم يدل على تأكيد المعنى، معنى الإيمان وثباته واستقراره في نفوسهم.[2]

المطلب الرابع: اللمز والهمز و النبز

اللمز والهمز والنبز من أساليب أهل الإرجاف، هدفها منع الخير، وتقوم على إظهار النقد للآخرين بهدف ثنيهم عما هم عليه من الحق، فكل من يخدم الإسلام بماله أو متاعه أو حتى بكلماته أو غير ذلك مما يملك، فإنه معرض لسيل جارف من اللمز والنبز والهمز، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ﴾[3].

الفرع الأول: مفهوم اللمز والهمز والنبز في اللغة والسياق القرآني

أولا: مفهوم اللمز والهمز والنبز في اللغة والاصطلاح

أولا: اللمز:

" لمز: اللمز: العيب، ... ورجل لمَّاز ولمزة، أي: عيَّاب" [4]، وهو" كالغمز [في الوجه] تَلْمِزُه بفيك بكلام خفّي... ورجل لُمَزة: يعيبك في وجهك لا من خلفك" [5].

---

[1] آل عمران: 166

[2] انظر: الرازي، **التفسير الكبير** (463/4).

[3] التوبة: 79

[4] ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ)، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2– 1406 هـ – 1986 م، ج 2، (ص: 794)، بتصرف.

[5] الخليل بن أحمد، **العين** (7/ 372)، بتصرف.

ثانيا: النبز:

" النَّبْـز، مصـدرُ نَبَـزَه يَنْبِـزه، إذا لَقَّبَـه، كنبَّـزَه، شُـدِّد للكثـرة. النَّبَـز، بِالتَّحْرِيـكِ: اللقَـبُ والجَمـعُ الأَنْباز... ورجلٌ نُبَزَةٌ، كهُمَزة: يُلقِّبُ الناسُ كثيرا. والتَّنابُز: التّعايُر، وَهُوَ أَن يُلقِّبَ بَعْضُهم بَعْضًا بِمَا يُعيِّرُه بِهِ "[1].

ثالثا: الهمز:

"همز: الهمز كالعصر، يقال: همزت الشيء في كفي، ومن ذلك الهمز في الكلام لأنه كأنه يضغط الحرف... وهمز به الأرض: ضرب به... والهماز: الذي يهمز في قفا الرجل يعيبه، وكذلك الهمزة"[2].

الفرق بين المفاهيم السابقة:

إن اللمز هو: أن يعيب الشخصُ شخصا آخر في حضرته، بينما الهمز فهو: أن يعيبه في غيبته، وأما النبز فهو: أن يعيبه بإشاعة لقب يكرهه.[3]

وعلاقة الرجف بالمصطلحات الثلاثة: أنها وسائل للإرجاف، يستخدمها المرجفون _كما أسلف الباحث_ في إحداث اضطراب في النفوس تثنيهم عن تقديم الخير، ولا أدل على ذلك مما نراه في المساجد وغيرها، عندما يتصدق البعض بمبلغ زهيد أو كبير، حتى تنهال ألسن الكثيرين سرًّا وجهرا، بالقول: هذا لله وهذا رياء، وهذا قليل وهذا كثير، وما كُلِّفوا بالتنقيب عما في القلوب.

ثانيا: مفهوم اللمز والهمز والنبز في السياق القرآني.

أولا: وردت المادة (لمز) أربع مرات في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن **يَلْمِزُكَ** فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ **يَلْمِزُونَ** ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي

---

[1] الزَّبيدي، مرتضى محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت: 1205هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية_ بدون سنة ولا طبعة_ (15/ 342)، بتصرف.

[2] ابن فارس، **مجمل اللغة** (ص: 909)، بتصرف.

[3] انظر: الخليل بن أحمد، **العين** (4/ 17)، والعسكري، **الفروق اللغوية** (ص: 53).

[4] التوبة: 58

ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ﴾[2]، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[3].

ثانيا: وردت المادة (نبز) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ ﴾[4].

ثالثا: وردت المادة: (همز) ثلاث مرات، كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴾[7].

ملاحظات على ما سبق:

1. من الملاحظ أن ثلاثا من أربع مرات وردت المادة (لمز) فيها على هيئة الفعل المضارع، والرابعة على الاسم، وهذا يبين سبب كثرة التركيز على النهي عن اللمز، حيث إنه يدل على تجدد حدوث اللمز من المنافقين وزمرتهم، الذين يهتبلون كل فرصة للصد عن سبيل الله.

2. جاء لفظ (التنابز) مرة واحدة، لأنه لم يكن ظاهرة تحتاج إلى كثير من النصوص لمعالجتها مع القياس باللمز والهمز اللَّذَين وردا سبع مرات.

3. كذلك نلاحظ أن اللمز جاء في ثلاث آيات للحديث عن الصدقة والمال، وهذا يتوافق مع النظرة المادية للمنافقين وضعاف الإيمان، وتغليبهم الدنيا على الآخرة، واستحواذها على قلوبهم.

وجاء اللفظ الرابع (لمزة) عاما ليشمل كل ما فيه من تعييب أو طعن بالمسلمين.

---

[1] التوبة: 79
[2] الحجرات: 11
[3] الهمزة: 1
[4] الحجرات: 11
[5] المؤمنون: 97
[6] الهمزة: 1
[7] القلم: 11

الفرع الثاني: أشكال الهمز واللمز والنبز.

تتعدد أشكال الإرجاف بلمزٍ وهمزٍ ونبزِ الثُّلَّة المؤمنة كما عرضها القرآن الكريم، بالوصف وبالهمس وبالألقاب تارة، وباتهام النوايا تارة أخرى، وغير ذلك كما سيأتي، **ومن ذلك:**

أولا: وصف أهل الإيمان بالأراذل والوضعاء، لإحداث اضطراب في قلوبهم لتنكسر، فالواقع يثبت أن لهذه الوسيلة أثراً على النفوس أشد من عمل السيوف، ومن ذلك ما ذكره ربنا عن قوم نوح عليه السلام، حيث **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ **هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ** وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[1]، وهكذا حال الجاهلية في كل زمان، يغلب فيها مقياس المادة على مقياس الدين والأخلاق، فمقياسهم: غني وفقير، شريف ووضيع، سيد ورذيل _حقير _، ويجب ملاحظة دور الملأ في السياق، وهكذا هم دائما يحرّضون على الإرجاف.

وقد ورد[2] في قوله تعالى: ﴿ **بَادِيَ ٱلرَّأْيِ** ﴾ قراءتان: **قراءة الجمهور**_عامة قرّاء المدينة والعراق _: (بَادِيَ) ، بغير همز، بمعنى: ظاهر الرأي، من: بدا يبدو، إذا ظهر، وقرأ **بعض أهل البصرة:** (بَادِئَ) ، مهموزا، بمعنى: مبتدأ الرأي، من: بدأت بهذا الأمر، إذا ابتدأت به قبل غيره، ورجح الطبري[3] القراءة الأولى لتوافقها مع ما قبلها من قوله: أراذلنا، بمعنى: أراذلنا كما يظهر لنا.

وعلى اعتبار القراءتين السابقتين يصبح للآية الكريمة معنيان، هما:

المعنى الأول: على قراءة الهمز، اتبعك الأراذل الحقراء بابتداء رأيهم بلا تفكُّر.

---

[1] هود: 27

[2] أبو بكر بن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، البغدادي (ت: 324هـ): **السبعة في القراءات**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف – مصر، ط/2، 1400هـ، (ص: 332).

[3] الطبري، **جامع البيان** (15/ 295).

المعنى الثاني: على القراءة بغير الهمز، أراذلنا اتبعوك بأقل الرأي وما ظهر لهم منه، أو اتبعوك في الظاهر وباطنهم بخلافه. [1]

وعليه فإنهم يريدون إبطال دعوة النبي بالزعم أولا: أن أتباعه من الأراذل، وثانيا: بأنهم اتبعوه بلا تفكر، أو أنهم يظهرون له خلاف ما يبطنون، وهذا من شأنه أن يزعزع الثقة بين الأتباع ويفرق الجموع المؤمنة.

ثانيا: يصفون المتصدقين إما بالمرائين وإما بالبخلاء حسب حجم الصدقة، وهكذا ديدنهم البخل ومنع الناس عما ينفعهم في دينهم وآخرتهم، قال سبحانه: ﴿ **ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ** ﴾ [2].

روى أبو مسعود الأنصاري _رضي الله عنه_ في سبب نزول الآية، قَالَ: " لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ الصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالُوا: مُرَائِي، وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا، فَنَزَلَتْ: {الَّذِينَ يَلْمِزُونَ المُطَّوِّعِينَ} الآيَةَ "[3].

وأما" قوله كنا نحامل أي: نحمل على ظهورنا بالأجرة... قوله فجاء رجل فتصدق بشيء كثير هو: عبد الرحمن بن عوف... الشيء المذكور كان: ثمانية آلاف أو أربعة آلاف. قوله: وجاء رجل هو: أبو عَقِيل "[4] .

وما دلت عليه الآيات يتكرر، ونراه في واقعنا، وهذا الصنف من الناس موجود في كل زمان، لا شيئا ويلمزون من يقدم .

---

[1] الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450 هـ) ، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية – بيروت ، تحقيق : السيد بن عبد المقصود، مج6 –بدون سنة ولا طبعة– (2/ 465)، و الزمخشري، **الكشاف** (80/3).

[2] التوبة: 79

[3] رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب: الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، (ح 1415) (2/ 109)، واللفظ له، ومسلم، ابن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 5 مج، كتاب: الزكاة، باب: الحمل أجرة يتصدق بها، والنهي الشديد عن تنقيص المتصدق بقليل، (ح 1018) (2/ 706).

[4] ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني(ت: 852 هـ)، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة – بيروت، 1379هـ، رقمه: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف عليه: محب الدين الخطيب، 13مج (284/3– 283)، بتصرف.

ثالثا: يتناجون بكلمات مهموسة، تضرب صميم قلب المؤمن فتحزنه وترجفه، ولا شك في أن لها أثرا كبيرا على النفس؛ فالمسلم صاحب مشاعر مرهفة، وأما جنود إبليس الأوفياء، فلا يدعون طريقا للإرجاف إلا ويستخدمونه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[1].

ففي هذه الآية " تسلية للمؤمنين وتأنيس لنفوسهم، يُزال به ما يلحقهم من الحزن لمشاهدة نجوى المنافقين لاختلاف مذاهب نفوسهم إذا رأوا المتناجين في عديد الظُّنون والتَّخوُّفات"[2].

وعن ابن عمر_رضي الله عنهما_ أن رسول الله ﷺ قال: " إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةٌ فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ" [3].

وهنا يجب التنبه إلى أن العدد إن زاد عن الثلاثة يبقى له حكم التناجي إن استثنوا أحدهم من الحديث" وإنما خص الثلاثة بالذكر، لأنه أول عدد يتأتى ذلك المعنى فيه، وظاهر الحديث يعم جميع الأزمان والأحوال... وسواء أكان التناجي في مندوب أو مباح أو واجب فإن الحزن يقع به"[4].

رابعا: يلقبون أهل الإيمان بألقاب منفرة، كما فعلوا مع رسول الله ﷺ، حيث إنهم وصفوه بالأبتر والأذن، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾[5].

وقد روى ابن أبي حاتم عن السدي أنهم مجموعة من المنافقين، وأنهم أرادوا الوقوع في الرسول ﷺ فخشي بعضهم أن يصل خبرهم للرسول، فقال آخرون: إنما محمد أُذن نحلف له فيصدقنا[6]، وفي هذا يقول ابن عباس:" أَيْ يَسْمَعُ مَا يُقَالُ لَهُ "[7].

---

[1] المجادلة: 10

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير (28/ 34)**.

[3] البخاري: **الصحيح**، كتاب: الاستئذان، باب: لا يتناجى اثنان دون الثالث، **(ح 6288) (8 / 64)** _اللفظ له_، ومسلم، **الصحيح**، كتاب: الآداب، باب: تحريم مناجاة اثنين دون الثالث، (ح 2183) (4 / 1717).

[4] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (17/ 295)، بتصرف.

[5] التوبة: 61

[6] انظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح 10400) (6/ 1826).

[7] المصدر السابق (ح 10401) (6/ 1826).

" ومعنى هو أُذُن: الإخبار عنه بأنه آلة سمع، والإِخْبار ب: (هو أذن) من صيغ التشبيه البليغ، أي كالأذن في تلقي المسموعات لا يرد منها شيئا، وهو كناية عن تصديقه بكل ما يسمع من دون تمييز بين المقبول والمردود... وفيه زيادة في الأذى للرسول ﷺ وإلقاء الشك في نفوس المسلمين في كمالات نبيئهم عليه الصلاة والسلام... ومضمون جملة (ويقولون هو أُذُن): عطف خاص على عام، لأن قولهم ذلك هو من الأذى "[1].

لقد بلغوا في هذا القول قمة الحمق، حيث إنه (ﷺ) أُذُن خير، سمَّاع للوحي وما فيه من كلام الله تعالى، وأُذن للمؤمنين بتصديقهم، وأما أنه يَكِلُ المنافقين إلى الله، فهو الحِلم والاشتغال بالنافع، وإعراضٌ عن الجاهلين، ولو كان لهم عقول لتنبهوا أن الله يفضحهم دائما وينزل فيهم قرآنا، وهذا أعظم دليل على صدقه، فهلا ارتدعوا وارعووا عن غيهم، وتابوا عن كفرهم، لو كانوا يعقلون.

المطلب الخامس: الإرهاب

تخرج من أفواه الكثيرين من أبناء الملة مصطلحاتٌ تحمل في طياتها صور الدمار والدِّماء والأشلاء، ينسبونها إلى الإسلام والإسلام منها براء من هذه المصطلحات مصطلح الإرهاب؛ فهل الإسلام دين الإرهاب كما يزعم أعداؤه من الداخل والخارج؟، أم أنه وسيلة _وبشروط_ وليس غاية؟، وما هو موقف الإسلام منه؟، هذه الأسئلة وغيرها سيقوم الباحث بدراستها بمنهجية علمية من خلال ربطها بالإرجاف، ومن خلال مقاصد القرآن الكريم _ إن شاء الله تعالى_.

الفرع الأول: الإرهاب في اللغة والاصطلاح.

أولا: الأصل(رهب) في اللغة.

بعد النظر والتأمل فيما ذكره أهل اللغة، يرى الباحث أن أصل المادة (رهب) يرجع إلى (الخوف)؛ حيث ذكر الخليل بن أحمد[2] أنها من: رَهِبْت الشيء أَرْهَبُه رَهَبا ورَهْبة، أي: خِفته، وأَرْهَبْت فلانا، والرَّهْبانية: مصدر الرّاهب، والتَّرَهُب: التعبد في صومعة، والجمع: الرَّهبان.

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (10/ 241-242)، بتصرف.

[2] انظر: الخليل بن أحمد، **العين** (4/ 47- 48).

واعتبر أن الرَّهْب– بالجزم– لغة في الرَّهَب، والرَّهْباء: اسم من الرَّهَب، واستشهد عليه بأن: الرَّهباء من الله، والرَّغْباءُ إليه.

وذكر أن الرَّهابة هو: عُظَيم في الصدر يُشرف على البطن، كأنه طَرَف لسان الكَلْب، وناقة رَهْب، أي: مهزولة جدا، والرِّهابُ: الرِّقاق من النِّصال، مما جعل ابن فارس[1] يعتبرها أصل ثان يدل على الرقة والخفة.

وقد يطرأ سؤال في هذا المقام هو: هل هناك فرق بين الخوف والرهبة؟

ذكر العسكري أن الرهبة طول الخوف واستمراره، ولهذا قيل للراهب راهِب؛ لأنه يدوم خوفه، واعتُبر أن أصله من قولهم: جمل رهب، إذا كان طويل العظام.

وأن هناك فارقا آخر مفاده: أن الرهبة خوف يقع على شرط حدوث أمر ما، فإن لم يقع فلا يحدث الخوف. [2]

ثانيا: (الإرهاب) في الاصطلاح.

بعد البحث والتحري لم أجد تعريفا خاصا بالإرهاب؛ لأنه مصطلح حديث لم يتداول في القرون الفاضلة الأولى ولا التي بعدها، وذُكِر[3] أن أول ظهور له كان بعد الثورة الفرنسية ما بين سنة:1789_1794م، وأنه لم تتفق تعريفات علماء الإسلام مع الغرب عليه؛ لاختلاف النظرة إليه، ولكن الذي يهمنا في بحثنا هذا النظرة الشرعية الموافقة للقرآن والسنة.

وبناء عليه فقد اخترت تعريف علمائنا في بيانٍ عن مجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته السادسة عشرة، المنعقدة في شوال من عام 1423 هـ_2002 م، وجاء فيه:

---

[1] انظر: ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (2/ 447).

[2] انظر: العسكري، **الفروق اللغوية** (ص: 261).

[3] انظر: العبد الجبار، عادل، **الإرهاب في ميزان الشريعة**، (ص: 19). **الرابط:** www.saaid.net/Doat/adel/8.htm

"هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغيا على الإنسان:(دينه ودمه وعقله وماله وعرضه)، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذا لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم، بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم أو أموالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية أو الطبيعية للخطر؛ فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله – سبحانه وتعالى – المسلمين عنها"[1].

ومن الملاحظ على التعريف:

أولا: إن فيه تكرارا كثيرا، كعبارة: (العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات)، و(وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد)، وغيرها. كذلك في طوله وعدم إيجازه، كما هي تعريفات العلماء للمصطلحات.

ثانيا: إنه يحمل في طياته بعدا سياسيا قائما على الدفاع عن الإسلام بوصفه إرهابيا، وذلك لأن البيان خرج بعد أحداث (الحادي عشر من سبتمبر سنة 2001 م)[2]، والهجمة الشرسة التي شنتها أمريكا وحلفاؤها الغربيون على العالم الإسلامي[3].

ثالثا: اشتمل التعريف على قيد هام هو: (ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل **بغير حق)**، وأيضا قولهم: بغيا، وذلك حتى لا يُعتبر الدفاع عن النفس والأهل والمال والعرض والأرض _وغيرها من أصناف الجهاد_ إرهابا. وحتى لا يعتبر المظلوم الذي من حقه رد الظلم عن نفسه إرهابيا، فيَختلط حينها المشروعُ بغيره، وتزداد الأمور تعقيدا، كما هو اليوم حاصل من اعتبار الشعوب التي تريد التحرر من الاحتلال الأجنبي شعوبا إرهابية_منها شعبنا الفلسطيني_، مما أدى إلى ردات من الفعل لا ولن تنتهي حتى يزال الظلم وتحل العدالة.

---

[1] كتاب: **قرارات المجمع الفقهي الإسلامي** (ص: 355 – 356)، الرابط: http://www.minshawi.com/node/766

[2] وفيه تم ضرب رأس الإرجاف العالمي: الولايات المتحدة الأمريكية، من قبل تسعة عشر رجلا تابعين للشيخ أسامة بن لادن، بطائرات ارتطمت في بعض أبراجها.

[3] كما ذكروا هم في: **قرارات المجمع الفقهي الإسلامي** (ص: 369).

رابعا: من الضرورة بمكان ما ذكر في التعريف من (إرهاب الدول)، لأن إرهاب الدول أشد الأنواع خطرا، وأكثرها تأثيرا، وأوسعها انتشارا، وهو السبب الرئيس في انتشار الأنواع الأخرى من الإرهاب.

خامسا: وبناء عليه فإن معنى **الإرهاب اصطلاحا** يدور على: شدة الخوف والتخويف الواقع على الفرد أو الجماعة أو الدولة من قبل فرد أو جماعة أو دولة.

سادسا: يظهر من بيانهم أن **الإرهاب نوعان:**

الأول: المشروع، ومنه دعوة الله تعالى للمسلمين بالإعداد المادي لإرهاب أعدائهم، كما جاء في قوله تعالى:﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ ﴾[1].

فإن إرهاب الأعداء الذين يسومون المسلمين سوء العذاب من أوجب الواجبات، إذ لا يتم الدفاع ولا حماية بيضة المسلمين إلا به؟، فبالإعداد والجهاد في سبيل الله تتحقق المقاصد، ويُكفُّ شر الكفار، وينتهي الظلم.

ولهذا أمر الله تعالى "المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين، من السلاح والرمي وغير ذلك، ورباط الخيل"[2].

ويحصل الإرهاب من وجهين،"الأول: أنهم إذا شاهدوا قوة المسلمين وكثرة آلاتهم وأدواتهم انقطع عنهم طمعهم من أن يصيروا مغلوبين، وذلك يحملهم على أن يتركوا الكفر في قلوبهم وبواطنهم، ويصيروا مخلصين في الإيمان، والثاني: أن المنافق من عادته أن يتربص ظهور الآفات ويحتال في إلقاء الإفساد والتفريق فيما بين المسلمين، فإذا شاهد كون المسلمين في غاية القوة خافهم وترك هذه الأفعال المذمومة"[3].

---

[1] سورة الأنفال: 60

[2] الطبري، **جامع البيان** (37/14).

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب** (7/ 424).

ولعل مما يزيد الفكرة رسوخا في النفس رَبط موضوع الإعداد بوظيفة الدعوة إلى الله، إذ كيف يتصور المرء فينا، أن يسمح الغرب بنشر دعوة التوحيد من غير وجود قوة تحميها؟، فيجب علينا أن لا ننسى أن "الإسلام ليس نظاماً لاهوتياً يتحقق بمجرد استقراره عقيدة في القلوب، وتنظيماً للشعائر، ثم تنتهي مهمته! إن الإسلام منهج عملي واقعي للحياة؛ يواجه مناهج أخرى تقوم عليها سلطات وتقف وراءها قوى مادية. فلا مفر للإسلام _لإقرار منهجه الرباني _ من تحطيم تلك القوى المادية، وتدمير السلطات التي تنفذ تلك المناهج الأخرى، وتقاوم المنهج الرباني...

وينبغي للمسلم ألا يتمتم ولا يجمجم وهو يعلن هذه الحقيقة الكبيرة... ينبغي ألا يستشعر الخجل من طبيعة منهجه الرباني. ينبغي أن يذكر أن الإسلام حين ينطلق في الأرض إنما ينطلق لإعلان تحرير الإنسان بتقرير ألوهية الله وحده وتحطيم ألوهية العبيد!... إنه لا ينطلق لاسترقاق العبيد ليفلَحوا مزارع الأشراف كالرومان؛ ولا لاستغلال الأسواق والخامات كالرأسمالية الغربية؛ ولا لفرض مذهب بشري من صنع بشر جاهل قاصر كالشيوعية وما إليها من المذاهب البشرية... هذه هي الحقيقة الكبيرة التي يجب أن يدركها المهزومون الذين يقفون بالدين موقف الدفاع؛ وهم يتمتمون ويجمجمون للاعتذار عن المد الإسلامي! والجهاد الإسلامي"[1].

ومما يؤكد ذلك قراءة تُرْهِبُون بالتشديد: (تُرَهِّبُونَ)[2]، حيث تحمل معنى المبالغة في الإرهاب، وفيها إشارة إلى حجم الحدث وأهميته.

الثاني: الإرهاب غير المشروع، من تخويف الآمنين _المسالمين بغض النظر عن عقيدتهم_ وإدخال الرعب والفزع عليهم، كما بُيِّن في التعريف السابق، بصرف النظر على من يقع عليه، وبخاصة في بلاد الإسلام التي انتُهكت محارمها، ولا مُنكِر.

---

[1] قطب، سيد بن إبراهيم (ت: 1969م): **في ظلال القرآن**، دار الشروق، ط/9، 1980م، (3/ 1544).

[2] انظر: ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت: 833هـ)، **تحبير التيسير في القراءات العشر**، تحقيق: د.أحمد القضاة، دار الفرقان– عمان، 1421 هـ – 2000 م، ط/1، (386/1).

الفرع الثاني: مادة (رهب) في السياق القرآني

ورد اللفظ (رهب) اثنتا عشرة مرة في كتاب الله تعالى، موزعة في عشر سور هي:(البقرة، المائدة، الأعراف، الأنفال، التوبة، النحل، الأنبياء، القصص، الحديد، الحشر).

وقد جاءت اشتقاقات (رهب) في الآيات الكريمة على ثلاثة أوجه هي:

الأول: على هيئة الفعل، كما في الآية: (40) من سورة البقرة:﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ **فَٱرۡهَبُونِ** ﴾، وهكذا الآية: (154) من سورة الأعراف: ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ **يَرۡهَبُونَ** ﴾، والآية: (51) من سورة النحل: ﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَإِيَّٰيَ **فَٱرۡهَبُونِ** ﴾، والآية:(60) سورة الأنفال:﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ **تُرۡهِبُونَ** بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾، وفي الآية: (116) من سورة الأعراف:

﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ **وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ** وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴾.

وجميعها جاء في المعنى الممدوح للإرهاب باستثناء الآية الأخيرة، ولعل في مجيئها على المعنى الممدوح في _جُلِّها_، إشارة إلى وجوب تجديد الفعل بين الفينة والأخرى، سواء في تعلقه بالرهبة من الله، أو في إرهابنا لأعداء الملة، ووالله إنها قمة الحكمة، فدرء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

فقد يخسر المجتمع أموالا باهظة في الشراء والإعداد والجنود، لكنه هذا لا يداني _بلا شك_ المفاسد الهائلة من التقاعس عنه، ولا أدل على ذلك من واقع العالم الإسلامي في يومنا.

الثاني: على هيئة المصدر، كما في الآية: (27) من سورة الحديد حيث قال سبحانه:﴿ وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗ **وَرَهۡبَانِيَّةً** ٱبۡتَدَعُوهَا ﴾، والآية: (32) من سورة القصص: ﴿ ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ **ٱلرَّهۡبِ**ۖ ﴾، والآية: (90) من سورة الأنبياء:﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ

يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾، والآية: (13) من سورة الحشر: ﴿ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةٗ فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾.

والملاحظ في الآيات الكريمة أنها على المعنى المندوب، حتى الآية (32) من القصص: ﴿ ٱلرَّهَبِ ﴾، فهي على الأصل اللغوي المندوب، ولا يراها الباحث إلا إشارات إلى أن امتلاك القوة من أهم وسائل حماية النظام العالمي الإسلامي، فبدونه يختل الأمن، ولا حياة ولا إيمان بلا أمن.

الثالث: على هيئة جمع اسم الفاعل: وهي الآية (82) من سورة المائدة: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانٗا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴾، والآية (31) من سورة التوبة: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ﴾، والآية (34) من سورة التوبة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ ﴾.

ويلاحظ المعنى الإيجابي أيضا في الآيات؛ حيث إنه يقود إلى طاعة الله سبحانه، وخشيته والخوف منه، هروبا من عقابه وطلبا في ثوابه، تفعيلا لمبدأ الوقاية أو سد الذرائع كما سبق.

والمعنى الذي يتعلق ببحثنا هذا، هو المعنى الذي فيه تخويف وإرهاب للمؤمنين بوسائل مختلفة، ليجبروهم على قول أو فعل أو اعتقاد محرم، كما في قوله سبحانه: ﴿ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ ﴾[1]؛ حيث إنهم أرجفوا المؤمنين و" أوقعوا في قلوبهم الرهب والخوف... وأصل الاسترهاب محاولة الإرهاب وطلب وقوعه بأسبابه، وقد قصدوا ذلك فحصل وجاؤوا بسحر عظيم أي: مظهره كبير، وتأثيره في أعين الناس عظيم"[2].

"وذلك أنهم عزَّزوا تخيلات السحر بأمور أخرى تثير خوف الناظرين، لتزداد تمكن التخيلات من قلوبهم، وتلك الأمور أقوال وأفعال توهم أن سيقع شيء مخيف كأن يقولوا للناس: خذوا حذركم وحاذروا، ولا تقتربوا، وسيقع شيء عظيم، وسيحضر كبير السحرة، ونحو ذلك من التمويهات،

---

[1] الأعراف: 116

[2] رضا، محمد رشيد، **المنار** (9/ 58)، بتصرف.

والخزعبلات، والصياح، والتعجيب"[1]، ومما سبق يتضح للباحث أن الإرهاب من أهم وسائل الإرجاف، التي تنتج أثرا بالغا في النفس، تصدها عن سبيل الله.

المطلب السادس: التعويق

الفرع الأول: الأصل(عوق) في اللغة

كل المعاني تدل على (الصرف والمنع) عن الشيء، يقول ابن فارس:" العوق: الصرف، (يقال): عاقني عنه (عائق).

وعوائق الدهر: الشواغل من أحداثه.

والمُعَوِّق: المُثَبِّط.

ورجل عَوَّق وعوقة: يعوق الناس عن الخير.

وعاقني الأمر واعتاقني... والعوقة: منعرج الوادي.

والعَوْق: الرجل الذي لا خير فيه"[2].

وعند ابن منظور: " منه التَّعْويقُ والاعْتِياق، وذلك إذا أراد أمرا فصرفه عنه صارف"[3].

الفرع الثاني: (التعويق) في السياق القرآني

ورد اللفظ مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[4]، والمعوقون"هم الذين يُعوِّقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالأقوال والأفعال من ذلك ويسعون على الدين"[5] .

---

[1] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (9/ 48).

[2] ابن فارس، **مجمل اللغة** (ص: 637)، بتصرف.

[3] ابن منظور، **لسان العرب** (10/ 279).

[4] الأحزاب: 18

[5] الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (ت: 875هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، تحقيق: الشيخ محمد معوض والشيخ عادل أحمد، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/1 – 1418 هـ، (3/ 212).

وأما المقصودون بالمعوِّقين في الخطاب، ففيه **ثلاثة أقوال هي:**

أولا: أنهم المنافقون، وممن قال به قتادة[1].

ثانيا: أنها نزلت في رجل من المسلمين انخذل عن الرسول (ﷺ) في الأحزاب.[2]

ثالثا: أنهم يهود من بني قريظة، قالوا لإخوانهم من المنافقين: هلم إلينا، أي: تعالوا إلينا وفارِقوا محمدا فإنه هالك، وإن أبا سفيان إن قدر عليكم لم يبق منكم أحدا[3].

والقول بأنهم اليهود بعيد عن الصواب، لسببين:

الأول: أن السياق يتحدث عن المنافقين وتثبيطهم للنبي (ﷺ) وللمسلمين.

الثاني: أن تكملة الآية تتحدث عن أنهم (لا يأتون البأس إلا قليلا)، وهذا ينصرف إلى المسلمين أو من في عدادهم.

والأرجح أنها في المنافقين كما سبق عن قتادة، ويمكن إرجاع رواية ابن زيد عليهم–والله أعلم–

ومن اللفتات الواردة في الآية الكريمة:

التعبير ب(قد)، والتي يتناسب فيها معنى التقليل مع السياق؛ كما ذكر البقاعي في قوله: " ولعله عبر ب «قد» التي ربما أفهمت في هذه العبارة التقليل، إشارة إلى أنه يكفي من له أدنى عقل في الخوف من سطوة المتهدد احتمال علمه، وعبَّر بالاسم الأعظم فقال: { الله } إشارة إلى إحاطة الجلال والجمال"[4].

ومما سبق يتضح أن التعويق وسيلة من وسائل الإرجاف التي يتسابق المرجفون في استخدامها لثني أهل الحق عن الصالحات؛ فهي تشترك مع التثبيط والتخذيل في الهدف.

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (20 / 230)، وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح 17624) (9/ 3121).

[2] انظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح 17620) (9/ 3121) ، والطبري، **جامع البيان** (20/ 230).

[3] انظر: الماوردي، **النكت والعيون** (3/ 365).

[4] البقاعي، **نظم الدرر** (6/ 410).

الفصل الثاني

ذكر المرجفين وبيان وسائلهم

المبحث الأول: الشيطان

المبحث الثاني: الكفار، قبل وبعد بعثته(صلى الله عليه وسلم)

المبحث الثالث: أهل الكتاب

المبحث الرابع: المنافقون

المبحث الأول

الشيطان

المطلب الأول: بيان عداوة الشيطان لبني آدم

تتعدد الابتلاءات على بني آدم، مرة بما تشتهيه النفس من مال، ومرة بالطعام والشراب وأخرى بالنساء، وهكذا تتوالى عليه الابتلاءات تترى بين حين وآخر، والذي يجمعها جميعا ويزيد من خطرها هو تزيين الشيطان لها في نفوسهم، حتى يكاد الواحد فيهم لا يستطيع الفكاك عنها، فتملك قلبه إلى أن يفجأه الموت فيندم يوم لا ينفع الندم.

الفرع الأول: التعريف بالشيطان

قد يتردد في نفوس كثير من الناس أسئلة مفادها: من هو إبليس وما علاقته بالشيطان؟، وهل هما شيء واحد أم أكثر؟ ولماذا سمي بذلك؟ وما سبب كل هذا الحقد وتلك العداوة ؟، ومن هنا جاءت كتابتي لهذه المادة.

أولا: من هو إبليس؟

توضح الآيات الكريمة أن إبليس كان سفيه الجن، وكان ممن أُمر بالسجود لأبينا آدم عليه السلام، حيث قال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾[1]، ويظهر في الآية أن اسمه إبليس، وأنه لم يسجد له، وأنه أخذ على عاتقه إغواء ذريته _كما سأبين في المطلب الذي بعده_.

ومعنى الاسم (إبليس) يرجع _كما ذكر ابن فارس[2]_إلى أن أصل مادة (ب ل س) واحد، وهو اليأس، وعلاقة الاشتقاق مع حال إبليس، أنه يئس من رحمة الله تعالى، ومنه: أَبْلَسَ الرجل، أي: سكت، والبَلَسَ الواجم.

---

[1] الكهف: 50

[2] انظر: ابن فارس، **مقاييس اللغة** (1/ 299- 300).

والاسم إبليس "مفرد جمعه أَبالِسَة وأباليسُ: عَلَم للشيطان، كبير الشياطين ورأسهم، روح مجسّدة للشر"[1].

ويرى الباحث أن القول بأنه سمي إبليس لأنه يئس من رحمة الله تعالى قول يعارضه ظاهر النصوص الكريمة، فالآيات الكريمة تبين أن الله تعالى قبْل حادثة السجود وأثنائها خاطبه بقوله:﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[2]، ومعلوم أن اليأس من الرحمة كان بعدها_وسيتضح ذلك في نهاية المطلب بشكل جلي_، وبالتالي لا يصح قولهم هذا، لأن المعنى سيكون: يا من يئست من رحمتي اسجد لآدم، ولماذا لم تسجد لآدم؟.

والذي يراه الباحث أن هذا الأمر من القدر الإلهي، فاسمه كان قبل الحادثة إبليس، وتوافق الاسم مع نتيجة حادثة السجود وما آلت إليه، وأن للاسم من المسمى نصيب وافر_ والله أعلم_.

ثانيا: الشيطان.

ذكر علماء اللغة[3] أن لفظ الشيطان يمكن أن يكون له **أصلان، هما:**

الأول: البعد، وأصله: شَطَنَ، أخذوه من قول العرب: دار شَطون، أي: بعيدة، والشَّطَنُ: الحَبْل، لأنه بعيد ما بين الطرفين، ويستخدم للقياس.

فالشيطان بعيد عن الخير وعن رحمة الله، قال عكرمة: " إنما سُمي الشيطان لأنه تَشَيطن"[4].

الثاني: الهلاك، من شاط يشيط الرجل: إذا هلك، فالنون فيه زائدة، على وزن فَعْلَان، والمعنى أن الشيطان قد أهلك نفسه بمعصيته.

---

[1] عمر، أحمد مختار عبد الحميد (ت: 1424هـ): **معجم اللغة العربية المعاصرة**، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط/1، 1429 هـ - 2008 م، مج 4، (1/ 54).

[2] الحجر: 32

[3] انظر: أبا بكر الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار(ت: 328هـ)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: د. حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط/1، 1412 هـ -1992، مج 2، (1/ 56)، وابن فارس، **مقاييس اللغة** (3/ 183)، والكفوي، **الكليات** (ص: 540).

[4] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم**، تحت قوله تعالى:(فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ) (ح 8287)، (5/ 1450).

خلاصة ماسبق:

إن إبليس كان من الجن فأُمر بالسجود لآدم فتكبر وعصى، فصار شيطانا ابتعد عن الخير وعن رحمة الله، وأهلك نفسه وأخلدها النار بضلاله وإضلاله.

رأي الباحث:

بعد استقراء الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر إبليس، وكذلك التي ورد فيها ذكر الشيطان، تبين الآتي:

أولا: كل الآيات التي أوردت لفظ إبليس كان سياق الحديث فيها عن السجود لآدم والأمر به، إلا آيتين، الأولى في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، إذ الحديث فيها عمّا قطعه إبليس على نفسه من إغواء الناس، حيث إنه ظن ظنا صحيحا بأن معظم ذرية آدم سيتبعونه، وكان ذلك بعد رفضه السجود لآدم، فالسياق إذن واحد.

والثانية في قوله تعالى: ﴿ فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[2]، فالحديث فيها عن نتيجة اتباع الناس لإبليس بالكب على وجوههم في النار، فالسياق كذلك واحد مع رفضه السجود وإغوائه لبني آدم.

ويرى الباحث أن سفيه الجن هذا كان اسمه _أو أحد أسمائه[3]_ ابتداء إبليس، إلى أن تكبر على أمر الله تعالى، فصار يُخاطَب بالشيطان _غالبا_، ولا أدل على ذلك من تسلسل آيات الحادثة كما في سورة الأعراف، حيث فُصِّلت القصةُ تفصيلا بديعا، بدأت في الآية (11) بقوله:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ** لَمْ يَكُن

---

[1] سبأ: 20

[2] الشعراء: 94-95

[3] فقد سماه بعضهم: عزازيل، كما جاء عند الرازي_، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحنفي (ت:666هـ): **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، ط/5، 1420هـ / 1999م (ص: 39)_ قوله: "وَمِنْهُ سُمِّيَ (إِبْلِيسُ) **وَكَانَ اسْمُهُ عَزَازِيلَ**".

مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾، ثم سرد أحداث القصة حتى قال في الآية (20):﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا ﴾، **والله أعلم.**

ثانيا: كل الآيات _حسب استقراء الباحث_التي جاء فيها الخطاب بلفظ الشيطان كانت لحوادث أو نواهي لما بعد قصة السجود، مما يرسخ القول _بما وصل إليه اجتهاد الباحث_ من تحول الخطاب بعد الحادثة من إبليس إلى الشيطان، وتوافق ما سبق مع ما ذكره العسكري في قوله: " الشيطان هو الشرير من الجن، ولهذا يقال للإنسان إذا كان شريرا: شيطان ولا يقال جني، لأن قولك شيطان يفيد الشر، ولا يفيده قولك جني وإنما يفيد الاستتار، ولهذا يقال على الإطلاق: لعن الله الشيطان، ولا يقال لعن الله الجني، والجني اسم الجنس والشيطان صفة"[1]، فمفاد كلامه أن إبليس لم يصبح شيطانا إلا بعد كفره وضلاله، بل كان واحدا من الجن، فالذي يكفر منهم يصبح شيطانا.

الفرع الثاني: عداوة الشيطان لبني آدم

يتميز خلق الله تعالى بالإبداع، فمنهم المخلوق من نور_الملائكة_، ومنهم من طين _الإنسان _، ومنهم من نار _الجن_ وغير ذلك مما نعلم أو لا نعلم. وشاء الله أن يكون إبليس ممن خُلِق من نار، حيث قال سبحانه: ﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾[2]، وقال أيضا:

﴿ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴾[3]، ومعلوم أنه كان من الجن كما قال عنه سبحانه:

﴿ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ ﴾[4]، وشاء الإله الحكيم _بأقداره السامية النابعة من معين الحكمة الذي لا ينضب_ أن يُخلق خلق جديد من طين، هو أبو البشر آدم عليه السلام، فكرَّمه ربه بشتى المكرمات، قال سبحانه:﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[5]، فقد خلقه بيديه الكريمتين:﴿ قَالَ

---

[1] العسكري، **الفروق اللغوية** (ص: 277).

[2] الحجر: 27

[3] الرحمن: 15

[4] الكهف: 50

[5] الإسراء: 70

يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[1]، وأمده بالروح منه سبحانه حيث قال: ﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ٧١ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ٧٢ ﴾[2]، وبالعقل الإبداعي المتميز إذ قال تعالى عنه: ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴾[3]، وبالاستخلاف في الأرض كما قال عزَّ مِن قائل: ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾[4]، ومن ثم إسكانه الجنة، وغيرها من المكرمات، فما كان من إبليس إلا أن حسده، قال قتادة: " وإنما خلق آدم آخر الخلق، فحسده عدوّ الله إبليس على ما أعطاه الله من الكرامة "[5]، فدخلت العداوة قلبه.

ثم أسجد سبحانه وتعالى الملائكة لهذا الخلق المتميز_ والجن دون الملائكة في المكانة والشأن؛ فالسجود في حقهم أوجب _، فازدادت العداوة حتى ملأت صدر إبليس، وقاس قياسا باطلا ملؤه الكِبر والحسد، وتناسى أنه يخاطب صاحب الحكمة والجلالة المطلقة سبحانه، ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴾[6]، وهل هذا مبرر للتنكب عن الطاعة؟، فما كان من الله سبحانه إلا أن أخرجه بقوله:﴿ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ ﴾[7]، فطلب طلبا أخيرا قبل دخوله النار، مصحوبا بالتذلل للرب سبحانه، مقرًّا بسلطانه المطلق، وبرحمته التي وسعت كل شيء،﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ٨١ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٨٣ ﴾[8].

---

[1] ص: 75

[2] ص: 71-72

[3] البقرة: 33

[4] البقرة: 30

[5] الطبري، **جامع البيان** (17/ 99).

[6] ص: 76

[7] ص: 77_78

[8] ص: 79 - 83

وهكذا بدأت حربه الطويلة ضد آدم وذريته، بلا هوادة_ وهو ما يفقده كثير من أصحاب المنهج الحق، الذين لم يُرَوِّضوا أنفسهم على البذل في سبيل الله _: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾[1]، فقد أخذ على نفسه واجب الجلوس لبني آدم على الطريق القويم، أي: دين الله الحق، وهو الإسلام وشرائعه، والمعنى: لأصدَّن بني آدم عن عبادتك وطاعتك، ولأغوينهم كما أغويتني، ولأضلنهم كما أضللتني[2]، كيف لا وهم ذرية من كان_في رأيه_ سببا في إخراجه من النعيم، وخلوده في الجحيم.

فعن سَبْرَة بن أبي فَاكِه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ، فَقَالَ لَهُ: أَتُسْلِمُ وَتَذَرُ دِينَكَ، وَدِينَ آبَائِكَ، وَآبَاءِ أَبِيكَ؟ " قَالَ: " فَعَصَاهُ، فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: أَتُهَاجِرُ وَتَذَرُ أَرْضَكَ، وَسَمَاءَكَ، وَإِنَّمَا مَثَلُ الْمُهَاجِرِ كَمَثَلِ الْفَرَسِ فِي الطِّوَلِ[3] " قَالَ: «فَعَصَاهُ فَهَاجَرَ» قَالَ: " ثُمَّ قَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْجِهَادِ، فَقَالَ: هُوَ جَهْدُ النَّفْسِ، وَالْمَالِ، فَتُقَاتِلُ فَتُقْتَلُ، فَتُنْكَحُ الْمَرْأَةُ، وَيُقَسَّمُ الْمَالُ " قَالَ: «فَعَصَاهُ فَجَاهَدَ» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْهُمْ فَمَاتَ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ قُتِلَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ غَرِقَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ وَقَصَتْهُ[4] دَابَّةٌ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ» [5].

---

[1] الأعراف: 16-17

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان** (12/ 334).

[3] " بِكَسْرِ الطَّاءِ الْحَبْلُ الطَّوِيلُ يُشَدُّ أَحَدُ طَرَفَيْهِ فِي وَتَدٍ أَوْ غَيْرِهِ"، حاشية السيوطي على سنن النسائي (6/ 21).

[4] "وُقِصَ أَيِ انْكَسَرَ عُنُقُهُ وقصته وَأَوْقَصَتْهُ بِمَعْنَاهُ قَوْلُهُ (فَأَقْعَصَتْهُ) أَيْ قَتَلَتْهُ فِي الْحَالِ"، شرح النووي على مسلم (8/ 129).

[5] رواه أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: 241هـ)، **مسند أحمد**، تحقيق: أحمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، ط/1، 1416 هـ – 1995 م، ج 8، حَدِيثُ سَبْرَةَ بْنِ أَبِي فَاكِهٍ (ح 15958) (25/ 315) _ واللفظ لـه_، والنسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت: 303هـ)، **السنن الصغرى**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، ط/2، 1406 – 1986، ج 8، كتاب الجهاد، باب: مَا لِمَنْ أَسْلَمَ وَهَاجَرَ وَجَاهَدَ، (ح 3134) (6/ 21)، وابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البُستي (ت: 354هـ)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2، 1414 – 1993، ج 18، كتاب: السير، باب: فضل الجهاد، (ذِكْرُ إِيجَابِ الْجَنَّةِ لِلْمُهَاجِرِ وَالْغَازِي عَلَى أَيَّةِ حَالَةٍ أَدْرَكَتْهُمَا الْمَنِيَّةُ فِي قَصْدِهِمَا)، (ح 4593) (10/ 453) ، والطبراني، **المعجم الكبير**، باب: سبرة بن أبي فاكه، (ح 6558) (7/ 117)، **(وصححه الألباني)**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، ابن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (ت: 1420هـ): **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، ج 2، (1/ 340).

ويزداد عجب الباحث من فعل إبليس هذا، حيث إن كل ما سيفعله لإغواء الناس لن يغير في نتيجته الحتمية بخلوده في جهنم، بل سيزداد بعدا من الله تعالى، "ولكن الشرير العنيد لا ينسى أن آدم هو سبب الطرد والغضب، ولا يستسلم لمصيره البائس دون أن ينتقم... فهو الإصرار المطلق على الشر، والتصميم المطلق على الغواية... وبذلك تتكشف هذه الطبيعة عن خصائصها الأولى... شر ليس عارضاً ولا وقتياً. إنما هو الشر الأصيل العامد القاصد العنيد... وهنا يعلن إبليس في تبجح خبيث_ وقد حصل على قضاء بالبقاء الطويل_ أنه سيرد على تقدير الله له الغواية وإنزالها به، بسبب معصيته وتبجحه؛ بأن يغوي ذلك المخلوق الذي كرمه الله، والذي بسببه كانت مأساة إبليس ولعنه وطرده!...

إنه سيقعد لآدم وذريته على صراط الله المستقيم، يصد عنه كل من يهم منهم باجتيازه – والطريق إلى الله لا يمكن أن يكون حساً... فهو إذن طريق الإيمان والطاعات المؤدي إلى رضى الله – وإنه سيأتي البشر من كل جهة: { من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم } للحيلولة بينهم وبين الإيمان والطاعة... وهو مشهد حي شاخص متحرك لإطباق إبليس على البشر في محاولته الدائبة لإغوائهم"[1].

ولن تنتهي هذه الحرب الطويلة إلا بالنفخة الأولى التي سيذوق إبليس معها ألم الموت وعذابه.

وهنا تظهر لفتة هي:

لماذا اختار إبليس القول: (لأَقْعُدَنَّ لهم) ولم يقل لأقفنَّ لهم؟

الأرجح في ذلك: أنه وبالرغم من أن المعنى في إغواء إبليس وقعوده أمرا معنويا، إلا أن الله تعالى يريد أن يصور إصراره على هدفه برجل قاعد على الطريق، لا يتعبه الانتظار مطمئنا ليتحقق هدفه بقعوده؛ فقد يتعب من الوقوف.

كذلك فإنه في حالة القعود يكون منتبها متيقظاً، وعندما تحين ساعة المواجهة ينهض وكله نشاط وإصرار.

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (3/ 1266)، بتصرف.

والقعود أقرب إلى الوقوف، لأن المضطجع يكون أقرب إلى النوم، ولهذا اختار الشيطان الموقف الذي يحفظ له قوته، ويبقى له انتباهه.[1]

المطلب الثاني: وسائل الشيطان وطرقه في الإرجاف.[2]

زيادة في تمحيص العباد، وتمييز الخبيث من الطيب، أعطى الله تعالى إبليس قدرات واسعة في استخدام أساليب ووسائل مختلفة في إغواء بني آدم وإبعادهم عن سلوك طرق الهدى، تتميز بالإحكام والتنوع، فلكل مقام عنده مقال يناسبه، ومن ذلك:

أولا: الوسوسة.

بدأ إبليس بالكيد لآدم وزوجه لإخراجهما من الجنة، ومن ذلك أكذوبته الأولى، قال سبحانه:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[3]، والتي كان من شأنها أن تحدث اضطرابا شديدا جمع بين الشبهة والشهوة وصعوبة الانقياد، فنال إبليس ما تمنّى، وكان له الانتصار الأول في الحرب الطويلة مع الخير، لكنها ليست الأخيرة.

استخدم إبليس الوسوسة وهي:" الكلام الخفي الذي لا يسمعه إلا المداني للمتكلم"[4]، غير أن الثعالبي يرى أن وسوسة إبليس لأبينا آدم _عليه السلام_ يمكن أن تكون بمحاورة خفية أو بالإلقاء في النفس[5]، ولا شك في أن الله تعالى أمده بقدرات كبيرة لا نعلم كثيرا منها.

ويلاحظ في اللفظ القرآني أنه استخدم (وسوس لهما) بدل (وسوس إليهما)، فالأولى تعني: وسوس لأجلهما، أي لأجل أن يغويهما، أما الثانية فتفيد بأنه: ألقاها إليهما[6].

---

[1] انظر: **تفسير الشعراوي** (1/ 2830).

[2] للاستزادة، يُنظر: بشير، وائل عمر: **خطوات الشيطان- دراسة قرآنية موضوعية**. رسالة ماجستير. إشراف: د. وائل عبد السلام حمدان اللوح. الجامعة الإسلامية_غزة. 2008م. http://www.iugaza.edu.ps/ara/research/ ISSN

[3] الأعراف: 20

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (8-ب/ 56).

[5] انظر: الثعالبي، **الجواهر الحسان** (2/ 24).

[6] انظر: الزمخشري، **الكشاف** (2/ 215).

وكذلك فقد أسند إبداء السوءات إلى إبليس في قوله (ليبدي)، من باب المجاز العقلي، على اعتبار أنه تسبب في إبدائها[1]. وتمثلت كذبته _التي اتخذها وسيلة لإقناع آدم وزوجه_ في أن الغرض من تحريم الأكل من الشجرة حتى لايكونا ملَكين أو يخلدا في الجنة بلا موت، فمن أكل منها صار ملَكا وصار خالدا في الجنة _على زعمه_، ومن ثم فإن الله تعالى لا يريد ذلك بهما.

يقول الطبري: " ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة أن تأكلا ثمرها، إلا **لئلا تكونا ملكين، وأسقطت"لا**" من الكلام، لدلالة ما ظهر عليها، كما أسقطت من قوله: (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا) [سورة النساء: 176]، والمعنى: يبين الله لكم أن لا تضلوا "[2].

وهكذا حصل لإبليس ما أراد، فما أن أكلا من الشجرة التي نُهيا عنها إلا وظهرت سوءاتُهما؛ فبدأت نتيجة إرجافه بالارتباك والبحث عما يستر السوءة، فعصى آدمُ وزوجُه ربَّهما، وكانت المعصية سببا في إخراجهما من الجنة، حتى اغتاظ موسى _عليه السلام_ من ذلك، إذ لولا المعصية لكانت ذرية آدم _عليه السلام_ في الجنة، ولكنَّ آدم حاجَّه واعتذر بقدر الله تعالى[3].

ثانيا: الإشاعة.

لقد أرجف الشيطان_ وقيل غيره كما سيتحدد_ بإشاعة خبر مقتل الرسول يوم أحد، بهدف حسم المعركة نفسيا، حتى أنزل الله تعالى :﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[4]؛ فعن عبدالله بن عباس _رضي الله عنهما_ قال: " وَصَاحَ الشَّيْطَانُ: قُتِلَ مُحَمَّدٌ"[5]، وورد عن الزهري قوله: "إن الشيطان صاح يوم أحد: إن محمدا قد قتل"[6].

---

[1] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (8-ب/ 57).

[2] الطبري، **جامع البيان** (12/ 348).

[3] انظر: البخاري، **الصحيح**، من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ، كتاب: التفسير، بَابُ قَوْلِهِ: {فَلاَ يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الجَنَّةِ فَتَشْقَى} [طه: 117]، (ح 4738) (6/ 96).

[4] آل عمران: 144

[5] رواه أحمد، **المسند**، مسند: عبد الله بن عباس، (ح: 2609) (4/ 369)، الطبراني، **المعجم الكبير**، (ح: 11635) (11/ 248)، والحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ):**المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1،1990م، 4ج، (ح: 3163) (2/ 324)، وقال: صحيح الإسناد، وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي الزِّنَادِ، وَقَدْ وُثِّقَ عَلَى ضَعْفِهِ، انظر: الهيثمي، أبا الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان (ت: 807هـ)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 10ج، (6/ 111).

[6] ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد العسقلاني (ت: 852هـ)، **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، تحقيق: رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود تنسيق: د. سعد الشثري، دار الغيث – السعودية، ط/1، 1419هـ، ج 19 (ح 4380) (12/ 206) ، **وقد وثَّق رجاله.**

والملاحظ أن الآية الكريمة جاءت تبين حالة الاضطراب التي وقعت في صفوف الصحابة في أُحدٍ عندما سمعوا المرجفين في خبر مقتله ﷺ، وازداد الخبر تأكيدا بعد قيام ابن قميئة بضرب الرسول ﷺ بحجر شج رأسه وكسر رباعيته وأنفه فأثقله، وتفرق الناس عنه[1].

وهنا اضطربت النفوس وازدحمت الأفكار، وزاد الإرجاف بموقف المنافقين الذين لم يخفوا سرورهم بمقتل الرسول ﷺ، بل أخذوا يتعاونون في رد الناس عن الدين، حيث بدأوا بالتشكيك في نبوته ﷺ بقولهم: " قد قُتل، وقال أناسٌ منهم: لو كان نبيا ما قُتل"[2]، إلى أن وصل بهم الحال إلى أن دعوا الناس للرِّدَّة، والعودة إلى ما عليه المشركون من الاعتقاد، حيث قال السدي: "فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي، فيأخذ لنا أَمَنَةً من أبي سفيان!! يا قوم، إن محمدًا قد قتل، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم "[3].

وتناسى هؤلاء الغافلون أن الرسول بشر كغيره من الرسل، ومآله الموت كما مات السابقون منهم، والأصل أنهم تدبروا في أن موت الرسل لم يكن سببا في تخلي الناس عن دينهم، وهكذا في موت الرسول ﷺ، ولهذا جاء سبحانه بالهمزة والفاء في قوله:**(أَفَإِيْن)** كما يرى الزمخشري ليربط الجملة بما سبقها، حيث قال:" الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب، والهمزة لإنكار أن يجعلوا خلوَّ الرسل قبله سبباً لانقلابهم على أعقابهم بعد هلاكه بموت أو قتل، مع علمهم أنّ خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب أن يجعل سبباً للتمسك بدين محمد ﷺ، لا للانقلاب عنه "[4].

---

[1] انظر: ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطّلبي بالولاء (ت: 151هـ): **سيرة ابن اسحاق (السير والمغازي)**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط/1، 1398هـ، (ص: 329)، والطبري، **جامع البيان** (7/ 254).

[2] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (3/ 778) (ح 4262)، عَنِ الرَّبِيعِ.

[3] الطبري، **جامع البيان** (7/ 255)، وكذا في تاريخه، **تاريخ الرسل والملوك**، دار التراث – بيروت، ط/ 2، 1387 هـ، 11ج، (520/2).

[4] الزمخشري، **الكشاف** (331/1).

ومما سبق يتبين لنا خطر إرجاف الشيطان، واستغلاله للظروف النفسية الصعبة للمسلمين في أحلك الأوقات، وهذا يبين مقدار ترصده الدائم للمسلمين، حتى لا تفوته فرصة للصد عن سبيل الله تعالى، ويبين أيضا مدى إصرار الشيطانعلى عداوته لآدم عليه السلام وذريته، وتوظيف كل الإمكانات لخدمتها؛ فحَرِيٌّ بالمسلمين الاستفادة من إصرار إبليس ليوظفوه في خدمة الدين والذَّبِّ عنه.

كذلك فعلينا أن نحذر في لحظة الفتن والبلاء من دسائس إبليس وجنده، فعلينا ألا نكون آذانا تسمع كل ما يقال بلا تدبر ولا تثبت.

ثالثا. إيحاء الشبه.

إن إيحاء الشيطان للشبه إلى أوليائه من الكفرة، يندرج ضمن ما يمكن اعتباره إرجافا فكريا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾[1]، فَهَمُّ الشيطان ألا يُتَّبع الحق، وكذا إثارة الاضطراب لدى الموحدين؛ ليصدهم عن السبيل، ومن ذلك إيحاؤه إلى أوليائه لِبَثِّ الشُّبَه بين العامة في الأحكام الشرعية، لعل الثقة بالمُشَرِّع تتزلزل، فيرتدَّ الناس إلى شرع غيره، سواء إلى عقولهم القاصرة، أو أهوائهم المنحرفة، فيعم الظلم، وينحسر العدل، وتشيع الفوضى، ويحصل إبليس على مبتغاه.

ومن ذلك مسألة: (أكل الميتة)، حيث إن إبليس وجنوده أوحوا إلى المشركين لمجادلة سيدنا رسول الله ﷺ لاستحلالها، وبيَّن سبحانه وتعالى أن ذلك شرك لا يصح معه إيمان؛ فمقدمة الآية نفسها تتحدث عن الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه، ومنه الميتة التي لم تذكَّ ذكاة شرعية، حيث قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ﴾؛ فعن ابن عباس _ رضي الله عنهما _ قال:" يوحي الشياطينُ إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، أن يقولوا: تأكلوا مما قتلتم ولا تأكلون مما

[1] الأنعام: 121

قتل الله؟ فقال: إن الذي قتلتم يُذكر اسمُ الله عليه، **وإن الذي مات** لمْ يُذكرِ اسمُ الله عليه"[1]. وعن سعيد بن جبير قال: " في قول الله: لِيُجَادِلوكم، يعني في **أمر الميتة**"[2].

فالشبهة تقوم على أنَّه لا فرق بين ما ذُبح وبين ما مات بقدر من الله تعالى، وهذا قياس فاسد، غرضه الطعن والإرجاف في حكم الحكيم سبحانه.

وقد اختلفوا في كيفية الإيحاء، فمنهم من قال: إنه بالوسوسة[3]، ومنهم بالإلهام أو القذف في القلب[4]، والبعض شبَّهَه بالوحي إلى النَّبي من الله، فهو وحي من الشيطان[5]، وأيًّا كان ذلك فالعبرة تكمن في أن الشيطان لا يترك وسيلة للإرجاف إلا ويسارع في استخدامها.

رابعا. الإلقاء في النفوس عند الأماني.

الإلقاء في النفوس عند الأماني وسيلة من وسائل إرجاف إبليس؛ ليبعد عن الطاعة، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[6].

ذكر الطبري وغيره في سبب نزولها قصة طويلة عُرفت بقصة الغرانيق[7]، عن جمع من الصحابة والتابعين، وقال: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ أن

---

[1] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح 7846) (4/ 1379)، لم أقف على صحته.

[2] المصدر السابق (4/ 1379) (ح 7847).

[3] انظر: ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن** (ص: 267).

[4] انظر: ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبا بكر المعافري المالكي (ت: 543هـ)، **أحكام القرآن**، وتخريج وتعليق: محمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1، 1424 هـ - 2003 م، ج 4، (2/ 274).

[5] ابن عباس فيما رواه عنه ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن** (ح 7841) (4/ 1379).

[6] الحج: 52

[7] معنى الغرانيق وعلاقتها بالأصنام، فقد ذكر ابن الأثير أنَّ:" الغَرانيق هاهنا: الأصنام_أي في الحديث السابق_، وهي في الأصل الذكور من طير الماء، واحدها: غُرْنُوق وغُرْنَيق، سمي به لبياضه..._والغرنوق أيضا: الشاب الناعم الأبيض. وكانوا يزعمون أن الأصنام تُقَربهم من الله وتشفع لهم، فشبهت بالطيور التي تعلو في السماء وترتفع" ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر** (3/ 364)، بتصرف.

الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتدّ ذلك على رسول الله ﷺ واغتمَّ به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات.[1]

ملحوظات الباحث على القصة:

1. الذي يهمنا من الآية الكريمة توضيح دور الشيطان في الإرجاف الفكري، بمعزل عن تحقيق الرواية السابقة تفصيلا، بل سيكتفي الباحث بالإشارة إلى بعض أقوال فحول العلماء والمحدثين عنها.

2. في الحديث عن صحة وضعف الروايات التي أوردت القصة:

فالحق أن جمهور العلماء والمحدثين ضعفوا الروايات ضعفا لا ينجبر بمجموع الطرق، وممن قال بذلك: البزار حيث قال: " ولا نعلم أحدا أسند هذا الحديث عن شُعبة، عن أبي بشر، عن سعيد، عن ابن عباس إلا أمية ولم نسمعه إلا من يوسف بن حماد، وكان ثقة وغير أُمية يُحَدّث به، عن أبي بِشر، عن سعيد بن جُبير مُرسلا، وإنما هذا الحديث يُعرف عن الكَلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس وأمية ثقة مشهور"[2].

وكذلك أبو جعفر النحاس[3]، وابن كثير[4]، ووافقهم الشوكاني[5].

ومنهم _أيضا_ الألباني الذي ألف مؤلفا في رد القصة سندا ومتنا باسم: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق، وذكر جمعا غفيرا من العلماء المضعفين للروايات.[6]

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (18/ 663)، والواحدي، **أسباب النزول** (ص: 310).

[2] البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد العتكي (ت: 292هـ)، **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وعادل سعد وصبري الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط/1، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م)، ج 18، (11/ 296).

[3] النحاس، **إعراب القرآن** (3/ 73).

[4] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط/2، 1420هـ – 1999 م، ج 8، (5/ 441).

[5] انظر: الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (ت: 1250هـ)، **فتح القدير**، دار ابن كثير– دمشق، بيروت، ط/1، 1414 هـ، (3/ 462).

[6] انظر: الألباني، أبا عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح، الأشقودري (ت: 1420هـ)، **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**، المكتب الإسلامي، ط/3، 1417هـ – 1996م، (ص:36).

وممن قال بأن للقصة أصلا- بناء على مجموع الطرق- الحافظ ابن حجر العسقلاني، حيث قال:" وكلها سوى طريق سعيد بن جُبير إما ضعيف وإلا منقطع **لكن كثرة الطرق تدل على أن للقصة أصلا** مع أن لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيحين"[1].

وقد رد الألباني عليه ردا مفصلا[2]، فيه: أن الروايات المسندة الصحيحة لم تذكر القصة، مما يدل على أنها من وضع الزنادقة، وكذلك بين أن من الضعف ما لا ينجبر كما هو في هذه القصة_والله أعلم_.

3. لقد أنكر جماهير العلماء متن القصة، واعتبروا أنها تقدح في الرسالة والوحي معا، وأن مؤداها الكفر بالله العظيم، وأن الكثير من الآيات الكريمة تعارضها، ولقد أجاد بل وأبدع الإمام الرازي في تفصيل الرد، ومما قال:

"أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن والسنة والمعقول . **أما القرآن فوجوه،**... وثالثها: قوله: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهوى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يوحى }، {النجم: 3]، فلو أنه قرأ عقيب هذه الآية تلك الغرانيق العلى، لكان قد ظهر كذب الله تعالى في الحال، وذلك لا يقوله مسلم... **وأما السنة** فهي ما روي عن محمد بن إسحق بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وصنف فيه كتاباً...

وأما المعقول فمن وجوه، أحدها: أن من جوز على الرسول ﷺ تعظيم الأوثان فقد كفر؛ لأن من المعلوم بالضرورة أن أعظم سعيه كان في نفي الأوثان "[3].

4. ورد في الآية الكريمة لفظا التمني والإلقاء؛ فأما التمني فأُسند إلى الرسول خاصة والرسل عامة_صلى الله وسلم عليهم جميعا_، وأما الإلقاء فإلى الشيطان.

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري** (8/ 439).

[2] انظر: الألباني، **نصب المجانيق** (ص:37 وما بعدها).

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب** (11/ 134-135)، بتصرف.

والتمني ينصرف على أحد معنيين، الأول: التلاوة أو القراءة، وهو رأي جمهور العلماء[1]، وهو الراجح_والله أعلم_، قال ابن عباس_رضي الله عنهما_ في تفسير التمني: "إذا **حَدّث** ألقى الشيطان في حديثه، فيُبطل الله ما يُلقي الشيطان وَيُحكِم آياته"[2]، وقال البخاري تعقيبا عليه:" ويُقال أُمنِيَّته **قراءته** "[3].

ويكون المعنى:" أن الله ما أرسل قبل محمد { مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِيٍّ إِلا إِذَا تَمَنَّى } أي: قرأ قراءته، التي يذكر بها الناس، ويأمرهم وينهاهم، { أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ } أي: في قراءته، من طرقه ومكايده، ما هو مناقض لتلك القراءة، مع أن الله تعالى قد عصم الرسل بما يبلغون عن الله، وحفظ وحيه أن يشتبه، أو يختلط بغيره.

ولكن هذا الإلقاء من الشيطان، غير مستقر ولا مستمر، وإنما هو عارض يعرض، ثم يزول، وللعوارض أحكام، ولهذا قال: { فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ } أي: يزيله ويذهبه ويبطله، ويبين أنه ليس من آياته، و { يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ } أي: يتقنها، ويحررها، ويحفظها، فتبقى خالصة من مخالطة إلقاء الشيطان"[4].

والمعنى الثاني: تمني القلب والخاطر[5] الذي يرد عليه، والمعنى حينئذ أن النبي ﷺ عندما يتمنى شيئا من الأمور، يوسوس الشيطان إليه بالباطل، ثم إن الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه إلى ترك الالتفات إلى وسوسته[6]، وهذا المعنى باطل كما رد الرازي عليه سابقا.

---

[1] انظر: **مسند البزار**، (11/ 296)، والفراء، **معاني القرآن** (2/ 229)، والنحاس، **إعراب القرآن** (3/ 73)، والرازي، **مفاتيح الغيب** (11 / 134-135)، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (5/ 441)، والشوكاني، **فتح القدير**(3/ 462) وغيرهم.

[2] البخاري، **الصحيح**، كتاب: التفسير، باب: (كما بدأنا أول خلق نعيده)، سورة الحج(6/ 97).

[3] المصدر السابق ، كتاب: التفسير، باب: (كما بدأنا أول خلق نعيده)، سورة الحج .

[4] السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط/1، 1420هـ -2000 م، ج 1، (1/ 542).

[5] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (2433/4).

[6] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (11/ 138).

وأما الإلقاء فالأرجح فيه أنه وسوسة من الشيطان، إذ إنه لا يجوز أن يكون بمعنى الإدخال في كلام الله ما ليس منه، فالقرآن محفوظ بحفظ الله تعالى، يقول الرازي: " الغرض من هذه الآية بيان أن الرسل الذين أرسلهم الله تعالى وإن عصمهم عن الخطأ مع العلم فلم يعصمهم من جواز السهو ووسوسة الشيطان بل حالهم في جواز ذلك كحال سائر البشر"[1].

وذهب الشعراوي مذهبا قريبا حيث رأى أنه" لا يمكن للشيطان أنْ يُدخل في القرآن ما ليس منه، لكن يحتمل تدخُّل الشيطان على وجه آخر: فحين يقرأ رسول الله القرآن، وفيه هداية للناس... أتنتظر من عدو الله أن يُخلِي الجو للناس حتى يسمعوا هذا الكلام دون أن يُشوّش عليهم، ويبلبل أفكارهم، ويَحول بينهم وبين سماعه؟

فإذا تمنّى الرسول يعني: قرأ، ألقى الشيطان في أُمنيته، وسلط أتباعه من البشر يقولون في القرآن: سِحر وشِعر وإفك وأساطير الأولين: فدور الشيطان... أن يُلقي في طريق القرآن وفهمه والتأثر به العقبات والعراقيل التي تصدّ الناس عن فهمه والتأثر به، وتفسد القرآن في نظر من يريد أن يؤمن به"[2]؛ فحقيقة الإلقاء أنه: "رميُ الشيء من اليد. واستعير هنا للوسوسة وتسويل الفساد تشبيها للتسويل بإلقاء شيء من اليد بين الناس. ومنه قوله تعالى: (فَكَذلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ)، [طه:87]"[3].

خامسا. الاقتران بالأنفس المريضة.

الاقتران بالأنفس المريضة التي تقع فريسة سائغة لإبليس، ليدوم صده عن السبيل، وسيلة من وسائل إبليس في الإرجاف، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ﴾[4].

---

[1] المصدر السابق (11/ 138).

[2] **تفسير الشعراوي** (1/ 6066)، بتصرف، وانظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2433).

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (17/ 298).

[4] الزخرف: 36-38.

أولا: الألفاظ التي يجب بيانها ليتضح المعنى.

1. (يعشُ)، أي: يتعامَ ويُعرض[1]، والأصل أنه من العتمة وقلة وضوح الشيء، كما عند ابن فارس حيث يقول: "العَين والشّين والحرف المعتل أصلٌ صحيح يدل على ظلام وقلة وضوح في الشيء، ثم يُفرَّع منه ما يُقاربُه. من ذلك العِشَاء، وهو أوّل ظلام الليل. وَعشواءُ الليل: ظُلمَتُه. ومنه عَشوتُ إلى ناره. ولا يكون ذلك إلا أن تخبط إليه الظلام"[2]، وهو مِن: عشا عن يعشو واعشُ وعَشوًا فهو أعشى، والمفعول مَعشوّ عنه، وعشَا عن الحق: أعرض، أو غَفَل[3].

وورد عن ابن عباس في تفسيره لِقوله تعالى:"(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ)، قوله:" من جانب الحق، وأنكره وهو يعلم أن الحلال حلال وأن الحرام حرام، فترَكَ العلمَ بالحلال والْحَقِّ لِهوى نفسه. وقضى حاجته ثم أراد من الحرام، قُيِّض له شيطان"[4].

2. (نُقَيِّض)، أي: نتيح ونسبب؛ فالقيض: هو القشر الأعلى للبيض؛ فهو يحيط بالبيضة من كل جانب، وهذا وجه الشبه مع القرين، حيث إن الله تعالى يتيح لقرينه أن يستولي عليه بشكل كامل عند الكفر، أو لحظة فعل المعصية، كما هو القيض[5]، ومنه: " قيّض الله فلانا لفلان: جاءَ به وأَتاحه له. وتقيَّض له: تقدّر وتسبب"[6].

---

[1] الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الحنفي (ت: 1094هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت، 1419هـ – 1998م، (ص: 990).

[2] ابن فارس، **مقاييس اللغة** (4/ 322).

[3] انظر: مختار، أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (2/ 1503).

[4] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح 18507) (10/ 3283).

[5] انظر: الأصبهاني، **المفردات في غريب القرآن** (ص: 687 –688)، والزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل، أبا إسحاق (ت: 311هـ)، **معاني القرآن وإعرابه**، عالم الكتب – بيروت، ط/1، 1408 هـ – 1988 م، ج 5، (4/ 412)، وابن الهائم، أحمد ابن محمد بن عماد الدين، أبا العباس (ت: 815هـ)، **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: د. ضاحي محمد، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط/1 – 1423 هـ، (ص: 290).

[6] الفيروزآبادي، **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز** (4/ 316).

ثانيا: خلاصة المعنى.

إن من أعرض عن الحق وتعامى عنه، ولم يخش عقاب الله تعالى، أزال الله عنه حصانته وحمايته، فأتاح للشيطان وأعوانه أن يقترنوا بهذا المُعْرِض ليغويه ويضله عن السبيل[1].

وقد ورد[2] أن نافع وابن كثير وابن عامر وأبو بكر قرأوا: (حتى إذا **جاءانا**)، باعتبار أنهما يعودان على اثنين: الكافر وقرينه من الشياطين، وحجتهم قوله تعالى: (يَا لَيْت بيني وَبَيْنك بعد المشرقين)، وقرأ الباقون (**جاءَنَا**) واحدًا وحده، وأُفرد بالخطاب في الدنيا وأقيمت عليه الحجة بإنفاذ الرسول إليه فاكتفى به، وحجتهم قوله تعالى قبلها: (وَمن يَعش عَن ذكر الرَّحْمَن).

وفي القراءتين كلتيهما ما يُظهِر الوحدة والخوف من المآل، وهكذا تدل القراءة الدالة على الاثنين دوام الحسرة والذي كان سببه هذا القرين السيء.

ثم تختم الآيات بقوله سبحانه: (فَبِئْسَ القرين) "الكافر يقول لذلك الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين أنت... والمقصود من هذا الكلام تحقير الدنيا وبيان ما في المال والجاه من المضار العظيمة، وذلك لأن كثرة المال والجاه تجعل الإنسان كالأعشى عن مطالعة ذكر الله تعالى، ومن صار كذلك صار جليساً للشيطان، ومن صار كذلك ضل عن سبيل الهدى والحق وبقي جليس الشيطان في الدنيا وفي القيامة، ومجالسة الشيطان حالة توجب الضرر الشديد في القيامة، بحيث يقول الكافر: يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين أنت"[3].

وهكذا لا يترك إبليس فرصة لإغواء الناس إلا ويهتبلها، فهو مثابر في إنجاز فكرته بامتياز، يصبر وينتظر ولا ييأس، تفلت منه الأولى فيُمَنِّي نفسه بالثانية حتى يظفر بما يريد.

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (21/ 604)، والخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم، أبا الحسن (ت: 741هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1– 1415 هـ، (4/ 109).

[2] انظر: ابن زنجلة عبد الرحمن بن محمد، أبا زرعة (ت: حوالي 403هـ)، **حجة القراءات**، تحقيق: سعيد الأفغاني، ج 1، دار الرسالة_بدون سنة طبع ولا رقم الطبعة_ (ص: 650).

[3] الرازي، **مفاتيح الغيب** (13/ 476)، بتصرف.

المبحث الثاني

الكفار، من قبل ومن بعد بعثته(صلى الله عليه وسلم)

المطلب الأول: وسائل الكفار في الإرجاف

لقد أنجب إخلاص إبليس _لغايته في إضلال الناس وصرفهم عن فِطَرهم النَّقية_ ذريةً تدانيه في الإخلاص، كيف لا وقد استخدم سلاحين فتاكين، أولهما: الشبهات، وثانيهما: الشهوات؟، فالأول قد اختص بإفساد الفكر الذي يدفع إلى بذل النفيس من أجل الحق، والثاني بإفساد الجسد وإغراقه في ظلمة المادة.

وإذا علمنا بأن النفس جُبلت على حب الشهوات، تبين لنا لماذا تنقاد لإبليس وجنوده من الإنس والجن بأدنى جهد، ولا عاصم لها إلا تقوى الله تعالى.

لقد استخدم جنود إبليس وسائل متنوعة لإرجاف الناس عن الحق، وقد سبق في المبحث الأول أن من وسائل إبليس: الإيحاء إلى أوليائه، وها هو ذا إبليس يوحي إليهم وسائل للإرجاف منها:

أولا: إشاعة الأوصاف المنفّرة.

إن من سنن الكفار عموما إشاعة أوصاف الجنون أو السحر أو الهذيان عن الأنبياء، كوسيلة لإرجاف الناس وإبعادهم عن الحق وأهله، ومن ذلك قول الحق سبحانه: ﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا **قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ** ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾[1].

فالخطاب لحبيبنا ﷺ بعد أن أذهلته عداوة قومه له، مع أنه كان قبلها فتى قريش الصادق الأمين، فقد صدق ورقة بن نوفل عندما قال بعد سؤال الرسول ﷺ له:" «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا"[2].

---

[1] الذاريات: 52-53

[2] رواه البخاري في: **صحيحه**، كتاب: بدء الوحي، باب: كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟، (ح3) (1/ 7) _ واللفظ له_، ومسلم في: **صحيحه**، كتاب: الإيمان، باب: بَدْءِ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (ح 252) (1/ 141).

" واستبعد النبي ﷺ أن يخرجوه؛ لأنه لم يكن فيه سبب يقتضي الإخراج لما اشتمل عليه من مكارم الأخلاق... فذكر ورقة أن العِلة في ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم، ولأنه علم من الكتب أنهم لا يجيبونه إلى ذلك، وأنه يلزمه لذلك منابذتهم ومعاندتهم، فتنشأ العداوة من ثَم"[1].

ومن مظاهر تلك العداوة _بلا شك_ ما يرجفون به في الناسَ عن الرسول ﷺ وأتباعه الكرام بالأوصاف السابقة، فهل تواصت أمم الكفر قديما وحديثا على هذه الأوصاف؟، أم أن هناك هدفا مشتركا يجمعهم، وما هو هذا الهدف؟.

لقد بين الله تعالى أن الذي جمعهم هو: الطغيان، حيث قال: ﴿ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾، وهو"مجاوزة الحد في الكفر، وهذا يدل على أنهم إنما اتفقوا، لأن قلوب بعضهم تشبه قلوب بعض في الكفر والطّغيان، فتشابهت مقالاتهم للرسل لأجل تَشَابُه قلوبهم"[2].

ولقد بين أهل العلم أن ذِكر (أو) في قوله تعالى: (ساحر **أو** مجنون) هو للتفصيل، بمعنى: أن بعض الكفار قال ساحر، وقال بعضهم مجنون، وقال البعض الآخر كلاهما، وغير ذلك، ومما يدل عليه ما قاله الله تعالى عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام أنهم قالوا: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴾[3]، فلم يقولوا عنه ساحر، بل قالوا: مجنون، ومع ذلك جُمِعوا في الضمير فدلت (أو) على أنها للتفصيل[4].

ومما تجدر الإشارة إليه أن القَصْر هنا قصر إضافي "لأن للأمم أقوالا غير ذلك وأحوالا أخرى، وإنما قصروا على هذا اهتماما بذكر هذه الحالة العجيبة من البهتانِ"[5].

---

[1] ابن حجر، **فتح الباري** (1/ 26)، بتصرف، وانظر: ابن الملقن، سراج الدين أبا حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي (ت: 804هـ)، **التوضيح لشرح الجامع الصحيح** ، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي، دار النوادر، دمشق – سوريا، ط/1، 1429 هـ – 2008 م، ج 36، (2/ 296).

[2] الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (7/443-442).

[3] القمر: 9

[4] انظر: أبا حيان، **البحر المحيط في التفسير** (10/143).

[5] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (27/ 22).

ثانيا. التخويف من تبعات الإيمان.

إن تخويف الناس من الآثار الناجمة عن قبول قول المصلحين، وسيلة من وسائل الكفار في الإرجاف عن سلوك طريق الحق؛ كما فعل فرعون بقومه عندما دعاهم موسى عليه السلام إلى الإيمان، حيث قال الله على لسان فرعون: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[1]، أي: " أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا، فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبكم على دولتكم، فيأخذ البلاد منكم"[2].

ولقد اختار الإمام الطبري القول بأن التخويف بالإخراج هو لبني إسرائيل وليس للأشراف الذين خاطبهم بذلك، حيث قال: " يريد أن يخرج بني إسرائيل من أرضكم إلى الشأم بقهره إياكم بالسحر. وإنما قال: يريد أن يخرجكم فجعل الخطاب للملإ حوله من القبط، والمعنيّ به بني إسرائيل، لأن القبط كانوا قد استعبدوا بني إسرائيل، واتخذوهم خدما لأنفسهم ومهانا، فلذلك قال لهم:(يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ) وهو يريد: أن يخرج خدمكم وعبيدكم من أرض مصر إلى الشأم"[3].

واستدل عليه بأن الله أرسل موسى عليه السلام إلى فرعون يأمره بإرسال بني إسرائيل معه وليس الأقباط[4].

والذي يراه الباحث:

1. أنه صرفٌ للنص عن ظاهره بلا موجب حقيقي، إذ تضافرت أقوال المفسرين على أن المقصود بالخطاب هم الملأ_الأشراف_ من قوم فرعون، حيث خوفهم باتباع العامة لموسى _عليه السلام_ بعد أن يروا سحره، فيكثرون ويخرجون فرعون والقبط معه من مصر[5].

---

[1] الشعراء: 35

[2] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (6/ 139).

[3] الطبري، **جامع البيان** (346/19).

[4] انظر: المرجع السابق (19/ 346).

[5] انظر: الزمخشري، **الكشاف** (6/5)، وابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (139/6)، وأبا السعود، **إرشاد العقل السليم** (136/5)، و**تفسير الشعراوي** (6533/1).

2. من ناحية أخرى: فإن أمر الله تعالى لموسى بإخراج بني إسرائيل فحسب معه لا يعني أن فرعون قال هذا للملأ، بل كذب عليهم وأرجفهم حتى تتضافر جهودهم ليردوا على معجزة موسى عليه السلام، فلا ينقلب الأمر حينئذ عليه.

وفي نقاش فرعون مع الملإ يظهر فرعون بصورة من يستجدي المشورة والأمر من قومه، وهو الذي كان الناس قبلها يستجدون رضاه ورحمته، ويسجدون له سجودهم للرب سبحانه.

وهكذا حال الطغاة في كل حين، يُشرِّعون للناس ما يرونه مناسبا، وما هو إلا تشريع يضمن بقاءهم على العروش السامية، حتى إذا رجفت العروش من تحتهم، تداعوا إلى الشعوب أغيثونا، بعد سنين عجاف من القهر والأسر بل والقتل، وما أجمل ما قاله الشهيد سيد قطب في ذلك: "وتلك شنشنة الطغاة حينما يَحُسُّون أن الأرض تتزلزل تحت أقدامهم، عندئذ يلينون في القول بعد التجبر، ويلجأون إلى الشعوب وقد كانوا يدوسونها بالأقدام، ويتظاهرون بالشورى في الأمر، وهم كانوا يستبدون بالهوى، ذلك إلى أن يتجاوزوا منطقة الخطر، ثم إذا هم هم جبابرة مستبدون ظالمون!"[1].

والذي دعا فرعون إلى ذلك هو أنه "بهره سلطان المعجزة، وحيَّره حتى حطَّه عن ذروة ادّعاء الربوبية إلى حضيض الخضوع لعبيده_ في زعمه_ والامتثال بأمرهم، أو إلى مقام مؤامرتهم ومشاورتهم بعد ما كان مستقلا في الرأي والتدبير، وأظهر استشعار الخوف من استيلائه على ملكه، ونسبة الإخراج والأرض إليهم لتنفيرهم عن موسى عليه السلام"[2].

ويرى الزمخشري وغيره أن (تَأْمُرُونَ) من المؤامرة وهي المشاورة، أو من الأمر الذي هو ضدّ النهي، حيث جعل العبيد آمرين وربهم مأموراً، لما استولى عليه الدهش والحيرة[3].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (2594/5).

[2] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم** (136/5).

[3] انظر: الزمخشري، **الكشاف** (5/ 6)، والماوردي، **النكت والعيون** (3/ 215).

إذن فقد ابتدأ مسلسل فرعون مع الملأ حوله بالإرجاف والتخويف، وانتهى فرعون الربُّ _بزعمه_ للقول: (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ)، لا شك لكل ذي بصيرة أنها ربوبية كاذبة انحدرت إلى منزلة العبيد قي الاستجداء؛ إذ كيف يأخذ الرب المدبر رأي عبيده، ويطلب منهم العون والشورى؟، فهل عجز عن إيجاد الحل، والرد على معجزة موسى عليه السلام؟!.

وهكذا رجف فرعونُ بالسحرةَ عندما آمنوا؛ حيث خوَّفَهُم من نتيجة الإيمان بقوله: ﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1]، إذن فهي سنة فرعون وغيره بالتخويف من العاقبة، واليوم يخوفوننا بالقتل والأسر والتضييق في الرزق والفقر، ولسان حال المسلم الصادق ما قال شيخ الإسلام: "ما يصنع أعدائي بي؟!، أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة "[2].

ومن اللفتات الواردة في الآيات: أنه سبحانه قال في سورة الأعراف:﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾[3]، فلم يذكر:(بسحره)، بينما في سورة الشعراء ذكرها.

والسبب_كما يراه الباحث_ أن سياق الحديث في آية الأعراف هو للملأ ومن كلامهم، بينما في آية الشعراء لفرعون ومن كلامه، قاصدا بذلك زيادة تنفير الناس عن متابعة سيدنا موسى عليه السلام في دعوته[4].

ثالثا: المحاجة بالباطل.

يستخدم الكفار المُحَاجَّة بالباطل، لإرجاف العوام فكريا، فيختلط الحق بالباطل، وينصرفوا عن دعوة الحق بعد زعزعة الثقة في نفوسهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ

---

[1] الشعراء: 49

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (751هـ)، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث_القاهرة، ط3، 1999م، (ص: 48).

[3] الأعراف: 110

[4] انظر: ابن جماعة، أبا عبد الله محمد بن إبراهيم الحموي الشافعي (ت: 733هـ)، **كشف المعانى فى المتشابه من المثانى**، تحقيق: د. عبد الجواد خلف، دار الوفاء _المنصورة، ط/1، 1410 هـ / 1990 م، (ص: 183).

هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[1]، وكما سبقت الإشارة فإنها من وحي الشيطان، لمجادلة أهل الهدى وصدهم عن السبيل، والمحاجَّة هي:" المجادلة والمغالبة، وتطلق الحجة على ما يدلي به الخصم لإثبات دعواه أو الرد على دعوى خصمه، والحجة: إما دامغة لا تقبل النقض، أو داحضة واهية لا تثبت شيئا، فتسمى شبهة"[2].

وهكذا ديدنهم حتى في محاجَّتهم للصالحين، لا يبنونها على الحجة والبرهان بل على الإرجاف والتخويف بالآلهة المزعومة. وتكاد الصورة تكتمل في أجزائها بربطنا اليوم بالأمس، فبالأمس خوفوهم بأذى الآلهة، واليوم يخوفون أهل الإيمان ببطش أمريكا وقهر يهود، ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[3].

رابعا: استغلال المال والمنصب.

يستخدم الكفار المال والمنصب _ والَّذَين هما من أعظم الوسائل قديما وحديثا_ لإرجاف الناس عن دينهم، وما أعظمهما من فتنة، امتزجا بالحاجة والبحث عن رغد العيش، بمجرد صرف الولاء من الحق إلى الباطل، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ١١٣ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ١١٤ ﴾[4]. "وهذا دليل على أنه ينافقهم أو يبالغ في مجاملتهم؛ لأنه يحتاج إليهم أشد الحاجة. وهكذا نجد ألوهية فرعون قد خارت أمام المألوهين السحرة. وقوله: (لَمِنَ المقربين) هذه تدل على فساد الحكم؛ لأنه مادام حاكماً فعليه أن يكون كل المحكومين بالنسبة إليه سواء. لكن إذا ما كان هناك مقربون فالدائرة الأولى منهم تنهب

---

[1] الأنعام: 80

[2] الزحيلي، **التفسير المنير** (7/ 269).

[3] الحج: 18

[4] الأعراف: 113-114

على قدر قربها، والدائرة الثانية تنهب أيضاً، وكذلك الثالثة والرابعة فتجد كل الدوائر تمارس فسادها مادام الناس مصنفين عند الحاكم"[1].

وما أكثر الدوائر في زماننا، لكن عامة الناس خارج تلك الدوائر، إلا من تزلف وداهن على حساب عقيدته، قال سبحانه: ﴿ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ﴾[2].

خامسا: المساومة على الحق.

يساوم أهلُ الكفر أهلَ الإيمان؛ فيشترطون طرد من يشاؤون من الناس، بحجج مختلفة منها: أنهم أراذل ومستواهم الاجتماعي أدنى، أو أن ثقافتهم ليست عالية، فليسوا أهلا للاختيار، وغير ذلك، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾[3]، وذلك ردا من سيدنا هود عليه السلام على قومه بعد قولهم له:﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ **أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ** وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾[4].

عن عكرمة قال:" قالوا: لو كان محمد نبيا كما يقول، لاتبعه أشرافنا وساداتنا! والله ما اتبعه إلا أهل الحاجة مثل ابن مسعود!"[5].

فالأراذل هم: "الفقراء والضعفاء والسّفلة، وهو جمع أرذل بمعنى السافل الذي لا خلاق له ولا يبالي بما يفعل"[6]، والحق أنهم" السابقون إلى الرسل والرسالات، وإلى الإيمان والاستسلام لا يصدهم يصدهم عن الهدى كبرياء فارغة، ولا خوف على مصلحة أو وضع أو مكانة"[7].

---

[1] **تفسير الشعراوي** (7/ 4290).

[2] الليل: 11

[3] هود: 30

[4] هود: 27

[5] الطبري، **جامع البيان**، (ح 4046) (4/ 274).

[6] الصابوني، محمد علي، **صفوة التفاسير**، دار الصابوني- القاهرة، ط/1، 1417 هـ_ 1997 م، (2/ 10).

[7] قطب، **في ظلال القرآن** (2607/5).

وقد سبق الحديث عن الآية الكريمة، وورود قراءتين في قوله: (بادي) وتفسيرها، وهكذا تتضافر جهودهم وتتنوع في إرجاف المؤمنين.

المطلب الثاني: أمثلة على إرجاف الكفار.

إن ما يواسي المسلم فيما يتعرض له من إرجاف المرجفين، أن هذا الإرجاف حصل مع خيرة الخلق قديما، منذ أبينا آدم _عليه السلام_ كما سلف في حربه مع الشيطان، وكذا الأنبياء الكرام. بل إن ما تعرضوا له أشد وأنكى؛ لأن الإرجاف صورة من صور الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، فبأمثال تلك الحوادث يتصبَّر المسلم، وتحصل له العبرة، ومن ذلك:

أولاً. ماهدد به آزرُ سيدَنا إبراهيم ﷺ بالرجم والهجر، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ **لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي** مَلِيًّا ﴾[1].

ما أحرانا أن نتعظ بإخلاص أبي إبراهيم لعقيدته، كيف تغَلَّب فيه ولاؤه لعقيدته على ولائه لنسبه وعاطفته؟، هذا وهو يعبد صنما يشكله بيده، فكيف بنا لا نصبر على العقيدة السامية؟!.

لقد وصل بإرجاف أبي إبراهيم أن استغل حاجة إبراهيم إلى المأوى والعائلة والعاطفة فطرده، واستغل حاجته إلى الأمن النفسي فهدده بالرجم.

وللرجم هنا أكثر من معنى، منها أولا: أنه الرجم باللسان، وهو الشتم والذم ومنه الرجيم، أي المرمي باللعن[2]، والثاني: أنه الرجم باليد، وله وجوه، أهمها: لأرجمنك بإظهار أمرك للناس ليرجموك ويقتلوك، وكذلك: لأرجمنك بالحجارة لتتباعد عني، ومنها: الرجم بالحجارة[3].

---

[1] مريم: 46

[2] انظر: الطبري، **جامع البيان** (18/204-205)، والزمخشري، **الكشاف** (4/89).

[3] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (10/316).

ومن الملاحظات على هذا المثال:

1. ولاء العقيدة مقدم على ولاء النسب؛ ففي ثنايا القصة يتبين أن إبراهيم الخليل ﷺ لم يساوم على عقيدته، ولم يتأثر لحظة بإرجاف أبيه له، بل ازداد شفقة عليهم لعدم إيمانهم؛ فهو يعلم علم اليقين حجم الهول الذي ينتظرهم إن بقوا على الكفر، فهول الفظائع التي سيلاقونها في النار أعظم بكثير_بل لا تقارن_ من إرجاف والده، بدليل قوله تعالى عن ردة فعله بعدها:

﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[1].

إن المتأمل في السياق لا يجد أي أثر للإرجاف على طريقة إبراهيم في الكلام، فأبوه يهدده بالرجم والهجر، وإبراهيم يعِدُه بالسلام والاستغفار_مع أنه نهي عن ذلك بعدها لما تبين له أنه يختم له بكفره[2]_، نعم هكذا يتهذب خلق المؤمن، يجلله الثبات، وتزينه الرحمة على الخَلق.

2. على المؤمن أن يتسامى على جراحه التي يلاقيها في دعوته للناس_فهم أعداء لما جهلوا_، وأن يبقى محبا لهدايتهم، وهذا لا يتنافى مع عقيدة الولاء والبراء، فهو يكره باطلهم وما هم عليه من الانحراف والهوى، ويستشعر عِظم الجهل الذي يقودهم إلى الهاوية، فيحاول بكل جَهده ردَّهم إلى سلوك الجادة، ومن هنا نتبين حال الرسول ﷺ في حرصه الشديد على هداية قومه، حتى أنزل الله إليه قوله: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾[3].

ثانيا. إرجاف امرأة العزيز بيوسف ﷺ.

ما حصل لسيدنا يوسف _عليه السلام_ على يد امرأة العزيز، شكل آخر من أشكال الإرجاف؛ فقد هددته بالسجن والذل والصغار، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[4].

---

[1] مريم: 47

[2] كما بُيِّن في قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴾ التوبة: ١١٤

[3] الكهف: 6

[4] يوسف: 32

لقد بيَّنت الأحاديثُ الصحيحةُ أن سيدنَا يوسف ﷺ أوتي حظا من الجمال وافرا، ومنها قول حبينا محمد ﷺ في حديث المعراج الطويل الذي رواه أنس بن مالك_رضي الله عنه_ وفيه: " ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنَ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ، **إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ "[1].

وهنا يَطرح سؤالٌ نفسَه: هل هذا الجمال يبيح لامرأة العزيز وغيرها من نساء المدينة أن يتعرضن له؟، وهل كلما رأت رجلا ذا جمال استبضعت منه كما في الجاهلية؟، إنها إذن والله الدَّياثة واختلاط الأنساب وانتهاك الأعراض، ليصبح النّاس كالبهائم بلا تعقُّل، كما هو حال المجتمعات الغربية وللأسف، ومن تشبَّه بهم ممن يشعرون بنقص ذواتهم في بلادنا، فواحسرتاه!!.

وهذا والله إرجاف في الأعراض، لا يستسيغه العفيف من الناس فضلا عن نبي كريم ابنٍ للأكرمين؛ فمرادها من هذا أن يوسف ﷺ "إن لم يوافقها على مرادها يوقَع في السجن وفي الصَّغار، ومعلوم أن التَّوعد بالصَّغار له تأثيرٌ عظيم في حق من كان رفيعَ النّفس عظيمَ الخطر مثل يوسف عليه السلام"[2].

لقد بلغ حب المعصية في قلب امرأة العزيز مبلغ الصنم المعبود؛ فهي لا تستطيع الفكاك عنه ولا التخلص منه، وهي مصممة على ما تريد، حاملة في جعبتها صنم المعصية وعظمة المُلك، وقد أكدت"حصول سجنه بنُونَي التوكيد، **وقد قالت ذلك بمَسمَع منه إرهابا له**"[3].

إن هذا موقف عسير لو كُنَّا مكان يوسف ﷺ، لكنه شرف الاختيار وحكمته، إنه النبي الكريم، ذو الأصول الراسخة في العفة والشرف، فقد استعصم وامتنع أشد ما يكون الامتناع، فالاستعصام: "بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد، كأنه في عصمة وهو يجتهد

---

[1] رواه مسلم في **صحيحه**، كتاب: الإيمان، بَابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَفَرْضِ الصَّلَوَات، (ح: 162) (1/ 145).

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب** (9/ 36).

[3] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (12/ 264).

في الاستزادة منها. ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأي واستفحل الخطب. وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه، وبرهان لا شيء أنور منه"[1].

لقد عانى عليه السلام من دعوتها وفتنتها! ثم بعد ذلك تُظهر سيطرتها عليه أمام النسوة في تبجح سافر؛ فهي لا ترى بأساً من أن تعلن بكل فجور حاجتها الأنثوية، مستعينة بمُلكها قائلة : ﴿ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾[2]!، فهو الإصرار والتبجح والتهديد والإغراء الجديد في ظل التهديد، إنه إرجاف الطهارة بلا شك[3].

[1] الزمخشري، **الكشاف** (3/ 166).

[2] يوسف: ٣٢

[3] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 1985).

المبحث الثالث

أهل الكتاب

المطلب الأول: علاقة أهل الكتاب بالمسلمين.

لقد قدَّر الله تعالى أن يُمكِّن لرسوله ﷺ وتُقام له دولة، وكان من ضمن رعايا الدولة عددٌ من قبائل اليهود، لم يكرهْهُم النبيُّ على الإسلام لأنه: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1]، بل عاملهم بإحسان كأهل ذمَّة، ما داموا محافظين عليها ولم يخفروها.

لكنهم لم يحفظوا ما منَّ الله به عليهم، وكادوا للإسلام وأهله، قال سبحانه:﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[2].

لقد ذكر العلماء أكثر من سبب لنزول الآية الكريمة؛ فبعضهم ذكر أنها نزلت في كعب بن الأشرف، حيث كان شديد التحريض والأذى للنبي وللمسلمين، مع أن النبي أراد أن يستصلح حالهم، فواساه الله تعالى بالآية[3]. وبعضهم ذكر[4] أنها نزلت في فنحاص اليهودي، سيد بني قَيْنُقَاع.

وأما الإمام الطبري فكأنه اختار التعميم؛ حيث قال قبل أن يورد الأقوال الأخرى: "(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم)، يعني: من اليهود، وقولهم:(إن الله فقير ونحن أغنياء)، وقولهم: (يد الله مغلولة)، وما أشبه ذلك من افترائهم على الله: (ومن الذين أشركوا)، يعني النصارى: (أذى كثيرًا)، والأذى من اليهود ما ذكرنا، ومن النصارى قولهم:(المسيح ابن الله)، وما أشبه ذلك من كفرهم بالله"[5].

---

[1] البقرة: 256

[2] آل عمران: 186

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان** (رقم: 8317) (7/ 456)، وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (رقم: 4619) (3/ 834)، والواحدي، **أسباب النزول** (ص: 135).

[4] الطبري، **جامع البيان** (رقم:8316) (7/ 456).

[5] المصدر السابق (455/7).

وأيا كان سبب النزول، فإن جميع الروايات تشترك في أن الأذى من أهل الكتاب جِبِلَّة فيهم، قائدهم إليه الحسد وكراهية الموحدين.

هكذا كانت طبيعتهم مع الرعيل الأول، وأما اليوم فقد ازداد إرجافهم وشرُّهم وأذاهم، وعمَّ ظلمهم وكيدهم بعدما صار لهم تمكين بظلم منا، يقول سيد قطب: " وهذا التوجيه الإلهي للجماعة المسلمة في المدينة ما يزال هو هو، قائماً اليوم وغداً، يبصر كل جماعة مسلمة تعتزم سلوك الطريق، لإعادة نشأة الإسلام ولاستئناف حياة إسلامية في ظل الله... وهم هم مشركين وملحدين وأهل كتاب، الصهيونية العالمية والصليبية العالمية والشيوعية!"[1].

ولقد تحينوا الفرص السانحة لنقض العهود والطعن في المسلمين والتأليب عليهم، فهي صفة دائمة فيهم كما قال سبحانه عنهم: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[2]، والمقصود بالعهد هنا "الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى. فوبخهم جل ذكره بما كان منهم من ذلك، وعير به أبناءهم إذ سلكوا منهاجهم في بعض ما كان جل ذكره أخذ عليهم بالإيمان به من أمر محمد ﷺ من العهد والميثاق، فكفروا وجحدوا ما في التوراة من نعته وصفته"[3].

ونلاحظ أن الحق تبارك وتعالى استخدم الاستفهام الإنكاري في قوله: **(أَوَ كُلَّمَا** عاهدوا**)**، وهذا مع ما فيه من إعظام لما يقومون به من نقض العهود والمواثيق، كذلك فإنه "أبلغ في التنكير والتبكيت، ودل بقول: { أَوَ كُلَّمَا عاهدوا } على عهد بعد عهد نقضوه ونبذوه ، **بل يدل على أن ذلك كالعادة فيهم** فكأنه تعالى أراد تسلية الرسول عند كفرهم بما أنزل عليه من الآيات بأن ذلك ليس ببدع منهم ، **بل هو سجيتهم وعادتهم وعادة سلفهم** على ما بينه في الآيات المتقدمة من نقضهم

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (1/536-537)، بتصرف.

[2] البقرة: 100

[3] الطبري، **جامع البيان** (2/ 400).

العهود والمواثيق حالاً بعد حال لأن من يعتاد منه هذه الطريقة لا يصعب على النفس مخالفته كصعوبة من لم تجر عادته بذلك"[1].

نعم والله إنهم لمن شرِّ أهل الأرض، فقد تلطخت فِطرُهم بكثرة الغدر والخيانة، حتى صاروا لا يُعرفون إلا بذلك؛ فقد ورد عن الحسن البصري قوله: "نعم، ليس في الأرض عهد يُعاهِدُون عليه إلا نقضوه ونبذوه، يعاهدون اليوم وينقضون غدا"[2].

ووالله لا يجادل في هذه الحقيقة إلا من طمس الله بصيرته وختم على قلبه، أوْ مَن تاقت نفسُه للخيانة، ولم يتذوق الثقة بكتاب ربه وسنة نبيه، ولا أدل عليه من خيانة بني قريظة للحبيب المصطفى ﷺ.

وهكذا ترتسم صورتهم في سجاياهم ومعاملاتهم، ولقد أجمل ذلك سيد قطب بما يكفي في التعريف بهم حين قال: "وكان رسول الله ﷺ قد أجلى بني قينقاع عن جواره في المدينة، بعد ما كان منهم–عقب غزوة بدر– من غيظ وكيد، وتحرش بالمسلمين، ونقض للمواثيق التي عقدها معهم النبي ﷺ عند مقدمه إلى المدينة، وقيام الدولة المسلمة برياسته مرتكنة إلى المسلمين من الأوس والخزرج... ولكن كان بقي من حوله: بنو النضير، وبنو قريظة، وغيرهم من يهود خيبر وسواهم في الجزيرة... وكلهم يتراسلون ويتجمعون، ويتصلون بالمنافقين في المدينة، وبالمشركين في مكة وفيما حول المدينة، ويكيدون للمسلمين كيداً لا ينقطع ولا يكف"[3].

المطلب الثاني: وسائل إرجاف أهل الكتاب.

إن أهل الكتاب ما هم إلا جند من جنود إبليس الذين صدَّق فيهم ظنّه، فهو يمدهم بوسائل وأساليب إرجافية، يصدون بها عن سبيل الله تعالى، ومما ذكر القرآن من وسائلهم:

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب** (2 / 238).

[2] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (رقم: 974) (1/ 184).

[3] قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 534).

أولاً. الفتنة والوقيعة بين الإخوان.

كلما رأى أهل الكتاب تآلفا بين المسلمين غاظهم، وقاموا بإثارة الأخبار التي من شأنها أن تؤلب قلوبهم بالشر؛ فاستحضار مثل هذه الأخبار _مع أن الزمان عفا عنها_ بعدما تناساها الناس من شأنه أن يثير مكامن النفس وحظوظها، ومن ذلك قوله جل في علاه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾[1].

وهكذا كل من تابعهم وسمع لهم في كل حين، لا شك في وقوعه في حبائلهم، يقول الإمام الرازي: "يحتمل أن يكون المراد هذه الواقعة، ويحتمل أن يكون المراد جميع ما يحاولونه من أنواع الإضلال، فبيّن تعالى أن المؤمنين **إن لانوا وقبلوا منهم قولهم أدى ذلك حالاً بعد حال إلى أن يعودوا كفاراً، والكفر يوجب الهلاك في الدنيا والدين**، أما في الدنيا فبوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة وثوران المحاربة المؤدية إلى سفك الدماء، وأما في الدين فظاهر"[2].

ولا أدل على ذلك من ممارساتهم اليوم في واقعنا _نحن أهل فلسطين_ إذ كلما أراد الناس الاجتماع على كلمة سواء، أغروا طائفة على طائفة أخرى، وأوقدوا نار الحرب بينهم، وضغطوا بكل ما يملكون من ثقل سياسي واقتصادي وعسكري.

فعلينا الانتباه لكيدهم فلا نلاينهم، ولا نملِّكهم رقابنا، وليجدوا فينا غِلظة كما أمرنا الله تعالى.

ثانيا: إشاعة مجموعة من الأقوال والعقائد الفاسدة.

كان لأهل الكتاب نصيب من الأراجيف في الصد عن الإسلام، وذلك بإشاعة مجموعة من الأقوال التي تشتمل على عقائد فاسدة ترجف معتقدات المسلم فتشوِّهها وتشوِّشها، سواء تجاه الخالق، أو عن المآل _نهاية الإنسان ومصيره _، وغيرها مما ترجف المؤمن في نفسه وفكره، والتي تعتبر الدافع نحو العمل والإنتاج.

---

[1] آل عمران: 100

[2] الرازي، **مفاتيح الغيب** (4/ 322).

ومن ذلك الافتراء على الله تعالى بأنه اتخذ ولدا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴾[1]، فيدخل تحت هذه الآية اليهود والنصارى كما في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ﴾[2]، وكذلك العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله[3]، وهذا من أبشع أنواع الإرجاف بعقيدة المسلم وأعظمها، ولا أدل على ذلك من قول العظيم بعدها:

﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدّٗا ﴾[4].

وقد جاءت هذه الآيات الكريمة كرد على "مقالتهم الباطلةِ وتهويل لأمرها بطريق الالتفاتِ المنبئ عن كمال السخط، وشدة الغضب المُفصِح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة، والإدُّ بالكسر والفتح: العظيم المنكر، والإدّة: الشدة، وأدني الأمر وآدني أثقلني وعظُم عليّ، أي فعلتم أمرا منكرا شديدا لا يقادَر قدرُه"[5]، وهكذا هم دائما لا يخرج من أفواههم إلا عظائم القبائح وكبائرها.

ولا أقل منها قولهم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾[6]، إشارة إلى طلب الله تعالى في قوله: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴾[7]، ووالله إن عدم خسف الله تعالى بهم _ نتيجة لهذه الأقوال فحسب_ يدل دلالة قاطعة على حِلم الله تعالى بهم، فإنها كلمات كما سبق لا تتحملها الأسماع، ولا تحملها السماوات والأرض والجبال، فكيف ينطقها لسان، ويحمل وزرها إنسان؟!.

---

[1] مريم: 88

[2] التوبة: 30

[3] انظر: البغوي، أبا محمد الحسين بن مسعود (ت: 510هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط/1، 1420 هـ، ج 5، (5/ 256)، وتفسير الرازي، **مفاتيح الغيب** (10/ 344).

[4] مريم: 89-90

[5] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم** (4/ 333).

[6] آل عمران: 181

[7] الحديد: 11

أما عن المآل فمن ذلك قولهم: إنه لن يدخل الجنة إلا أهل الكتاب، كما قال عنهم سبحانه: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[1]، فهو" خبر من الله تعالى... أنه أماني منهم يتمنونها على الله بغير حق ولا حجة ولا برهان، ولا يقين علم بصحة ما يدعون، ولكن بادعاء الأباطيل وأماني النفوس الكاذبة"[2]، نعم إنها أماني فاسدة لا تصدر إلا عن نفس خبيثة تريد احتكار الخير، والتعالي على الخلق لمجرد أنه يهودي أو نصراني، وكأني ألمس في ثناياها_أيضا_ عذرا للقعود عن العمل، وأنه يكفي الاعتناق لضمان دخول الجنة، وهذا زعم باطل.

ومن الملاحظ في نهاية الآية ختامها بقوله تعالى:﴿ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾، وهذا ليس مجرد طلب للدليل، بل هو طلب يحمل معنى التكذيب لهم، فالمعنى: لو كان معكم برهان على قولكم لاستحضرتموه، وعدم استحضاركم للبرهان دليل على كذبكم[3].

وبهذا فقد رد الله تعالى "على ادعاءات اليهود والنصارى الذين يحاولون أن يثيروا اليأس في قلوب المؤمنين بالكذب والإحباط علَّهم ينصرفون عن الإسلام... لذلك فقد أبلغنا الله سبحانه بما افتروه"[4].

ثالثاً. الأذى الجسدي والاضطهاد.

إن الأذى الجسدي والاضطهاد الدائمين الذين قد يصلان إلى حدِّ قتل الأنبياء والصالحين، سنة من سنن أهل الباطل، وكنت قد أشرت في المطلب الأول إلى مضمون قوله تعالى:

﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ

---

[1] البقرة: 111

[2] الطبري، **جامع البيان** (2/ 508) بتصرف.

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان** (510/2).

[4] **تفسير الشعراوي** (1/ 315) بتصرف.

ٱلْأُمُورِ ﴾[1]، والحقُّ أن هذا الأذى الذي وصفه الله تعالى بالكثير كان سنة يتداولونها في حقِّ أهل الإيمان، ولا أدل على ذلك من قوله تعالى:﴿ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾[2]، فما أعظمه من إرجاف، أيصل الأمرُ بهم أن يقتلوا خيرَ أهل الأرض؟!، إذن فلا غرابة اليوم وقد أخذوا على عاتقهم قيادة الفساد في العالم، ولا يجب أن نستهجن ما يفعلونه بإخواننا في أصقاع الأرض عامة، وفي فلسطين خاصة، إذ لا يصل ذلك إلى إجازتهم قتل الأنبياء، فقد يقتلوننا بذرائع مختلفة، لكنهم لن يستطيعوا التذرع بأي ذريعة لقتل الأنبياء المعصومين من الزلل.

وهنا قد يطرأ سؤال على الناظر هو: الخطاب في الآية الكريمة _كما ورد في بيان سبب نزولها_ لليهود الذين عاصروا الرسول ﷺ، فكيف يقول الله تعالى عنهم أنهم قتلة الأنبياء، ومعلوم أنهم لم يقتلوا نبيا من الأنبياء؟.

وفي الجواب عنه ذكر العلماء قولين هما:

الأول: أن اليهود المعاصرين للرسول ﷺ كانوا راضين بما فعله سلفهم من قتل الأنبياء، وهو من جنس منهجهم، وهذا الرضا يدخلهم في مشاركتهم لإثم القتل، ويستحقون لأجله الوعيد[3].

والثاني: أن الله تعالى أراد أنه سيكتب ما قاله المعاصرون للرسول ﷺ، ويكتب ما فعله أسلافهم، ثم يجازي كل فريق بما هو أهله، فالمعنى: أنه سبحانه سيحفظ على الفريقين معاً أقوالهم وأفعالهم[4].

والأقرب هو الأول مع عدم تنافيه مع الآخر، كيف لا وقد قالوا:﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[5]، "والأميون هم العرب الذين ليسوا أهل كتاب، أي: ليس علينا في ظلمهم حرج لمخالفتهم لنا في ديننا، وادّعوا لعنهم الله أن ذلك في كتابهم، فردّ

---

[1] آل عمران: 186

[2] آل عمران: 181

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان** (7/ 446)، والجصاص، أحمد بن علي أبا بكر الرازي الحنفي (ت: 370هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد صادق، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1405 هـ، (2/ 319).

[4] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (4/ 495).

[5] آل عمران: 75

الله سبحانه عليهم بقوله: (وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ)"[1]، ففي نظرهم ليس هناك شيء ممنوعين عن استباحته، ولا شك في أنهم _كما سبق _ لم يدَّخروا جهدا في محاولة قتل النبي ﷺ، ولو أتيحت لهم الفرصة لفعلوا.

المطلب الثالث: أمثلة على إرجاف أهل الكتاب.

تعددت وقائع الإرجاف التي حصلت من بني إسرائيل، وسأستقي من سيرتهم بعض الأمثلة التي يتمثل الإرجاف فيها واضحا جليا، ومنها:

أولا. فتح بيت المقدس.

عندما حانت لحظة فتح بيت المقدس، قام بنو إسرائيل بالاعتذار بأراجيف لا تمنع من الخروج حقيقة، هدفهم منها التخلف عن الغزو، وتثبيط النبي ومن معه، فقالوا: ﴿ **يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ** ﴾[2]، أوَهكذا يكون أتباع الأنبياء؟، لحظة حاسمة تحتاج لكل جهد ودعم مادي ومعنوي، يأتي بعده التمكين للثلة المؤمنة المستضعفة، ثم يبخلون بأنفسهم عن نفسه!.

ولنلاحظ حجم الإرجاف بعدم ذهابهم من خلال وصف فعلهم في الآية التي سبقتها؛ حيث قال سبحانه:﴿ **يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ** ﴾[3]، نعم إنها ردة على الأعقاب، وهو" تحذير ممّا يُوجب الانهزام، لأنّ ارتداد الجيش على الأعقاب من أكبر أسباب الانخذال. والارتداد افتعال من الرّدّ، يُقال: ردّه، فارتَدّ، والرّد: إرجاع السّائر عن الإمضاء في سَيره وإعادته إلى المكان الذي سار منه"[4].

---

[1] الشوكاني، **فتح القدير** (483/1).

[2] المائدة: 22

[3] المائدة: 21

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (6/ 162).

وأما وصف رجال بيت المقدس بالجبارين، فقد اختلف العلماء في سبب تسميتهم بذلك على معنيين، أولهما: أنها صيغة مبالغة من جبر على الأمر، أي: أجبره عليه، وعليه فإنهم كانوا جبابرة ظالمين يجبرون الناس على فعل ما لا يريدون، وذهب إليه الفراء[1] والألوسي[2] وغيرهما.

وثانيهما: أنها من عِظم الخِلقة وطول القامة، قال البغوي:"المتعظم الممتنع عن القهر، يُقال: نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الأيدي إليها، وسُمي أولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم وقوة أجسادهم، وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد"[3]، وإليه ذهب الطبري[4]، والرازي وغيره[5].

إذن فهي سنة المرجفين المخذلين في كل حين، لا يكتفون بعدم النصرة للحق بل يرجفون غيرهم عنها، فلا يبقى إلا من ثبَّت الله تعالى الإيمان في قلبه، وأخذ على عاتقه حمل هم الأمة ولو وحده، قال سبحانه: ﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾[6]، ويقف هنا رجلان من الذين ثبتهم الله مع سيدنا موسى عليه السلام، لا يهمنا معرفة أسمائهما بل دورهما في نصرة الحق، حيث قال تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[7]، نلاحظ قوله سبحانه: **(أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا)**، فالتثبيت نعمة عظيمة يمُنُّ الله بها على من يشاء من عباده، ووصفهم الله بالذين يخافونه تعالى؛ فالتثبيت لا يُمنح لغير الأتقياء.

---

[1] انظر: الفراء، **معانى القرآن** (3/ 246).

[2] انظر: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ)، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري دار الكتب العلمية – بيروت، ط/1، 1415 هـ، ج 16، (4 / 443).

[3] البغوي، **معالم التنزيل** (36/3).

[4] انظر: الطبري، **جامع البيان** (10/ 171).

[5] انظر: الرازي، **مفاتيح الغيب** (6 / 25)، **وتفسير الشعراوي** (5/ 3058).

[6] النساء: 84

[7] المائدة: 23

ثانياً. حادثة طالوت وجالوت.

في المعركة الحاسمة التي جرت بين طالوت وجالوت، ومع قلة العدد والعدة مع الملِك الكريم طالوت، كان لضعاف الإيمان هدف من إثارة الأراجيف حول قوة جالوت وجنوده، مغبَّة ترك القتال والتخذيل عنه، فقالوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ﴾[1]، هذا بعين النظرة المادية، أما بنظرة المؤمن المستحضر لمعية الله العظيم فالأصل أن يقولوا: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾[2]، فقد أخذوا بالأسباب التي استطاعوا تحصيلها، وأما الثمرة فعليه سبحانه، فكيف لا ينصرهم وقد خرجوا في سبيله؟!، وقد أخذ على نفسه سبحانه نصر المؤمنين، كما قال سبحانه:

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3].

وبتتبع دور المرجفين ودور المصلحين تجاههم، يظهر الأثر، "{ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ } _أي القليل الذين لم يخالفوه _ { قَالُواْ }_ أي بعضهم لبعض_: {لاَ طَاقَةَ لَنَا اليوم بِجَالُوتَ وَجُنودِهِ}، لكثرتهم وقوتهم .

{ قَالَ الذين يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُواْ الله }_ أي قال الخلص منهم الذين تيقنوا لقاء الله وتوقعوا ثوابه، أو علموا أنهم يستشهدون عما قريب فيلقون الله تعالى، وقيل: هم القليل الذين ثبتوا معه، والضمير في { قَالُواْ } **للكثير المنخذلين عنه اعتذاراً في التخلف وتخذيلاً للقليل**، وكأنهم تقاولوا به والنهر بينهما_: { كَم مّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ الله }"[4].

وأما عن ماهية عقيدتهم، فقد رجح الإمام الطبري _ بعد استعراض أقوال العلماء وأدلتهم_ أن الذين قالوا: (لا طاقة لنا...) هم: أهل كفر بالله ونفاق، وليسوا ممن شهد قتال جالوت وجنوده،

---

[1] البقرة: 249

[2] محمد: 7

[3] الروم: 47

[4] البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي(ت: 685هـ)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/1 – 1418 هـ، (1/ 281).

واستدل عليه بأنهم انصرفوا عن طالوت ومن ثبت معه لقتال عدو الله جالوت ومن معه، وهم الذين عصوا أمر الله لشربهم من النهر، وذكر أن هذا قول ابن عباس وابن جريج والسدي[1].

إذن فهم أنفسهم الذين شربوا من النهر، ولا يرى الباحث ذلك صحيحا، بل هم ضعفاء إيمان، لم يملأ الإيمان قلوبهم، فكما يرى سيد قطب أنها مرحلة اختبار وغربلة لمعرفة مقدار الإرادة عندهم، فجاء هذا الاختبار لتصفية من كان في إيمانه ضعف؛ لأنها معركة الإيمان والصبر، ولا مكان فيها للضعفاء.

يقول رحمه الله: " فلا بد للقائد المختار إذن أن يبلو إرادة جيشه، وصموده وصبره: صموده أولاً للرغبات والشهوات، وصبره ثانياً على الحرمان والمتاعب... واختار هذه التجربة وهم كما تقول الروايات عطاش، ليعلم من يصبر معه ممن ينقلب على عقبيه، ويؤثر العافية... وصحت فراسته:

{ فشربوا منه إلا قليلاً منهم }، شربوا وارتووا، فقد كان أباح لهم أن يغترف منهم من يريد غرفة بيده، تبل الظمأ ولكنها لا تشي بالرغبة في التخلف! وانفصلوا عنه بمجرد استسلامهم ونكوصهم.

انفصلوا عنه لأنهم لا يصلحون للمهمة الملقاة على عاتقه وعاتقهم. وكان من الخير ومن الحزم أن ينفصلوا عن الجيش الزاحف، لأنهم بذرة ضعف وخذلان وهزيمة. والجيوش ليست بالعدد الضخم، ولكن بالقلب الصامد، والإرادة الجازمة، والإيمان الثابت المستقيم على الطريق"[2].

ثم أين ما يدل على أنهم كفار منافقون من أثر ابن عباس؟، فنص الأثر عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ كالآتي: " فشرب كل إنسان كقدر الذي في قلبه. فمن اغترف غرفة وأطاعه، روي لطاعته، ومن شرب فأكثر، عصى فلم يرو لمعصيته"[3].

فكل ما فيه أن من صبر روي بصبره على طاعة طالوت، والقسم الآخر عصى بشربه_إلا من اغترف بيده_ فلم يرو بسبب معصيته.

---

[1] انظر: الطبري، **جامع البيان** (رقم: 5722) (5/ 345)، و(رقم: 5734، و5735) (5/ 350).

[2] قطب، **في ظلال القرآن** (1/ 268).

[3] الطبري، **جامع البيان** (رقم: 5722) (5/ 345).

ثالثاً. قصة أصحاب الكهف.

في قصة أصحاب الكهف ومطاردة قومهم لهم، إرجاف عظيم وخوف من القتل كبير، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ **يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ** وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾[1].

تعارضت آراء العلماء من المحققين والمفسرين والمؤرخين حول عقيدتهم وزمانهم وغير ذلك مما يعرِّف حالهم.

ولن يتعرض الباحث لذكر شيء من ذلك، إلا بما يقرب المعنى من موضوعنا الإرجاف، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الخائضين فيما سبق ذكره معظم كلامهم اجتهاد لا دليل عليه، أو كتابات من الأمم الأخرى قائمة على التخرص، وهذا ينافي المنهج العلمي في البحث.

من هم أصحاب الكهف، وأين مكانهم؟.

كما سبقت الإشارة إلى اختلافهم في التعريف بهم وبزمانهم، فمنهم من يرى بأنهم فتية من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح، ثم بعثهم الله بعد المسيح في الفترة التي بينه وبين النبيّ ﷺ.[2]

وقول آخر بأنهم كانوا من الروم، وكانوا يعبدون الأوثان، فهداهم الله، وكانت شريعتهم شريعة عيسى عليه السلام[3].

وقد استدل سيد قطب ببناء المسجد على الكهف بأنهم كانوا على شريعة أهل الكتاب، إذ إنها من عادات اليهود والنصارى كذلك[4].

---

[1] الكهف: 20

[2] كابن وهب فيما نقله عنه: المطهر، ابن طاهر المقدسي (ت: نحو 355هـ)، **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، ج 6 _ بدون طبعة ولا سنة نشر_(3/ 128).

[3] انظر: الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي، أبا جعفر (ت: 310هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، دار التراث – بيروت، ط/2– 1387 هـ، ج 11، (2/ 7)، وابن الأثير، أبا الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني (ت: 630هـ)، **الكامل في التاريخ**، تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ط/1، 1417هـ، ج 10، (1/ 325).

[4] انظر: قطب، **في ظلال القرآن** (5/ 58).

من الملاحظات على حادثة أصحاب الكهف:

1. وجوب الدعوة إلى الله على بصيرة، إذ كيف يتعلم الناس الدين الحق إن لم يكن هناك ثلة تصدع به؟، وكيف يُسترشد بأهل الحق إن أخذ الجميع بالرخص؟.

2. إن الإرجاف بأهل الحق سنة الطغاة، يتفننون في ابتداع وسائل مختلفة، والإرجاف جزء من الابتلاء _كما سلف_الذي هو من سنن الأنبياء، فلا يضير المسلم ما يفعله أعداؤه به.

3. إن اعتزال الباطل وأهله مرحلة من مراحل الدعوة يلجأ إليها المستضعفون من أهل الحق، ضمن ضوابط المصالح والمفاسد، وفي حالات متأخرة من الصراع، فهو من آخر العلاج.

4. إن الله تعالى ناصر الدين وأهله؛ فقد نصر أصحابُ الكهف اللهَ بنصرة دينه، فنصرهم اللهُ وجعلهم آية يتداولها أهل الأديان من بعدهم، ومن لم يثق بنصر الله فليجدد إيمانه.

5. إن المسلم دائما ما يُغَلِّب مصلحة الدين على هواه ومصلحته، كيف لا وقد باع نفسه رخيصة مقابل الرضوان الإلهي؟، ولا يعرف حلاوة ذلك إلا الذين صدقوا البيع.

6. نلاحظ حجم الإرجاف الذي مورس على أصحاب الكهف، فقد وُضعوا بين خيارين لا ثالث لهما، هما: القتل رجما أو العودة إلى الشرك، ف"(يَرْجُمُوكُمْ): يقتلوكم أخبث القتلة وهي الرجم، وكانت عادتهم. (أَوْ يُعِيدُوكُمْ) أو يدخلوكم (فِى مِلَّتِهِمْ) بالإكراه العنيف ويصيروكم إليها. والعود في معنى الصيرورة أكثر شيء في كلامهم، يقولون: ما عدت أفعل كذا، يريدون ابتداء الفعل"[1].

وما أشبه الأمس باليوم، فالغرب اليوم خيروا الناس بين خيارين لا ثالث لهما، بين أن يكونوا معهم ولهم الأمن والرَّغد، أو عليهم ولهم القتل والغضب، فكل من لم يوالهم عدَّوه إرهابيا، ومن داهنهم وصفوه بالاعتدال والحليف والصديق.

[1] الزمخشري، **الكشاف** (4/ 2).

رابعاً. الإرجاف بأصحاب الأخدود، كما قال سبحانه: ﴿ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴾[1]، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴾[2].

ابتداء فإن الخد والأخدود شق في الأرض مستطيل عميق، وجمعه أخاديد، وهو مأخوذ من خدي الإنسان، لأنهما يحدان الأنف عن يمينه وشماله[3].

وأما التعريف بهم، فإنه لا يهم معرفة الأشخاص إلا بقدر ما في الحادثة من عبرة نستفيدها في أصناف الإرجاف قديما وحديثا، يُستلهم منها منهج الطائفة المنصورة إن شاء الله تعالى، فالروايات تدور على أن الذين أُلقوا في الأخدود إما قوم اتَّبَعوا النصرانية في بلاد اليمن على أكثر الروايات، أو في بلاد الحبشة على بعض الروايات، وذُكِرت فيها روايات متقارِبَة تختلف بالإجمال والتفصيل، والترتيب، والزّيادة، والتعيين وأصحها ما رواه مُسلم والترمذي عن صهيب، وجاء فيه:

" فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، **فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ**، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، **فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا**، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ "[4].

---

[1] البروج: 4

[2] البروج: 10

[3] انظر: الأصفهاني، **مفردات غريب القرآن** (1/ 143).

[4] مسلم، **الصحيح**، كتاب: الزهد والرقائق، بَابُ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ وَالسَّاحِرِ وَالرَّاهِبِ وَالْغُلَامِ، (ح: 3005)، (4/ 2299-2300).

وكما سبق فالذي يعنينا هو حجم الإرجاف الذي تعرضوا له، ووسيلته؛ فكما هو ظاهر _لكل ذي بصيرة_ أن الكفار أرجفوا المؤمنين عن دينهم وإيمانهم بالتعذيب حرقا في النار، وما أعظمها من فتنة، وما أفظعها من وسيلة. أين من يزعمون شعار حرية الاعتقاد_مع التفصيل فيه بالضوابط الشرعية_ من فِعلة سلفهم الشنيعة؟، أين من صمخوا آذاننا فيما تعرَّض له اليهود من محرقة على يد الألمان_فيما يزعمون_؟، هذا هو ديدنهم مع أهل الإسلام، ما كان شاهدا عليهم أعرضوا عن ذكره، وما كان لهم _بزعمهم_ جاؤوا إليه منقادين مسرعين، كما قال سبحانه عن أهل النفاق:

﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴾[1]، فليأخذ أهل الحق في زماننا عبرة من هذه الحادثة؛ فهي_والله_ تمثل أعظم وسائل الإرجاف العالمي الديني، فإن التهديد بالمال دونها في البشاعة، وإن هددوا بالسجن فهو دونها، أو ضربوا الأجساد فلا يصل إلى شناعتها. وعلينا أن نأخذ بعين الاعتبار مقدار صبرهم وثباتهم على الحق، فقد كان بإمكانهم الأخذ بالرخصة حتى إذا زال الخوف عادوا إلى دينهم، لكنها عزة المؤمن، وبيع النفس لله، فهي رخيصة في سبيل العقيدة، فأين رجالنا من هذه المُثل؟، أين هم ولم يتعرضوا لفتنة حتى تراهم انقلبوا على أعقابهم _ولا حول ولا قوة إلا بالله_؟!.

وللشهيد سيد قطب درر من العبارات في هذا المقام حبذا لو تأملها صاحب المنهج القويم، حيث قال: " كذلك تنتهي رواية الحادث وقد ملأت القلب بالروعة. روعة الإيمان المستعلي على الفتنة، والعقيدة المنتصرة على الحياة، والانطلاق المتجرد من أوهاق الجسم وجاذبية الأرض. قد كان مكنة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لإيمانهم. ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم في الدنيا قبل الآخرة؟، وكم كانت البشرية كلها تخسر؟، كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير: معنى زهادة الحياة بلا عقيدة، وبشاعتها بلا حرية، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الأرواح بعد سيطرتهم على الأجساد! إنه معنى كريم جداً ومعنى كبير جداً هذا الذي ربحوه

[1] النور: 49

وهم بعد في الأرض. ربحوه وهم يجدون مس النار فتحترق أجسادهم، وينتصر هذا المعنى الكريم الذي تزكيه النار؟ "[1].واختلف أهل العلم في المقصود بقوله: (أصحابُ الأُخْدُودِ)، على قولين هما:

الأول: أُهلك المؤمنون، فكأنهم صاروا أصحاب الأخدود بإلقائهم فيه[2].

الثاني : أن المقصودين هم الكفار الذين أَلقوا المؤمنين وأشرفوا على حرقهم، وهؤلاء فسروا (قُتل) على معنين، أرجحهما: لُعن الكافرون الفاعلون وقتلوا[3].

وقد ذُكر في قوله: (قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُودِ. النَّارِ): أن النار بدل من الأخدود بدل اشتمال؛ لأنه يشتمل على النار وغيرها، والعائد محذوف تقديره: الموقدة فيه[4].

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (3874/6).

[2] انظر: الماوردي، **النكت والعيون** (4/ 402)، والرازي، **مفاتيح الغيب** (16/ 439).

[3] انظر: الزمخشري، **الكشاف** (7/ 264)، والبغوي، **معالم التنزيل** (8 / 383).

[4] انظر: الزركشي، أبا عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ)، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد إبراهيم، ط/1، 1376 هـ - 1957 م، دار إحياء الكتب العربية، ج 4، (2/ 457).

المبحث الرابع

المنافقون

المطلب الأول : معنى النفاق وأنواعه.

الفرع الأول: معنى النفاق.

أولا: النفاق في اللغة.

يرجع أصل النفاق من (نَفَقَ) الشيء إذا مضى وخرج ونَفِد، ومنه نفق البيع والسوق، ويقال: نفقت الدابة نُفوقا إذا ماتت، ونَفِقَت الدراهم إذا فنيت[1]، والنفق: هو فتحة في الأرض له مخلص إلى مكان.[2]

واعتُبر أن النفاق مأخوذ من" نافِقاء اليَرْبُوعِ وهو جُحْر من جِحَرتِه يخرج منه إذا أخذ عليه الجُحْر الذي دخل فيه. فيقال: قد نَفَقَ ونافَق، شبِّه بفعل اليربوع؛ لأنه يدخل من باب ويخرج من باب"[3].

ثانيا: النفاق في الاصطلاح.

تكاد عبارات العلماء تجتمع على تعريف واحد للنفاق هو: (إظهار الإيمان وإخفاء الكفر)[4]. ومن الوضوح بمكان علاقة المعنى اللغوي بالإصطلاحي؛ فالمنافق مضى ونفد إيمانه، وكذلك فإن

---

[1] انظر: الأصفهاني، **المفردات في غريب القرآن** (ص: 819).

[2] انظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبا الحسين (ت: 395هـ)، **مجمل اللغة**، تحقيق: زهير سلطان، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط/2– 1406 هـ – 1986 م، ج 2، (ص: 877).

[3] ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ)، **غريب القرآن**، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، 1398 هـ – 1978 م، (ص: 29).

[4] انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي (ت: 816هـ) **التعريفات**، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية_ بيروت، ط/1، 1403هـ –1983م، (ص: 245)، وابن تيمية، تقي الدين أبا العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله الدمشقي (ت: 728هـ)، **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، تحقيق: علي بن حسن وغيره، دار العاصمة، السعودية، ط/2، 1419هـ _ 1999م، ج 6، (6/ 420)، والعسكري، **الفروق اللغوية** (ص: 228).

باطنه مخفي كالنفق لا يعلم ما فيه إلا صاحبه، ويُشبهه كذلك بأنه دخل في الإيمان من باب وخرج بالكفر من باب آخر.

الفرع الثاني: أنواع النفاق.

عندما جهر الرسول ﷺ بالدعوة إلى الإسلام في مكة، لم يكن من الناس إلا صنفان: مسلم وكافر. لم يكن هناك صنف ثالث يُعرف بالمنافق؛ لأن الداعي لوجود مثل هذا الصنف لم يتوفر حينئذ، وهذا الداعي هو: الخوف على النفس من بطش المسلمين؛ فالمسلمون قلة ضعاف معذبون، فلا يعقل أن يدخل كافر في الإسلام خوفا من المسلمين وهو الأقوى.

ثم دالت الأيام وصار للمسلمين دولة في المدينة، وكان من ضمن الرعايا مشركو العرب وبعض قبائل اليهود وغيرهم. ومن المعلوم أن معظم أهل المدينة كانوا على وشك تنصيب عبدالله ابن أُبي بن سلول حاكما عليهم، غير أن دخول معظمهم في الإسلام واعتبار الرسول _صلى الله عليه وسلم_حاكما عليهم سحب البساط من تحت قدمي ابن سلول، وبالمقابل فهو لا يستطيع محاربة الرسول وأصحابه لأن أتباعه قلة، فاضطر إلى الدخول في الإسلام ظاهرا وإخفاء الكيد له باطنا. ومن هنا بدأ النفاق في الأمة.

وهذا النفاق الذي ظهر في ابن سلول هو الأكبر كما سماه العلماء، حيث قسموا النفاق إلى نوعين:

أولا: النفاق الأكبر، وهو أن يُظهر صاحبه الإسلام ويبطن أو يخفي الكفر، وهذا النوع مُخرج من الإسلام بالكلِّيَّة[1]، وقد عدَّ العلماء له ستة أنواع[2]، هي: تكذيب الرسول ﷺ، أو بعض ما جاءَ به، وبُغضُ الرسول ﷺ، أو بعض ما جاء به، والمسرَّة بانخفاض دين الرسول ﷺ، والكراهية

---

[1] انظر: ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السَلامي (ت: 795هـ)، **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**، تحقيق: د. محمد أبو النور، دار السلام، ط/2، 1424 هـ – 2004 م، ج 3، (3/ 1250)، وابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/2، 1416 هـ – 1996م، 2ج، (1/ 354)، ومحمد، ابن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (ت: 1206هـ)، **الرسالة المفيدة**، تحقيق: محمد المانع، رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء_بدون طبعة ولا سنة طبع_، (ص: 46)، والحقوي، أبا عبد الله خلدون بن محمود بن نغوي (معاصر)، **التوضيح الرشيد في شرح التوحيد المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد** _بلا طبعة ولا سنة ولا مكان_، (ص: 5).

[2] انظر: محمد بن عبد الوهاب، **الرسالة المفيدة** (ص: 46)، وصالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان،(معاصر)، **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك**_بلا معلومات أخرى_، (ص: 87).

لانتصار دين الرسول ﷺ. ويكفي واحدة مما سبق حتى يتسم صاحبها بالنفاق الأكبر _ بشرط الخفاء، وإلا كان كافرا مجاهرا لا منافقا مستورا_، فما بالنا وقد اجتمعت في ابن أبي سلول ومن معه!. "وقد نطق القرآن بكفر المنافقين في غير موضع وجعلهم أسوأ حالا من الكافرين وأنهم في الدرك الأسفل من النار... وأمر نبيه في آخر الأمر بأن لا يصلي علي أحد منهم، وأخبر أنه لن يغفر لهم وأمره بجهادهم والإغلاظ عليهم، وأخبر أنهم إن لم ينتهوا ليغرين الله نبيه بهم حتى يقتلوا في كل موضع"[1]. ويجب التنويه إلى أن دور المنافقين في إرجاف أهل الإيمان كان له النصيب الأكبر، كيف لا يفعلون وقد تبين لنا مما سبق أنهم كانوا على وشك قيادة المدينة، ومعلوم أن الدنيا قد عمرت قلوبهم حتى أنستهم آخرتهم.

ثانيا: النفاق الأصغر[2]، وهو أن يعمل المسلم شيئا من أعمال المنافقين، مع أن أصل الإيمان موجود في قلبه، وهذا لا يُخرج صاحبه من الملة، وصاحبه "معرَّض للعذاب كسائر المعاصي، دون الخلود في النار، وصاحبه ممن تناله شفاعة الشافعين بإذن الله، وهذا النوع من النفاق مقدمة وطريق للنفاق الأكبر؛ لمن سلكه وكان ديدنه"[3].

ومما يدل على هذا النوع قوله ﷺ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[4]. قال النووي:" قد أجمع العلماء على أن من كان مصدّقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال لا يُحكم عليه بكفر ولا هو منافق يخلد في النار... ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحقّقون والأكثرون وهو الصحيح المختار أنّ معناه: أنّ هذه الخصال خصال

---

[1] بتصرف: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، الحراني (ت: 728هـ)، **الصارم المسلول على شاتم الرسول**، تحقيق: محمد عبد الحميد، الحرس الوطني السعودي، السعودية__بلا طبعة ولا سنة، (ص: 36).

[2] انظر: ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (1/ 354)، ومحمد بن عبد الوهاب، **الرسالة المفيدة** (ص: 46)، والأثري، عبد الله بن عبد الحميد، (معاصر)، **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، تقديم: د.عبد الرحمن صالح، مدار الوطن للنشر، الرياض، ط/1، 1424 هـ - 2003 م، (ص: 259).

[3] الأثري، **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة** (ص: 259).

[4] رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، عن عبد الله بن عمرو_واللفظ له_ (ح: 34)، (1/ 16)، وله ألفاظ أخرى، انظر: (ح: 2459)_، بَابُ: عَلاَمَةِ المُنَافِقِ (3/ 131)، ومسلم، **الصحيح**، كتاب: الإيمان، بَابُ: بَيَانِ خِصَالِ الْمُنَافِقِ، (ح: 58) (1/ 78).

نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومُتخلّق بأخلاقهم فإنّ النّفاق هو إظهار ما يُبطن خلافه وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ويكون نفاقُه في حقّ مَن حدّثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من النّاس، لا أنه منافق في الإسلام فيظهره وهو يُبطن الكفر... وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا خالصا معناه شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال"[1].

ونلحظ مما سبق أن النفاق بنوعيه من بواعث الإرجاف لدى الأفراد والجماعات؛ فالحقد على الإسلام وأهله يدفع صاحبه إلى حمل الناس جميعا على الكفر، سواء بإيراد شبهة هنا، أو لوثة هناك، وهكذا يتصيدون لأهل الحق في مكامن الضعف ليبثوا سمومهم فيهم ويرجفونهم عن الملة.

المطلب الثاني: وسائل المنافقين في الإرجاف.[2]

تُعتبر أراجيف (المنافقين) ضد أهل الإيمان الأكثر استحضارا في الآيات القرآنية، ومن ثم تبين للباحث عند الحديث عن الألفاظ المقاربة للإرجاف _في الفصل الأول_ أن كثيرا منها جاء في وصف إرجاف المنافقين، ولهذا سيكون الحديث عن المتكرر منها مختصرا وقائما على الربط التأصيلي، ومن تلك الوسائل:

أولا. حادثة الإفك.

لقد تم تهويل الحادثة من قِبل المنافقين وتعظيمها وبث السموم فيها؛ لأهداف خبيثة، حيث قال عزَّ مِن قائل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

---

[1] النووي، **شرح النووي على مسلم** (2/ 46-47) بتصرف، وانظر: ابن بطال، أبا الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: 449هـ)، **شرح صحيح البخاري**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض، ط/2، 1423هـ – 2003م، ج 10، (6/ 583).

[2] يُنظر _لمزيد تثبيت_: جملات الجرايبة: **السمات الشخصية للمنافقين في ضوء القرآن والسنة**. إشراف: د. فايز شلدان. رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية-غزة. 2010م.الرابط: library.iugaza.edu.ps/thesis/88118.pdf

[3] النور: 11

فمما قالته أمُّناعائشة بنت أبي بكر _رضي الله عنهما_ في نزول الآية وما بعدها:" فَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ المُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ[1] مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ يَدَهَا، فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُعَرِّسِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[2]، **فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى الإِفْكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنُ سَلُولَ**، فَقَدِمْنَا المَدِينَةَ، فَاشْتَكَيْتُ بِهَا شَهْرًا **وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ مِنْ قَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ**، وَيَرِيبُنِي فِي وَجَعِي، أَنِّي لاَ أَرَى مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَمْرَضُ، **إِنَّمَا يَدْخُلُ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ»**، لاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى نَقَهْتُ، فَخَرَجْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ المَنَاصِعِ... قَالَتْ: **فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلاَ أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ**، ثُمَّ أَصْبَحْتُ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الوَحْيُ، **يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ**... فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ... فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهِ أَعْذُرُكَ مِنْهُ إِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ – وَهُوَ سَيِّدُ الخَزْرَجِ، وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ – **فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، لاَ تَقْتُلُهُ، وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ المُنَافِقِينَ،**

---

[1] هو" صَفْوَان بْن الْمُعَطل بْن ربيعَة بْن خزاعي بْن محَارب بْن مرّة بْن فالج بْن ذكْوَان بْن ثَعْلَبَة السّلمِيّ أَبُو عَمْرو الذكواني قتل سنة تسع عشرَة غازيا على عهد عمر بْن الْخطاب وَهُوَ الَّذِي رميت بِهِ عَائِشَة أم الْمُؤمنِينَ رَضِي اللَّه عَنْهَا وَكَانَ على ساقة النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَة الْمُرَيْسِيع": ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، التميمي، أبو حاتم، البُستي (ت: 354هـ)، **الثقات**، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط/1، 1393 هـ، ج 9 (3/ 192)، **وانظر** ترجمته عند: ابن عبد البر، أبا عمر يوسف بن عبد الله بن محمد النمري القرطبي (ت: 463هـ)، **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط/1، 1412 هـ، ج 4، (2/ 725)، وابن الأثير، أبا الحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت: 630هـ)، **أسد الغابة**، دار الفكر – بيروت، 1409هـ، (2/ 412).

[2] "وَالتَّعْرِيسُ نُزُولُ الْمُسَافِرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَقَدِ اسْتُعْمِلَ فِي النُّزُولِ مُطْلَقًا كَمَا تَقَدَّمَ وَهُوَ الْمُرَادُ هُنَا قَوْلُهُ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ تَأْكِيدٌ لِقَوْلِهِ مُوغِرِينَ فَإِنَّ نَحْرَ الظَّهِيرَةِ أَوَّلُهَا وَهُوَ وَقْتُ شِدَّةِ الْحَرِّ وَنَحْرُ كُلِّ شَيْءٍ أَوَّلُهُ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا بَلَغَتْ غَايَتَهَا فِي الِارْتِفَاعِ كَأَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَى النَّحْرِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الصَّدْرِ": ابن حجر، **فتح الباري** (8/ 464).

فَثَارَ الحَيَّانِ الأَوْسُ، وَالخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ، فَنَزَلَ، فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا..."[1].

ومن الملاحظات التي ينبغي الإشارة إليها في هذا المقام:

1. إن الخلوة قد حصلت بين أم المؤمنين عائشة وصفوان بن المعطل _رضي الله عنهما_، ولكنها جاءت في ظرف حفظ النفس، وهي بلا شك من الضرورات التي جاءت الشريعة لحفظها، ومن المعلوم أن الضرورات تبيح المحظورات ولكن بقدرها، فلا يهتبل هذه الخلوة للتشنيع إلا من كان في قلبه مرض.

2. إن هذه الظروف كافية لزعزعة الثقة عند حديثي العهد وضعيفي الإيمان، ليتهموا المسلمين في أعراضهم، وكافية لإحداث الفوضى العارمة والاضطراب الكبير في الصف المسلم من قِبل المنافقين، حتى لو كان ذلك في عرض سيد المعصومين المطهرين، فكيدهم تكاد تزول منه الجبال.

3. هذه الحوادث وأمثالها من الابتلاءات قد تكون في ظاهرها شرا، غير أنها في حقيقتها خير كثير، ولا أدلَّ عليه من نزول آيات كثيرة في طهر بيت النبوة وبخاصة أم المؤمنين عائشة، وكذلك كشف المنافقين وأساليبهم التي تفتك في المجتمعات، وأيضا نزول مجموعة من الآداب المتعلقة بحسن الظن والشك وأحكام الأعراض والتثبت وغيرها.

4. يلاحظ الباحث حجم الأراجيف التي عصفت بالمدينة حتى كان من آثارها تغير معاملة الرسول ﷺ لعائشة. وكذلك حصول فتنة بين الأوس والخزرج حتى كادوا يقتتلون لولا رسول الله ﷺ. ومنه قطع أبي بكر الصدقة عن بعض ذوي القربى المساكين ممن تحدث في عرض ابنته، وغيرها من الأحداث الجسام.

---

[1] رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب: الشهادات، بَابُ تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا_واللفظ له_ (ح: 2661) (3/ 173_175)، بتصرف، ومسلم، **الصحيح**، كتاب: التوبة، بَابٌ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ (ح: 2770) (4/ 2130).

5. نلاحظ أن الرسول ﷺ تثبت من الخبر، واستخدم الشورى كوسيلة ضرورية لمنع الفوضى وضبط الأمر، وهذا يعلمنا كيف نتعامل مع الأخبار التي يشيعها أهل الإرجاف.

ثانيا.اتخاذ الأعذار الكاذبة.

يتخذ المنافقون الأعذار الكاذبة المختلقة؛ ليدرأوا عن أنفسهم ثقل المسير وتبعاته، وليدفعوا الناس على ترك الجهاد في سبيل الله تعالى، ومن ثم ليضعفوا الجيش الإسلامي، ومن ذلك ما ذكر الله تعالى لنا عنهم القول في غزوة الأحزاب: ﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾[1]، قال مجاهد: قَالُوا: "نخشى عليها السَّرِق"[2]، فالعورة هنا : الخلل الذي لا يأمن صاحب المال على ماله بسببه، من سرقة أو من العدو؛ فهي غير حصينة[3]، وقد كذبهم الله تعالى فبين أن تعذرهم كان فرارا من القتل.

ومن ذلك قولهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾[4]، وذلك في التهيؤ لغزوة تبوك، ولا ريب في أنها تدل على الخَوَر الذي يعشش في قلوبهم الصدئة، وحب الدنيا الذي يغمرهم ويسكرهم، وهذا بدوره لا بد أن يؤثر على ضعاف الإيمان من حديثي العهد وغيرهم ممن يتلهفون إلى القعود عن القتال.

ثالثا. التخذيل بالتخويف من الموت ولقاء العدو.

إن التخذيل بالتخويف من الموت ولقاء العدو، والتخويف من ذهاب زينة الحياة الدنيا، كلها أساليب خبيثة للمنافقين؛ كما قال ربنا مخاطباً إياهم:﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[5]، فقد هنا للتحقيق؛ لأنها من الله تعالى، والفعل بعدها

---

[1] الأحزاب: 13

[2] مجاهد، أبو الحجاج ابن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: 104هـ)،**التفسير**، تحقيق: د. محمد عبد السلام، دار الفكر الإسلامي الحديث، مصر، ط/1، 1410 هـ، (ص: 548).

[3] انظر: الرازي، مفاتيح الغيب (12/ 335).

[4] التوبة: 49

[5] الأحزاب: 18

مضارع ليفيد التأكيد[1]، وكأنه سبحانه يقول: أنا علمت المعوقين والدليل المؤكد على ذلك أنه سيحصل منهم التعويق ويشهد لعلمي.

رابعا. الاستهزاء بالمتصدقين.

الاستهزاء بالمتصدقين من أهل الخير والسخرية منهم، أسلوب للمنافقين في الإرجاف، مما يجعل المتصدق حائرا بين استحقار الفعل والخوف من الرياء؛ فيحدث الإرجاف في النفوس؛ فيمنعون الخير عن المسلمين، كما بينه سبحانه بقوله:﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ ﴾[2]، وقد أشرت إلى ذلك في مطلب اللمز.

خامسا. التخذيل عن معاونة المجاهدين.

رجع في غزوة أحد عبدالله بن أبي بثلث الجيش، وأظهر الشماتة بالمسلمين، متذرعا بحجج واهية تدل على خذلانه للمسلمين، وفي ذلك قال تعالى:﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۖ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾[3]، فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه، قال: "لَمَّا خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ مَعَهُ، وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وَفِرْقَةً تَقُولُ: لاَ نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ {فَمَا لَكُمْ فِي المُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ} [النساء: 88] وَقَالَ: «إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ»"[4].

---

[1] انظر: **تفسير الشعراوي** (1/ 7446).

[2] التوبة: 79

[3] آل عمران: 167

[4] رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب: المغازي، بَابُ غَزْوَةِ أُحُدٍ_ واللفظ له_، (ح: 4050) (5/ 96) ، ومسلم، **الصحيح** ، كِتَابُ: صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ وَأَحْكَامِهِمْ،(ح: 2776) (4/ 2142).

قال الطبري: "يعني تعالى ذكره بذلك عبدَ الله بن أبيّ بن سلول المنافق وأصحابَه، الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، حين سار نبي الله ﷺ إلى المشركين بأحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكنا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتالٌ! فأبدوْا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه، وأبدوا بألسنتهم بقولهم:"لو نعلم قتالا لاتبعناكم"، غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله ﷺ وأهل الإيمان به"[1]، واستدل على قوله هذا بمجموعة من الآثار عن الزهري وغيره[2].

سادسا. بث الحسرة والندامة.

فعندما أصيبت ثلة من أهل الإيمان في غزوة أحد، جاء دورهم في **بث الحسرة والندم** في قلوبهم، حيث قالوا: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ** قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[3]، فالمعنى: " لو أطاعنا من قتل بأحد من إخواننا وعشائرنا، ما قتلوا يعني: ما قتلوا هنالك"[4]؛ فهذا إرجاف لغيرهم من أن يفعلوا مثل فعلهم.

ومثلها قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزًّى **لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةً فِي قُلُوبِهِمۡۗ** وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[5]، ذكر محمد بن إسحاق[6] والسدي[7] أنهم المنافقون وبخاصة أصحاب عبد الله بن أبي بن سلول؛ فالملاحظ أنهم أهل قعود وخور، وكلما أصابت غيرهم جراح اهتبلوها فرصة لِلَّوم والتخذيل، فهم دائما يقولون: لو أطاعونا، لو كانوا عندنا... وكأن

---

[1] الطبري، **جامع البيان** (7/ 378).

[2] المرجع السابق (رقم: 8193) (7/ 378).

[3] آل عمران: 168

[4] الطبري، **جامع البيان** (7/ 382).

[5] آل عمران: 156

[6] انظر: ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (رقم: 4393) (3/ 798).

[7] انظر: الطبري، **جامع البيان** (رقم: 8107) (7/ 331).

السلامة في الدنيا دلالة على صحة المنهج والاعتقاد، وهل بعد السلامة إلا الفناء؟!، والحق أنهم فنوا ولم يفنَ ذكرهم الخبيث، وزرًا عليهم إلى يوم الدين.

سابعا. بث الحزن والأذى في نفوس المؤمنين.

كثيرا ما يستخدم المرجفون النجوى والتهامس وبعض النظرات التي تحدث اضطرابا في النفس، كما قال سبحانه:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في مطلب الهمز.

ثامنا. وصفهم الرسولَ ﷺ بأوصاف تنفر الناس منه، ومن ذلك قولهم أنه أذن، **قَالَ تَعَالَىٰ:**

﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]، وقد بُيِّن المعنى والدلالة على الإرجاف في الفصل الأول.

تاسعا. الانطلاق من المساجد في الإرجاف.

من وسائل المنافقين في الإرجاف بناء مساجد خاصة بهم، ينطلقون من خلالها للإرجاف بالمؤمنين، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾[3].

ويستأنس في هذا المقام بما ورد عن ابن إسحاق والزهريّ ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبي بكر وعاصم بن عمر بن قتادة وغيرهم قولهم: "أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم _ يعني: من تبوك_ حتى نزل بذي أوان _ بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار. وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهّز إلى تبوك، فقالوا: يا رسول الله، إنا قد بنينا مسجدًا لذي العلّة

---

[1] المجادلة: 10

[2] التوبة: 61

[3] التوبة: 107

والحاجة والليلة المطِيرة والليلة الشاتية، وإنا نحب أن تأتينا فتصلي لنا فيه! فقال: إني على جناح سفر وحال شُغْلٍ أو كما قال رسول الله _صلى الله عليه وسلم _ ولو قَدْ قَدمنا أتيناكم إن شاء الله، فصلَّينا لكم فيه. فلما نزل بذي أوان، أتاه خبرُ المسجد، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدُّخْشُم، أخا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي _أو أخاه: عاصم بن عدي _ أخا بني العجلان فقال: انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه وحرّقاه ! فخرجا سريعين حتى أتيا بني سالم بن عوف _وهم رهط مالك بن الدخشم_ فقال مالك لمعن: أنْظِرني حتى أخرج إليك بنارٍ من أهلي! فدخل إلى أهله، فأخذ سَعفًا من النخل، فأشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتدان حتى دخلا المسجد وفيه أهله، فحرّقاه وهدماه، وتفرقوا عنه... وكان الذين بنوه اثني عشر رجلا"[1].

فهذا المسجد بني قريبا من مسجد قباء، والهدف منه الإضرار بالإسلام والمسلمين، والكفر بالله تعالى، والتفريق بين المؤمنين، كيلا يجتمعوا كلهم في مسجد قباء، فيكثر سوادهم، وهذا عكس ما يبغونه من تفريقهم ومنع ائتلافهم.

وهنا ينبغي التنويه إلى أهمية المساجد في نشر الفكر الصحيح، ومهمتها في إعداد الأجيال إيمانيا وماديا، فقد كانت تنطلق الجيوش الجرارة من المساجد، وكانت تعد من أهم الأماكن في حفظ الأمن بجميع أنواعه، ومن ثم كان المسجد يشكل صمام الأمان في المجتمع.

ومن ثم يتضح لنا اهتمامُ المنافقين في إنشاء مساجد ينطلقون منها في إرجاف المسلمين، ولم ينطلقوا من بيوتهم فحسب؛ فليس للبيوت ما للمساجد من مكانة، فقد استخدموا هذه المكانة للمساجد لخدمة باطلهم، وإضفاء قدسية تمنع الناس من التفكير في كون ما يفعلونه باطلا، فيَحدث التلبيس.

وكذلك يتضح لنا دور رواد المساجد وبخاصة أهل العلم والمشايخ في إحداث النهضة في فكر العامة؛ فعامة الناس قد تغتر بفكر شخص لمجرد كثرة تردده على المسجد، وهنا يكمن الخطر. والأصل أن يُربى الناسُ على أن معيار الحق هو القرآن والسنة بفهم سلفنا الصالح، حيث

[1] الطبري، **جامع البيان** (رقم: 17186) (14/ 469_468) باختصار.

قال ربنا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1]، وليس المعيار في الحق الرجال، فغير رسول الله ﷺ يؤخذ من قوله ويرد، حسب موافقته للحق، لكننا اليوم لا نعرف الحق إلا بالرجال، والحق كما قال علي _رضي الله عنه_:" الحق لا يعرف بالرجال، إعرف الحق تعرف الرجال"[2].

عاشرا. التباطؤ والتثاقل عند تنفيذ الأوامر.

فالمنافقون يتباطأون ويتثاقلون عن تنفيذ الأوامر التي قد يفقدون فيها حياتهم، مغبة تثبيط غيرهم، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ﴾[3]، ذكر مجاهد أنها نزلت في المنافقين[4]، فالله تعالى يخاطب الرسول ﷺ بأن مِن المنافقين ومَن يتبعهم من رعاع وضعاف الإيمان _ممن يتصفون بصفات المؤمنين، ويظهر للناظر أنهم منهم _ يثبطون أهل الجهاد والإيمان بقعودهم وتباطؤهم عن الجهاد، ويقولون عندما تصيبكم جراح أو هزيمة: قد أنعم الله علينا، لأنهم ليسوا مشاركين وإلا أصابتهم الجراح، وإن انتصرتم يقولون: يا ليتنا كنا معكم فنشارككم النصر[5]، وهنا يغيب الإيمان فيما في كلامهم وأعمالهم، وليس للآخرة في تصرفهم نصيب.

وهنا يلفت الشهيد سيد قطب انتباه القارئ إلى روعة تناسب لفظة: ليبطِّئن، مع المعنى المراد منها في التثبيط والقعود، إذ يقول: "انفروا جماعات نظامية أو انفروا جميعاً، ولا ينفر بعضكم ويتثاقل بعضكم _ كما هو واقع _ وخذوا حذركم، لا من العدو الخارجي وحده؛ ولكن كذلك من

---

[1] النساء: 59

[2] ورد ذلك عن علي رضي الله عنه، انظر: الغزالي، أبا حامد محمد بن محمد (ت: 505 ه)، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت، ج 4، (1/ 103)، والقرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (1/ 340)، والألباني، **نصب المجانيق** (ص: 37).

[3] النساء: 72

[4] انظر: **تفسير مجاهد** (ص: 286).

[5] انظر: الطبري، **جامع البيان** (8/ 538)، والزمخشري، **الكشاف** (1/ 432).

المعوقين المبطئين المخذلين؛ سواء كانوا يبطئون أنفسهم _ أي يقعدون متثاقلين _ أو يبطئون غيرهم معهم؛ وهو الذي يقع عادة من المخذّلين المثبطين!

ولفظة « ليبطئن » مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر؛ وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها، حتى يأتي على آخرها، وهو يشدها شداً؛ وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً بهذا التعثر والتثاقل في جرسه"[1].

وحتى تتكامل الصورة ويترابط المعنى فلننظر لما يرسمه سيد_رحمه الله تعالى_ من تصوير حول كلمة: (اثَّاقلتم)، والتي تتشابه مع كلمة: (ليبطِّئن) في التشديد، والجو العام، وكذلك أنها في المنافقين، فقد قال _ بعد استحضاره لقوله تعالى﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ **ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ** أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[2]_:

"إنها ثقلة الأرض، ومطامع الأرض، وتصورات الأرض... ثقلة الخوف على الحياة، والخوف على المال، والخوف على اللذائذ والمصالح والمتاع... ثقلة الدعة والراحة والاستقرار... ثقلة الذات الفانية والأجل المحدود والهدف القريب... ثقلة اللحم والدم والتراب... والتعبير يلقي كل هذه الظلال بجرس ألفاظه: { اثاقلتم }. وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل! ويلقيها بمعنى ألفاظه: { اثاقلتم إلى الأرض }... وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق"[3].

قلت: هذا والله الواقع الذي تحياه أمتنا، ففي كل مكان وزمان يُستباح الدم المسلم، وتُنتهك الأعراض، ويُرجف بالمسلمين في أنحاء الأرض كلها، ومع سبات مقصود من أولياء الأمور، وفي غمرة الصمت المخذِّل، يظهر من بين الركام أصحابُ الهمة والغيرة _هنا وهناك_ ينفضون عن الأمة أطنانا من البلادة، ويحاولون إرجاع عزة الأمة بإحياء الأمل فيها. غير أننا نجد بعض

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (2/ 705).

[2] التوبة: 38

[3] قطب، **في ظلال القرآن** (3/ 1655).

الأبواق تنعق بالإرجاف، وتثبط عن نصرة المستضعفين. يتباطأون عن نصرة إخوانهم، وهؤلاء أشد خطرا من أسيادهم، لأنهم الأقرب إلى سمع الناس بما يبثونه من سموم.

حادي عشر. التشكيك بالثوابت الكبرى، وإساءة الظن بالله تعالى.

إن التشكيك بالثوابت الكبرى، وإساءة الظن بالله تعالى مع عبارات كثيرة من ألفاظ الإرجاف، وأعمال وحركات تزلزل الصف، كل هذا وغيره نجده يوم الخندق، من أفعال المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ۛ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾[1].

فالحق أن الخطب كان جللا، والمصاب عظيما، إذ إنه سبحانه وصف الأبصار بالزيغ، والزيغ: هو" الميل عن الاستواء إلى الانحراف. فزَيغ البصر أن لا يرى ما يتوجه إليه، أو أن يريد التوجه إلى صوب فيقع إلى صوب آخر من شدة الرعب والانذعار.

والحَناجر، جَمع حَنجرة: منتهى الحُلقوم وهي رأس الغَلصَمة. وبلوغ القلوب الحناجر تمثيل لشِدة اضطراب القلوب من الفزع والهَلع حتى كأنها لاضطرابها تتجاوز مَقارّها وترتفع طالبة الخروج من الصدور فإذا بلغت الحناجر لم تستطع تُجاوزها من الضّيق فشُبِّهت هيئة قلب الهلوع المرعود بهيئة قلب تجاوز موضعه وذهب متصاعدا طالبا الخروج"[2].

ورَبُّ العالمين عندما وصف الأبصار والقلوب _حال تكالب الأحزاب _ أشرك فيها المسلمين والمنافقين، حتى في التزلزل الشديد والابتلاء، أما عندما وصف تغير الفكر والاعتقاد والظن بالله تعالى _ظنا سيئا_ فقد وصف بها المنافقين فحسب، وذلك لأن المسلم قد يخاف من الأعداء فهذا

---

[1] الأحزاب: 10- 13

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (21/ 280).

أمر جِبلِّي، أما الاعتقاد فلا يصح أن يتغير بالخوف، وإلا كان دليلا على ضعف أو ذهاب الإيمان.

ومن تلك الاعتقادات: الظنون الكاذبة، كمن اعتقد هزيمة المسلمين بعد وعد الله لهم بالنصر، فاعتقد أنه وعد باطل؛ فعن الحسن في تفسيره لقوله تعالى: (وَتَظُنُّونَ باللَّه الظُّنُونا) قال: "ظنونا مختلفة: ظنّ المنافقون أن محمدا وأصحابه يُستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حقّ، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون"[1].

وإثارة مثل هذه الاعتقادات في زحمة الخوف والاضطراب والتشتت لهو من أعظم صور الإرجاف؛ فالمسلم فيها يحتاج لكل ما يثبت قلبه، ويواسيه في مصيبته، ويذكره بالله القوي.

[1] الطبري، **جامع البيان** (20/ 221).

الفصل الثالث

الإرجاف بين الأمس واليوم

المبحث الأول: الإرجاف الديني العقائدي

المبحث الثاني: الإرجاف السياسي

المبحث الثالث: الإرجاف الإعلامي

المبحث الرابع: الإرجاف الاجتماعي

المبحث الخامس: الإرجاف العسكري

المبحث الأول

الإرجاف الديني العقائدي

توالت حملات الإرجاف القاسية على المسلمين اليوم، فكانت بمثابة الامتداد الطبيعي لسنة الصراع بين الحق والباطل، التي لن تنتهي مادام في أهل الحق عرق ينبض. لكن هذا الصراع أخذ منحى آخر في الصراع، حيث كان قديما _غالبا_ مع المنافقين الذين لم يعلنوا عن سوء نواياهم، أما اليوم فقد أعلنت النوايا، وفشا النفاق العلني _ليس خوفا من المسلمين، بل من الغرب_، مضمَّخ بثوب من الحضارة الغربية، كضرورة حياتية، ومطلب للتقدم.

لقد ظهرت أشكال كثيرة للإرجاف، منها ما يختص بالعقيدة وأخرى بالسياسة والإعلام وغيرها _ كما سيوضح الباحث_، يُميِّزها لباسها الحضاري، ودخول الفتن في كل بيت مسلم، وضعف قدرة الناطقين بالحق في إيصاله لأهله، وعِظم قدرة المرجفين، وتفننهم في استخدام أساليب متطورة في هدم البناء المسلم.

لقد أكد القرآن العظيم على حقيقة عداوة غير المسلمين _سواء كانوا يهودا أو نصارى أو غيرهم _ لدين الإسلام وعقائده المتمثلة بالتوحيد، قال سبحانه عنهم: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾[1]، وعلينا أن نتنبه لهذا الأسلوب الرباني المبني على التيئيس من الدخول في ملتنا، حيث استخدم أداة النفي (لن) للمبالغة؛ فهي لنفي المستقبل وتأبيده[2]، وهذا يدل على سُنَّة مطردة في خلفهم لا تنقطع مع تعاقب السنين.

وهاهي ذا اليوم تتجلى واضحة ناصعة لكل ذي بصيرة، في إرجافهم العقدي الصارخ، ومن أهم صوره:

---

[1] البقرة: 120

[2] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (1/ 692).

المطلب الأول: الصورة الأولى: الدعوة إلى العَلْمانِيَّة وفصل الدين عن الحياة

يَرجع مصطلح العَلمانية في اللغة إلى الأصل الرباعي: ع ل م ن، حيث إن "عَلْمانيَّة [مفرد]: مذهب يُخرج الاعتبارات الدينية من العلاقات المدنيَّة والتعليم العامّ، دولة عَلْمانيّة"[1].

ومن ثم لا ترتبط كما يظهر من أول وهلة بالعِلم؛ فهو مكسور العين، وأما العَلمانية فمفتوحة العين، فالعَلمانية ترجع إلى معنى العَالَم،" وإنما علاقتها قائمة بالدين على أساس سلبي، وهو نفي الدين عن مجالات الحياة: السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والفكرية ... الخ"[2].

وهذا التوهم في أصل المصطلح استغله مروِّجو الحضارة الغربية، المنبهرون بزيفها، حتى أرجعوا العَلمانية إلى العِلم، يقول الدكتور سفر الحوالي: " لفظ العلمانية ترجمة خاطئة لكلمة (Secularism) في الإنجليزية، أو (Secularite) بالفرنسية، وهي كلمة لا صلة لها بلفظ "العِلم" ومشتقاته على الإطلاق، فالعلم في الإنجليزية والفرنسية معناه:(Science) والمذهب العلمي نطلق عليه كلمة(Scientism) والنسبة إلى العلم هي(Scientific) أو(Scientifique) في الفرنسية... والترجمة الصحيحة للكلمة في الإنجليزية هي (اللادينية) أو (الدنيوية) "[3].

وهي تقوم على مساحة واسعة من الممارسة العقلية للحرية، حيث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وتشرع لعملية الانفصال بين (السماء والأرض)، والإقرار بمشروعية كليهما المتغايرين، انطلاقا من القول: بأن الله خلق العالم، وترَكه يعمل وَفق قوانينه ونواميسه.

وهي تفترض شرطا لا مفر منه، هو اعتبار الدين عقيدة فردية ذاتية لا اجتماعية، وتلغي الدين بوصفه نظام حكم، وتعتبره نظاما أخلاقيا قيميا فحسب.[4]

---

[1] مختار، أحمد، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (2/ 1545).

[2] الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج، **العلمانية وموقف الإسلام منها** ، الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد 115 _1422 هـ، (ص: 335).

[3] الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة** ، دار الهجرة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة، (ص: 21)، بتصرف.

[4] انظر: عبد العظيم، سعيد ، **الديمقراطية في الميزان**، الإسكندرية، 1410 هـ، ط/2، (ص: 35)، الرابط: https://archive.org/details/waq85970

والذي يعنينا في هذا الباب: كيف تحول هذا الفكر الوافد من الغرب إلى أداة للبطش والإرجاف بكل من دعا ويدعو إلى الأخذ بالإسلام كلًّا متكاملا؟!، ولهؤلاء نقول كما قال الله تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1].

نعم، هذا من مفاخر ديننا الخاتم، الذي لا نرضى به بدلا، مهما تزخرف هذا البديل؛ فلقد نظم القرآن العظيم حياة العرب المتمثلة في الجاهلية والأمية والانحطاط، ليسمو بهم عاليا في سماء الحضارات القديمة التي كانت قائمة، فعرفت البشرية حينها مجتمعا فاضلا متكاملا يندفع بسرعة نحو الأكمل.

هذا النظام الذي أقامه القرآن كله من الخالق الحكيم العارف بما يُصلح خلقه، فهو مبني على منظومة المصالح والمفاسد في حالهم ومآلهم. وهكذا بقيت نصوص القرآن تنير طريق السالكين، وتضبط كل من يشذ عنها بالحكمة وبما يصلح حاله.

ثم يعرض الباحث على المرجفين بالعَلمانية نصوصا حكيمة تناقض فِريتهم، والسؤال بعدها: أين تذهبون بها وبكل القرآن الداعي إلى رد التنازع في كل الأمور إليه؟!.

ومن هذه النصوص قوله سبحانه: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾[2]، وقوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ ﴾[3]، وغيرها كثير كثير لا يتسع المقام لذكرها وبيان دلالتها.

---

[1] البقرة: 85

[2] الأنعام: 57

[3] النساء: 59-60

ففي الآية الأخيرة (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) ورد عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قوله: " كَانَ أَبُو بُرْدَةَ الْأَسْلَمِيُّ كَاهِنًا يَقْضِي بَيْنَ الْيَهُودِ فِيمَا يتنافرون إليه، فَتَنَافَرَ إِلَيْهِ أُنَاسٌ مِنْ أَسْلَمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:[ألم تر إلى الذين يزعمون]"[1].

وعن قتادة قال: " ذُكِرَ لنا أَنَّ هذه الآيةَ أُنزلت في رجل من الأنصار يُقالُ له: قَيْسٌ، وفي رجلٍ من اليهود في مُدَارَأَةٍ كانت بينهما في حق تدارءا فيه، فتنافرا إلى كَاهِنٍ بالمدينة لِيَحْكُمَ بينهما، وتركا نبيَّ الله ﷺ فعاب الله تعالى ذلك عليهما، وكان اليهوديُّ يدعوه إلى نَبِيِّ الله، وقد علم أنه لنْ يجورَ عليه، وجعلَ الأنصاريُّ يأبى عليه وهو يَزعمُ أَنّه مسلم ويدعوه إلى الكاهنِ، فأنزل الله تعالى ما تسمعونَ، وعاب على الذي يزعم أنه مُسلم، وعلى اليهوديّ الَذي هو من أهل الكتابِ، فقال: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ}"[2].

يقول محمد رشيد رضا: " الطَّاغوت مَصدَر الطُّغيان، وهو يَصْدُق على كل مَن جاءت الروايات في سبب نزول الآية بالتّحاكم إليهم كما قرأت آنفا، ومن قصد التَّحاكم إلى أي حاكم يريد أن يَحكم له بالباطل ويهرب إليه من الحق فهو مُؤمن بالطَّاغوت، ولا كذلك الذي يَتحاكم إلى من يظن أنه يَحكم بالحق، وكل مَن يُتَحَاكم إليه من دون الله ورسوله ممن يَحْكم بغير ما أنزل الله على رسوله فهو راغب عن الحق إلى الباطل، وذلك عَينُ الطَّاغوت الذي هو بمعنى الطُّغيان الكثير، ويدخل في هذا ما يقع كثيرا مِن تحاكم المُتخاصمين إلى الدّجالين كالعرّافين وأصحاب المندل والرّمل ومُدعي الكشف، وَيَخرج المُحَكَّم في الصلح، وكل ما أذِن به الشرعُ مما هو معروف"[3].

وبناء عليه يرى الباحث أن العَلمانية تقوم على التحاكم إلى الطاغوت الذي أُمرنا بالكفر به قبل تحقق مسمى الإيمان لنا، كما قال تعالى: ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[4]؛ إذ إنهم استبدلوا شرع الحكيم في

---

[1] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح 5547) (3/ 991)، والطبراني، **المعجم الكبير** (ح: 12045) (11/ 373)، والواحدي، **أسباب النزول** (ص: 161)، وقال عنه ابن حجر: سنده **جيد**، في **الإصابة في تمييز الصحابة** (7/ 32).

[2] الواحدي، **أسباب النزول** (ص: 161).

[3] رضا، محمد رشيد، **تفسير المنار** (5/ 181).

[4] البقرة: 256

معاملاتهم ومحاكمهم وحياتهم _باستثناء شعائر عباداتهم_ بشرع من بنات أفكارهم، يؤكد المفكر منير شفيق _تحت عنوان: الشرع والدولة والمجتمع _ على أنه يجب "التأكد من نفاذ أحكام الإسلام في مجال العبادات والمعاملات والجهاد ومختلف شؤون الحياة العامة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

فالحاكم هنا، ومن ثم الحكومة، بل الدولة ككل، مكلفون بالحكم بما أنزل الله، وبالتصرف والعمل وفق ما يقضي الشرع، أو بالتأكد من أن أحكام الإسلام نافذة"[1].

وفي هذا يقول سيد قطب: "الحكم الذي مرد الأمر فيه إلى البشر، ومصدر السلطات فيه هم البشر، هو تأليه للبشر، يجعل بعضهم لبعض أربابا من دون الله. إن هذا الإعلان معناه انتزاع سلطان الله المغتصب ورده إلى الله، وطرد المغتصبين له... إن معناه تحطيم مملكة البشر لإقامة مملكة الله في الأرض، أو بالتعبير القرآني: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله). (إن الحكم إلا لله.. أمر ألا تعبدوا إلا إياه.. ذلك الدين القيم..)"[2].

ويرى الباحث أنهم لم يكتفوا في الفصل بين الدين والحياة، بل تعدوه إلى الإرجاف بمن خالفهم، وإلى فتنتهم بشتى أصناف العذاب، فقتلوهم شرَّ قِتلة، ويتَّموا أبناءهم، واستحلُّوا محارمهم، كل ذلك خدمة لقائدهم إبليس، الذي ما فتئ يستزلهم بالمنكر والكفر ما استطاع إليه سبيلا. ولا أدل عليه من قتل وإعدام الشهداء الذين ماتوا في سبيل(لا إله إلا الله)؛ فعلى صاحب المنهج القويم أن يهيئ نفسه لإرجاف الحكومات الطاغوتية، وأن يضحي بهذا الجسد لتبقى روحه حية عند خالقها؛ كما تمنى حبيبنا ﷺ أن يموت شهيدا.

---

[1] شفيق، منير، **الإسلام ومواجهة الدولة الحديثة**، دار البراق للنشر، بيروت، ط/3، 1412 هـ، (ص: 35-36).

[2] قطب، سيد بن إبراهيم (ت: 1969م)، **معالم في الطريق**، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية_بدون معلومات نشر_ (ص: 60).

المطلب الثاني: الصورة الثانية: الولاء للكافرين والبراء من المؤمنين

إن الإسلام بمثابة الجسد والروح، والعقيدة منه كالقلب النابض الذي لا يقوم الجسد بدونه، أو الروح التي تمنح هذا الجسد حياة ونشاطا، وهكذا الولاء والبراء بالنسبة للعقيدة؛ فلا عقيدة بلا ولاء ولا براء.

فولاء المسلم وبراؤه تابع لعقيدته، فهو يوالي الله ورسوله والمؤمنين كلًّا حسب إيمانه، ويتبرأ من الكفر والكافرين ويبغضهم، فهذا خليل الرحمن إبراهيم ﷺ يطبق هذه العقيدة حق التطبيق مع أخص الناس قرابة في الدم، ألا وهو أبوه، حيث قال الله تعالى عنه: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾[1]، فكان استغفاره لأبيه وعدا منه يدل على الرحمة التي لا تنقطع من قلب المؤمن، ثم لمَّا علم أنه سيموت على الكفر تبرأ منه، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾[2].

فالنصرة للمسلم ومحبته وإكرامه واحترامه والذبّ عنه ظاهرا وباطنا من لوازم هذه الولاية، والتي لا يصح صرفها لغير الله ورسوله والمؤمنين، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3]، وهذا الولاء كما هو بائن في الآيات له آثار عظيمة على الواقع؛ فبه يمتاز المسلمون عن غيرهم، ويظهر فسطاط الإيمان ككتلة واحدة، وجماعة يأخذ بعضها ببعض، ويزدادون رهبة في نفوس أعدائهم، وينطبق عليهم قول العزيز

---

[1] الممتحنة: 4

[2] التوبة: 114

[3] المائدة: 55-57

الحكـــــــــيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ ﴾ [1].

أما والواقع شاهد فقد انقلبت الموازين عند الناس، وتغير الولاء، فها هم أولاء المرجفون يوالون الكافر المحارب؛ لمصالح دنيوية زائلة، ويواليتهم اكتفوا بذلك، بل يضربون بيد من حديد على كل من خالفهم من أهل الإيمان، حتى صاروا أذلة على الكافرين أعزة على المؤمنين _ ولا حول ولا قوة إلا بالله_ ووقعوا فيما نهاهم الله عنه في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا ﴾[2].

المطلب الثالث: الصورة الثالثة: جمعيات التنصير والتبشير، وشراء الذمم

لقد بدأت محاولات التنصير والتبشير[3] قديما كما ذكر ربنا في قوله: ﴿ وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ ﴾[4]، وهذه الدعوى تطل برأسها كلما وجدت في المسلمين ضعفا، وقد أخذت صورا شتى، منها ما يكون بالتدخل العسكري _كما حدث في الحروب الصليبية_، ومنها الفكري والمادي، وغيرها مما حملته على عاتقها جمعيات نصرانية مختلفة[5]، التي لم تزل تبث الشبه العقدية بين المسلمين، ومن ذلك ما يحاولون نشره دائما من أن دعوة الرسول ﷺ ما هي إلا

---

[1] المائدة: 54

[2] النساء: 144

[3] التبشير بمفهومه البسيط يعني: "نشر المسيحية بغير المسيحين، والعمل على جذبهم إليها": عوض، محمد عبدالرحمن، **أخطار التبشير في ديار المسلمين**، دار الأنصار، مصر_بدون طبعة ولا سنة_ (ص: 9).

[4] البقرة: 135

[5] ذكر الدكتور حبنكة، عبدالرحمن حسن الميداني _في كتابه: **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير، الإستشراق، الاستعمار. دراسة وتحليل وتوجيه**، دار القلم، مكة، 1403 هـ، (ص: 31)_: أن أكثر من 12 بعثة إنجليزية، و42 أمريكية تبشيرية موجودة في منطقة الخليج، وأخذ بتعدادها.

"مزيج منتخب من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية التي تأثر بها تأثرا عميقا... فصارت عقيدة انطوى عليها قلبه، كما صار يعد هذه التعاليم وحيا إلهيا"[1].

وتبقى هذه الجمعيات تترصد لمواطن الضعف والزلل في الأمة، لتنخر في جسدها، وما استغلال حاجة الشعوب الفقيرة إلى المال والدواء في أفريقيا ببعيد، ولتوضيح ذلك، يشير الباحث إلى نموذج بسيط جدا للدلالة على ما سبق، وهو ما ذكره الدكتور عماد الدين خليل عن أفريقيا الوسطى في القرن الماضي، حيث بين أنه كان في الكونغو قبل الاستقلال بعثات تبشيرية أجنبية، يبلغ عددها خمسة عشر ألف بعثة، وجميعها يعمل بنشاط محموم، وقد تمكنت من جذب خمسة ملايين شخص. ومقابل هذا العدد لا يوجد فيها جمعية واحدة للدعوة إلى الإسلام، مع أن عدد المسلمين كان فيها أكثر من ثمانمئة وخمسين ألفا. وأما في جنوب أفريقيا فإن الكنيسة الإصلاحية الهولندية **وحدها** كانت تنفق هناك من مليون إلى اثني مليون جنيه إسترليني سنويا للتبشير، مقابل لا شيء من الأموال لأجل الدعوة إلى الإسلام. وذكر أن نسبة ثمانين في المائة من سكان سيراليون مسلمين، ونسبة الأقلية النصرانية هي خمسة في المائة، ومع ذلك فالأقلية تسيطر على سبعة عشر مقعدا وزاريا من أصل اثنين وعشرين مقعدا. بل إن رئيس الدولة والوزراء والخارجية والمالية والإعلام منهم.[2]

ولا يقول الباحث في هذا المقام إلا ما قاله رب العالمين سبحانه، إذ يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ **يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ** فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾[3].

---

[1] كما بثه تسيهر، أجناس جولد (ت: 1921م) في كتابه: **العقيدة والشريعة في الإسلام_تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي**_، دار الكتب الحديثة _مصر،(ص: 12)، الرابط:
http://www.maaber.50megs.com/books/vorlesungen_islam.pdf

[2] خليل، عماد الدين، **أحقاد وأطماع التبشير في أفريقيا المسلمة**، دار المختار الإسلامي، القاهرة، ط/2، 1979م (ص: 13-14).

[3] الأنفال: 36

المطلب الرابع: الصورة الرابعة: التقريب بين الأديان والمذاهب الأخرى.

لقد خلق الله تعالى الخلق، وكرَّم آدم وذريته بالعقل، واستخلفهم في الأرض، وأنزل الكتب على الرسل لبيان كيف نعبده سبحانه ونشكره على نعمه. وشاء سبحانه أن تتوحد دعوة الرسل الكرام على طلب عبادته سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، ومع اختلاف في المنهج وبعض الشرائع بما يتوافق مع اختلاف الأزمان، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[2].

ثم شاء الله تعالى أن يكون خاتم الرسل محمد ﷺ المبعوث من العرب إلى جميع المكلفين، ليحكم على الشرائع السابقة بالنسخ، وتبقى شريعة الإسلام عامة لكل موحد إلى قيام الساعة كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾[3]، يقول ابن كثير عن هذه الآية: " إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثه محمدا ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمُتَقَبَّل"[4].

وبعد كل ما سبق وغيره يأتي من يقول: ندعو إلى وحدة الأديان. فإن كان يقصد بأن جميع الرسل دعوا كما سبق إلى التوحيد، وإلى ما اتفق عليه جميع الرسل الكرام _عليهم السلام_ من العدل، والوقوف في وجه الطغاة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والأخلاق إلخ...، فهذا لا يجادل فيه أحد، لكن الطامة العظمى أن يطلبوا ترقيع دين جديد من مجموع الأديان السماوية، وهذا لا يصدر إلا عمن خبثت نفسه، وزلت قدمه، أو من أحمق لا يميز الحق من الباطل.

---

[1] النحل: 36

[2] المائدة: 48

[3] آل عمران: 19

[4] ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** (2/ 25).

وإلى هؤلاء يوجه الباحث سؤاله: بماذا تردُّون على قول سيدنا رسول الله ﷺ حين أنكر على عمر رضي الله عنه حمله لصحيفة من الكتب السابقة؟، حيث روى جابر بن عبد الله_رضي الله عنه_:" أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: " أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ **لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**"[1].

إذا كان مجرد حمل الفاروق لصحيفة أغضبت الحبيب وهو الفاروق!، خوفا على دينه، فكيف سيكون رده على من أراد تلفيق دين من هذه الصحف أو من غيرها؟!، أَنَسُوا قوله تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2]؟، فليعدُّوا للسؤال جوابا، فالخطب جلل!.

---

[1] رواه أحمد، **المسند**، مسند المكثرين من الصحابة، مسند جابر بن عبد الله، (ح: 15156) (23/ 349) ، وابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، (ت: 235هـ): **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط/1، 1409هـ، 7ج ، كتاب: الأدب، من كره النظر في كتب أهل الكتاب، (رقم:26421) (5/ 312) ، و**حسَّنه** الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ): **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي – بيروت، ط/2، 1405هـ، 9ج، (6/ 34).

[2] آل عمران: 85

المبحث الثاني

الإرجاف السياسي

إن الإسلام كل متكامل، يخطئ خطأ شنيعا من يظن بأنه شعائر تعبدية محضة وحسب_كما سلف في الكلام عن العلمانية_، ومن الأمور التي لم يغفلها هذا الدين العظيم إدارة شؤون الدين والدنيا.

فهل للسياسة مفهوم شرعي؟، أم هو مفهوم محدث يناقض الدين؟، وما هي أشكال الإرجاف التي تعرَّض المسلمون لها بسبب السياسة؟، هذه الأسئلة وغيرها سيقوم الباحث بتحرِّيها وبيان الوجه الأقرب للصواب إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: السياسة في اللغة والاصطلاح.

الفرع الأول: السياسة في اللغة.

تعني السياسة في اللغة: القيام على الشيء بما يصلح حاله، حيث يرجع أصلها إلى الجذر (سَوَس)[1]، ومنه: يسُوس الدابَّة سياسة، أي: يقوم على ترويضها. والوالي يسوس الرعية وأمرهم، أي: يقوم على شؤونهم بما يصلحها[2].

قال الإمام النووي: " والسِّياسة القيام على الشيء بما يصلحه"[3].

الفرع الثاني: السياسة في الاصطلاح

جاء في الموسوعة الفقهية الكويتية أنها: " استصلاح الخَلق بإرشادهم إلى الطريق المنجي في العاجل والآجل، وتدبير أمورهم "[4].

---

[1] انظر: الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري، أبا منصور (ت: 370هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/1، 2001م، 8ج، (13/ 91)، والفارابي، أبا نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: 393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط/4، 1407هـ، 6ج، (3/ 938).

[2] انظر: الخليل بن أحمد، **العين** (7/ 336)

[3] النووي، **شرح النووي على مسلم** (12/ 231)

[4] وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، **الموسوعة الفقهية الكويتية**، الكويت ومصر، ط/2، (1404 – 1427 هـ)، 45 ج، (25/ 295).

وهذا من باب الاصطلاح الشرعي للسياسة، أما المعنى المتعارف عليها، فهو يقوم على الخديعة بالغير والمكرِ به، وعلى الحذق في التحايل على الخصم. وهذا محرم بلا شك، ويجعل الكثير من الناس تنفر من الكلمة ومن المنتسبين إليها.

وقد ورد في الصحيحين من حديث أبي حازم قال: " قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ، فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ **تَسُوسُهُمُ** الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ» قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «فُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ»"[1].

فمن هذا الحديث وغيره يظهر أن أصل المصطلح ليس بحادث، بل استخدمه الرسول ﷺ في أكثر من مناسبة.

وقد ألف العلماء كتبا في السياسة منها: كتاب السياسة للإمام محمد بن إسحاق بن خُزيمة، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية ألف كتابه: السياسة الشرعية، وغيرهما. وقد أطلق العلماء على السّياسة اسم: الأحكام السّلطانيّة أو السّياسة الشّرعية.

واعتبر شيخ الإسلام ابن تيمية أن المقبول في السياسة هو ما كان على هدي الشريعة، حيث قال: " ثم قول القائل بعد هذا سِيَاسة: إما أن يريد أَن النَاس يُساسون بشريعة الإسلام أم هذه السياسة من غير شريعة الإسلام. فإن قيل بالأول فذلك من الدين وإن قيل بالثاني فهو الخطأ. ولكن منشأ هذا الخَطأ أَن مذهب الكوفِيّين فيه تقصير عن معرفة سِياسة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسِياسة خلفائه الراشدين"[2].

---

[1] رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل_ واللفظ له_ (ح: 3455) (4/ 169)، ومسلم، **الصحيح**، كتاب: الإمارة، بَابُ: الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِبَيْعَةِ الْخُلَفَاءِ، الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ، (ح: 1842)، (3/ 1471).

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، السعودية، 1416هـ، (20/ 392).

المطلب الثاني: أشكال الإرجاف السياسي.

تتعدد أشكال هذا النوع من الإرجاف، من إلزام الناس وإجبارهم على المعنى الباطل للسياسة _كالدخول في المكر والتحايل بالناس_، إلى الطعن في الخصوم وتشويه صورتهم بكل الطرق _ فهو عندهم مباح؛ لأن الغاية عندهم تبرر الوسيلة_، إلى غير ذلك من الأشكال، ولهذا كانت أشكاله متعددة، وصوره متنوعة، ومنها:

الشكل الأول: إلزام الناس بنظام الديمقراطية.

بعد انهيار نظام الحكم الإسلامي _المتمثل في الخلافة العثمانية_ سَهُل على الدول الاستعمارية الكبرى فرض ما شاءت من نُظُم؛ فالساحة خالية والفرصة سانحة والأرض خصبة. وكان من بين تلك النظم الغربية التي فُرضت على الأمة _ وأُلبست بلباس الحضارة، وَروَّج لها المهووسون بالغرب، وأقيم لحمايتها أصنام من البشر_ نظام الديمقراطية.

فما هي الديمقراطية؟، وهل لها معنى في اللغة؟، وما صحة كونها منبثقة عن الشورى، وهل تتعارض معها؟. هذا ما سيحاول الباحث الإجابة عنه، والله الموفق، ولأجله العمل _إن شاء الله_.

أولا: معنى الديمقراطية

بعد النظر والتمحيص في المعاجم المختلفة، ظهر للباحث أن هذا المصطلح ليس له أصل في اللغة _حسب اطلاعه _. أما المعنى الاصطلاحي، فبعد النظر في المصادر المختلفة التي تناولته، فإنه يظهر للباحث أن أصلها مركب من كلمتين لاتينيَّتين، الأولى: Kratos، وتعني: الحكم أو السلطة، والثانية: Demos، تعني: الشعب، فمجموعهما يعني: حكم أو سلطة الشعب[1].

[1] انظر: الخالدي، محمود، **نقض النظام الديمقراطي**، دار الجيل _ بيروت، ط/1، 1984م،(ص: 15)، الرابط: http://www.waqfeya.com/book.php?bid=6687-pdf، واللجنة العلمية بجمعية الترتيل: **العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الإسلام** ، إشراف: الشيخ محمد عبد العزيز، ط/3، (ص: 21)، والرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج: **تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري**، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط/35، العدد (121)، 1424هـ، (ص: 347).

ومن ثم فقد تعورف على أنها: (حكم الشعب للشعب)، وبالذات الأغلبية منه.[1] فمبدأها: أن الشعب "هو الذي يحكم نفسه بنفسه لنفسه. فهو صاحب السلطة في وضع الدستور، وكل القوانين والشرائع والنظم"[2]. وحكم الشعب يكون باختيار ممثليه ونوابه في الحكم، فيما يعرف بالانتخابات.

ثانيا: مقارنة مختصرة بين الديمقراطية والشورى.

تقوم الديمقراطية على تفويض ممثلي الشعب ونوابه _مسلمين أو غير مسلمين، صالحين أو فاجرين، عالمين أو جاهلين _ بالحق الكامل في الحكم، وذلك بكفالة الحرية الكاملة لهم في الاختيار، وعلى احترام رأي الأغلبية مهما كانت طبيعتها، مع أن الحق ليس بالضرورة مع الأكثرية، بل إن الكثرة غالبا مذمومة، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[3]، حتى لو بلغ الأمر إلى فوز حزب كفري، أو تنحية تطبيق الشريعة بقضها وقضيضها؛ فيجب احترامه. فلا حدود للحرية الديمقراطية مِن أخلاق ومصالح ودين وغيره؛ لأن المصلحة الكبرى في نظرها، هو مايريده الشعب لا غير. فلا حلال إلا ما أحله الشعب ولا حرام إلا ما حرمه!.[4]

أما الشورى فتقوم على اختيار ممثلين عن الأمة _ يُعرفون بأهل الحل والعقد، ولهم شروط مخصوصة كالخبرة والعلم والحكمة والعدالة وغيرها_، حيث إنهم يتشاورون في النوازل والملمات التي تصيب الأمة، ولا يتجاوزون في تشاورهم مقاصد القرآن والسنة ومصلحة الأمة. ولا تصل أبدا مشاوراتهم إلى تعطيل نصوص شرعية أو ردها، بل يتشاورون فيما يستجد من حوادث، كتنظيم

---

[1] انظر: عبد العظيم، سعيد، **الديمقراطية في الميزان** (ص: 41)، والخالدي، محمود: **نقض النظام الديمقراطي**، (ص: 16)، والبهنساوي، المستشار سالم علي (ت: 1427هـ): **تهافت العلمانية في الصحافة العربية**، دار الوفاء، المنصورة – مصر، ط/1، 1410 هـ، (ص: 245).

[2] حَبَنَّكَة، عبد الرحمن بن حسن الميداني الدمشقي، (ت: 1425هـ): **كواشف زيوف**، دار القلم، دمشق، ط/ 2، 1412هـ، (ص: 720).

[3] المائدة: 49

[4] انظر: اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، **العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الإسلام** (ص: 26).

المرور، والتعليم وشؤونه، والأمور العسكرية والتنظيمية وغيرها، فالشورى هي الطريقة الصحيحة لتطبيق النص، وفيما يجتهد فيه المسلمون فيما ليس فيه نص.[1]

قال القرطبي: " وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشاور أصحابه في الآراء المتعلقة بمصالح الحروب، وذلك في الآراء كثير. ولم يكن يشاورهم في الأحكام، لأنها مُنزّلة من عند الله على جميع الأقسام من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام. فأما الصحابة بعد استئثار الله تعالى به علينا فكانوا يتشاورون في الأحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنّة"[2].

كذلك فإن حكم الديمقراطية ملزم للجميع، وواجب التطبيق والاحترام، أما الشورى فبالرغم من مشورة الحاكم أو الإمام لأهل الحل والعقد _أو ما يعرف بمجلس الشورى_ إلا أن نهاية الأمر يكون مرده ما يراه مناسبا وراجحا لمصلحة الدين والدنيا[3].

من خلال ما سبق يتبين للناظر أن الخطر الأعظم على التوحيد في نظام الديمقراطية هو عدم إفراد الله تعالى في الحكم والتشريع، فالداخل في الديمقراطية _شاء أم أبى_ لا بد له من الرضا بحاكم جديد هو الشعب والأمة، وعليه تطبيق ما يحكم به الشعب لزوما لا اختيارا، مع أن الله تعالى يقول: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ﴾[4].

يقول محمد قطب: "حين ندخل في لعبة (الديمقراطية)، فإننا نخسر كثيراً في قضية لا إله إلا الله. أول ما نخسره هو تحويل الإلزام إلى قضية خيار تختاره الجماهير، والله سبحانه وتعالى يقول: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ} (الأحزاب:36).

---

[1] انظر: عبدالعظيم، سعيد، **الديمقراطية في الميزان** (ص: 41)، وقطب، محمد بن قطب بن إبراهيم: **كيف ندعو الناس**، دار الشروق، القاهرة – مصر، ط/3، 1424هـ، (ص: 75)، وحبنكة، عبدالرحمن، **كواشف زيوف** (ص: 688).

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (16/ 37).

[3] العفاني، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله: **أعلام وأقزام في ميزان الإسلام**، دار ماجد، جدة – السعودية، ط/1، 1424هـ، 2ج، (2/ 248).

[4] الأنعام: 57

إن قضية عبادة الله وحده بلا شريك، وهي قضية لا إله إلا الله، معناها أن يكون الله هو المعبود في الاعتقاد، وهو المعبود في الشعائر التعبدية، وهو المشرع، وهو مقرر القيم والمعايير، وهو واضع منهج الحياة للناس. وهي قضية إلزام لا خيار فيها للمسلم مادام مقراً بالإسلام، بل هي قضية إلزام لكل من نطق بلسانه لا إله إلا الله، ولو كان في دخيلة قلبه منافقاً كارهاً للإسلام، فإنه إن أعرض عن شريعة الله، فإنه يؤخذ بإقراره اللساني، ثم يعتبر مرتداً عن الإسلام"[1].

وأخيرا يكفي أن نقول: إن النظام الديمقراطي نظام غربي باتفاق، والنظام الشوري نظام إسلامي بنص الوحيين، فهل يصح بعد ذلك أن نستبدل الأدنى بالذي هو خير؟!، ولماذا نضع أنفسنا في شبهات قد تسلخنا عن ديننا، ولا فائدة منها إلا إرضاء الغرب، وتحسين صورتنا أمامهم؟!، بل إن الأخذ بالشورى الصافية النقية فيه مفخرة للمسلمين، ودليل لا يُرد على كمال الإسلام وشموله بكل أنظمته، قال الحكيم العليم:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2].

الشكل الثاني: الزَّج بالمخالفين في غياهب السجون.

يَزُجُّ المرجفون بكل مخالف في غياهبَ لا ترى عيونهم فيها النور، هذا إن أبقوهم أحياء؛ فعند الحديث عن الإرجاف السياسي، يُطِلُّ شكلٌ من أشكاله، يتمثل في الضرب بيد من حديد لكل من خالف النظام؛ فكم من عالم ذي شيبة، وفقير لا يجد من يسانده، غيَّبوهم في سجون تحت الأرض، لا تصلح لحياة الحيوانات، لمجرد أنهم يزعمون خوفهم من أن يفتتن الناس بهم، وكأن الحق صار فتنة.

ولا يَغِيبُ عن الباحث ثلةٌ من الدعاة والعلماء، نصحوا لله ورسوله _وليس بالضرورة اتباعهم في كل ما قالوا، فالكل يؤخذ من قوله ويُردّ_، غيَّبتهم يدُ البطش الطَّاغوتي، بحجة أنهم مخالفون، منهم: الإمام أحمد بن حنبل وفتنته المشهورة، التي بسببها صار يُعرف بإمام أهل السنة، ولا ننسى

---

[1] قطب، **كيف ندعو الناس** (ص: 72).

[2] الشورى: 38

ابن تيمية الذي تُوفي في سجن القلعة، وسُجن عدة مرات[1]، ومرورا بالشيخ حسن البنا، الذي أظهر من التسامح مع مخالفيه والذي من شأنه أن يكون سببا في صون حياته باعتباره من دعاة التقريب، ولحوقا بسيد قطب الذي قُتل _كما صرح قبيل استشهاده_ لأجل لا إله إلا الله، وانتهاء بما لا يحصى من العلماء وطلبة العلم والمجاهدين، كالشيخ خالد الراشد[2] وغيره، ممن تعج بهم السجون، لكلمة حقٍّ قالوها، أو عمل في سبيل الله فعلوه، فهل هكذا يَفعلُ الغربُ بعلمائه ومفكّريه يامقلدي الغرب؟!، لكن الذي يواسي العبد المبتلى قول الجبار المنتقم: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[3].

وفي مقابل ذلك يُتركُ الكفار والمرتدون يطعنون في الإسلام بحجة حرية التعبير عن الرأي، فانقلب الحق باطلا والباطل حقا، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾[4].

قال القرطبي:" استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل كل مَن طعن في الدين، إذ هو كافر. والطّعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين، لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه"[5].

نعم إنها السنون الخدّاعات التي يُصدَّق فيها الكاذب ويُكذَّب فيها الصادق. وكذلك فإنهم يستحلون الكذب عليهم، ويشوِّهون صورتهم أمام الناس بما لديهم من آلة إعلامية كبيرة.

---

[1] انظر: ابن تيمية، تقي الدين أبا العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ): **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: ناصر العقل، دار عالم الكتب، لبنان، ط/7، 1419هـ، 2ج، (1/ 13).

[2] داعية سعودي مشهور، معروف عنه كثرة البكاء عندما يتحدث في خطبه وكلماته، حُكم عليه بالسجن مدة خمسة عشر عاما؛ لمطالبته طرد السفير الدنماركي، بسبب الرسوم الدنماركية المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم.

[3] إبراهيم: 42

[4] التوبة: 12

[5] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (8/ 82).

المبحث الثالث

الإرجاف الإعلامي

يُعتبر الإعلام من أركان تناقل المعلومات في العصر الحديث، حتى إنه يُعد السلطة الرابعة، لما له من دور في تسليط الضوء على القضايا المختلفة، وقدرته في الاطلاع على خفايا الأمور. ولهذا يُشكِّل الإرجاف الإعلامي عنصرا خطيرا على الدعوة ورجالها، حتى إنه يُعد بمثابة الحرب النفسية والمادية، وذلك إذا سُخِّر لجريمة الصد عن دين الله تعالى، فحينها يكون مِعولا تُهدم به القيم، وحاجزا عن فعل الصالحات. ومن صور الإرجاف في الإعلام على اختلاف وسائله:

المطلب الأول: الصورة الأولى: تهويل الأحداث وتضخيمها.

تمتلك الدول عموما والغربية خصوصا آلات إعلامية ضخمة، هدفها في كثير من الأحيان تضخيم الحدث، من باب الهزيمة النفسية للأطراف المعنية، وزرع اليأس في القلوب، من خلال تضخيم الخبر؛ فيزرع مع الصدمة الخوفَ، وتستحقّ بأن توصف بالحرب الاستباقية.

لقد استُخدمت قديما وسائل بدائية لغرض الإعلام وإيصال المعلومات، كان منها التناقل الشفوي، وكان لها _قديما مع بساطتها_ كبير الأثر في رفع المعنويات أو خفضها، وذكر الباحث _سابقا_ أمثلة عليها، كما في حادثة الإفك التي ارتجَّت لها جنبات المدينة، وغيرِها من الأمثلة، هذا مع بساطة وضعف وبطء تلك الوسائل. فما بالنا اليوم وقد صار لها موظفون يتقاضون الأجر، وسُخَّرت لهم الإمكانات كافّة، وذُللت لهم العقبات كافة، ومُنحت لهم الحصانات، وكأنهم وزراء في أي حكومة.

ومن ذلك ما تنشره أبواق الشر إرجافا بالمسلمين وتخويفا لهم، من قوة العدو الصهيوني، كقولهم: الجيش الذي لا يقهر، ورابع أقوى جيش على وجه الأرض، وكل هذا حتى يدبَّ اليأس في قلوب الناس ومنهم المجاهدون، فلا يرفعون للحق راية، وتبقى البلاد رازحة تحت الاحتلال الغاشم.

ويأبى الله تعالى أن ينفذ كيدُهم، فها هي ذا نكبات اليهود تتوالى الواحدة بعد الأخرى في حروبهم التي خاضوها، ونهايتها الحرب الأخيرة على غزة الحبيبة. ففي نظر أهل الإرجاف

الإعلامي، وبناء على التضخيم المقصود لقوة العدو، ينبغي أن تكون غزة قد اختفت من الوجود، ولم يعد لها أهل يسكنونها، غير أن شيئا من ذلك لم يحدث، وما ذلك إلا بفضل الله الرحيم المنان، ثم بإيمان أهلها ومجاهديها، وعدالة قضيتهم، قال سبحانه: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]. ومن ذلك قولهم: إن أمريكا أطلقت قمرا للتجسس فوق أفغانستان، وأن هذا القمر سيرصد كل كلمة يقولها الأفغان، ومن ثم سيقوم برصد واكتشاف مكان قادتهم، وما حدث شيء من ذاك. لقد غاب عن هؤلاء _وهم يلوكون أخبار العدو_ الثقة بالله القوي، غاب عنهم أن الله تعالى لا يمكن أن يكسر قلوب الموحدين المستضعفين إن هم نصروا دينه، غاب عنهم أن الله جعل لهلاك الظالمين موعدا، كما قال سبحانه: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[2]، ألم يتّعِظوا بنصر القلة الذين مع طالوت، في وجه الكثرة الكافرة مع جالوت؟، ألم يأخذوا العبرة من معركة بدر ولا الأحزاب ولا مؤتة ولاتبوك ولا غيرها؟!. لقد وضح سبحانه طرق التعامل مع هذه الوسائل المرجفة، كالامتناع عن سماعها ومشاهدتها، وكذلك التثبت من صحتها، وزيادة الثقة بالله ونصره، وغيرها من طرق، قال عز من قائل:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[3].

ومن ذلك التهويل العظيم الذي تناقلته أبواق الإرجاف حول قدوم التتار لغزو الشام، حتى دب الفزع في قلوب الناس، فحزم الكثيرون أمتعتهم، وهجروا ديارهم، خوفا من الهالة العظيمة التي رُسمت عن قوة التتار، وكان ذلك سنة ستمائة وتسع وتسعين[4]، ويرسم الإمام الذهبي صورة الإرجاف العظيم الذي حصل، حيث يقول تحت عنوان [الإرجاف بمجيء التتار]:

" ثم كثرت الأراجيف بمجيء التتار، وشرع الناس في الجفل إلى مصر وإلى الحصون. واشتد الأمر في صفر وغلا الكراء، وبلغ كراء المحارة خمسمائة إلى مصر. وأبيعت الأمتعة والنحاس

---

[1] الصف: 8

[2] الكهف: 59

[3] الحجرات: 6

[4] انظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ): **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط/3، 1416هـ، 2ج، (2/ 458).

بالهوان. ثم نودي في البلد أن لا يسافر أحدٌ إلا بمرسوم"[1]. ويقول شيخ الإسلام عن تلك الحادثة: " وهي أحد ما اعتمدته في تَحضيضي المسلمين على غزوِ التّتار وأمري لهم: بلزوم دمشق ونهيي لهم عن الفِرار إلى مِصر واستدعائي العسكر المِصريّ إلى الشام وتثبيت الشاميّ فيه"[2].

وهذا ابن القيم يقول عن فراسة ابن تيمية وثقته بالله بعد هذه الحادثة، وتحريضه على الجهاد:" ثم أَخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم. وأن الظفر والنصر للمسلمين. وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا. فيقال له: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا. وسمعته يقول ذلك. قال: فلما أكثروا عَليَّ. قلت: لا تُكثروا. كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ. أنهم مهزومون في هذه الكرة. وأن النصر لجيوش الإسلام. قال: وأطمعت بعض الأمراء والعسكر حلاوةُ النّصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو"[3].

المطلب الثاني: الصورة الثانية: نشر الرذائل.

لقد حذر القرآن العظيم من انتشار الفواحش ونشرها بين الناس، لما لها من خطر كبير، وشر مستطير على الدين والدنيا؛ فنشرها كنشر النار في الهشيم، قال عزَّ مِن قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

ويلاحظ الباحث أن الله تعالى رتّب على ما سبق عذابين، أحدهما في الدنيا والأرجح أنه الحد، والآخَر في الآخِرة وهو عذاب جهنم، ووصفهما الله بالأليم أي: المؤلم الموجع[5].

---

[1] الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: 748هـ): **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط/ 1، 2003 م، 15ج، (ج 52 / ص 98).

[2] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى** (27/ 505).

[3] ابن القيم، **مدارج السالكين** (2/ 458).

[4] النور: 19

[5] انظر: الطبري، **جامع البيان** (19/ 133).

وهذه المبالغة في العقوبة تدل يقينا على خطر هذا الفعل؛ فترتيب العقوبتين الدنيوية والأخروية على ذنب، جاء _حسب اجتهاد الباحث_ في القرآن إما في الكفار، كقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾[1]، أو في المنافقين أو مَن طرأ عليه الكفر بعد إسلامه، كقول الحق سبحانه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[2].

وهكذا يظهر للناظر أن الله سبحانه قصد إظهار هذه الغِلظة في الحكم، لكل من تسول له نفسه بل تريد وتحب من قلبها أن تنتشر الفواحش والمنكرات بين أهل الإيمان، وهذا ما تعكف هذه الفضائيات على فعله ليلا ونهارا ، ففي كل يوم مسلسل إما تركي، وإما مدبلج، وثالث تراثي وطني _بزعمهم_. ويشهد القاصي والداني على خطر هذه الحلقات والأفلام؛ فهي من جهة تدعو إلى الرذيلة، وتُحسِّن المنكر في نظر أهم فئة وهي الشباب، الذين يحاولون محاكاتها وتقليدها؛ فكثيرا مِن الفتيات ترى في هذه الأفلام نموذجا من الحياة تتمنى أن تعيشه، فإذا وجدت فارس أحلامها، أرادت أن تعيش كما شاهدت في تلك الأفلام، حتى إذا وجدت أن الحياة ليست كما تتمنى، أصابها اليأس، وربما طلبت فراق زوجها، بل وأدت في بعض الأحيان إلى القتل والانتحار.

ومن جهة أخرى فإن هذه الفضائيات تعرض صورا من الانحلال والعُرِيّ، لا يقبل صاحب الشرف والحياء أن يُعرَض في بيته مثلُها _ فلا يرضى بمثل ذلك إلا الديوث الذي لا حظَّ له من الحياء_، عدا عن الاختلاط الفاضح الذي يتعاون السُّذج من الناس على نشره بمتابعته، وكذلك الأفكار المسمومة التي تهدم الدين والعقيدة والأُسر المؤمنة.

---

[1] آل عمران: 56

[2] التوبة: 74

ويزداد أسف الباحث وحسرته على من يراهم يرتادون المساجد، بل ويحرصون على الصف الأول في الصلاة، ممن يسمحون لأنفسهم _بحضرة زوجاتهم وبناتهم_ بمتابعة تلك الموبقات، ومن حق الباحث التساؤل: كيف يكون شعور ذلك الذكر _أمام عياله_ إذا جاء مقطع إباحي _ومعلوم أن معظمها كذلك_ فيه تعرٍّ أو تقبيل أو غيره؟!، أم أنه انعدام الشرف، وتكرار النظر واعتياده، واستمراء المنكر مع طول المدة؟!.

المبحث الرابع

الإرجاف الاجتماعي

تكثر بين المسلمين عباراتٌ وتصرفات تتعلَّق بالنواحي الاجتماعية، غالبا ما تكون مبنية على موروثات الآباء والأجداد، أو منقولة عن الغرب ممن غرَّته زخارف ما يُسمى بالتحضر. فإذا جاء أحد المصلحين ليعيد بناء أسرته ومن يعول على آداب الإسلام وتعاليمه، رأيت الكثير من الناس يُرعدون ويصرخون ويرجفون بالمصلحين، ومن هذه المواقف والحالات:

المطلب الأول: الحالة الأولى: تقديم العادات والتقاليد _المخالفة للشرع_على الدين وتعاليمه.

تعيش الأمة اليوم في غربتها الثانية، حيث قال الصادق المصدوق ﷺ فيما رواه أَبو هريرة:"« بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»"[1]. فظاهر الحديث يدل على " العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة، ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضا كما بدأ"[2]، ونلاحظ في واقعنا هذه القلة _بالنسبة إلى عدد عموم المسلمين، وعدد الناس في العالم _ كما وصفهم الرسول ﷺ بالغرباء حتى بين أهلهم وذويهم، فحتى أهلهم يحادّونهم ويعادونهم، لا لشيء إلا لأنهم يدعون الناس للرجوع إلى السنة ونبذ العادات التي تخالف الدين.

إنها غربة تُدمي القلب؛ لأنها غربة عن الإخوان والأقرباء. لقد حُكِّمت العادات، وتُركت السُّنَّة، حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا، وصار الولاء والبراء على تقاليد لا تمس عين الحقّ، ومن الأمثلة على ذلك:

يرى الباحث ويعايش كثيرا من الشباب وكبار السن، الذين يتركون الواجبات والأركان _كتركهم للصلاة المفروضة مثلا_، ولا يوجد أحد يتمعَّر وجهه على حالهم، ولا يوجد من ينكر عليهم، لكنهم وفي حالة أخرى نجدهم أنفسهم يقولون _إذا سُئلوا أين تذهبون؟_: نذهب لأداء الواجب، فما هو الواجب الذي يقصدونه؟، إنهم يريدون الذهاب للجلوس في بيت عزاء لأقربائهم،

---

[1] مسلم، **الصحيح**، كتاب: الإيمان، باب: بدأ الإسلام غريبًا، (ح: 145) (1/ 130).

[2] النووي، **شرح النووي على مسلم** (2/ 177).

ليس للتعزية بل للجلوس ثلاثة أيام متتاليات، يمتنعون فيها عن العمل، ويتكلفون استحضار التمر والقهوة وغير ذلك _ فالبعض يوزع الدخان_، ويحجزون القاعات المكلفة، ومعلوم لكل من جرّب هذه العادة حجم التكاليف والتكلف فيها، بل والمخالفات الشرعية التي يرتكبونها، عدا عن رأي العلماء الكرام في فتح مثل هذه البيوت والقاعات التي تُديم الحزن، مخالِفة لمقصد تشريع سنة التعزية من التخفيف عن أهل الميت، وتصبيرهم وليس لتجديد أحزانهم!.

ومن جانب آخر وفي السياق نفسه، تراهم يتركون صلاة الجنازة على الميت _لأنهم لا يُصلُّون أصلا_ ويتوجهون لواجب الدفن!. وغير ذلك من الأمثلة التي لا تنقضي.

ويا ليتهم كفُّوا ألسنتهم عن الملتزمين بالسنة المتمسكين بالدين، بل يصفون من هذا حاله بالتخلف والتشدد والتعقيد، إرجافا بالناس عنهم، وكلما نُبِّهوا على مخالفتهم للدين، قالوا كما قال عُبّاد الأوثان:﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[1]، بل ويقول بعضهم: هل كل الأمة على باطل وأنتم على حق، أمعقول ذلك؟!، وهكذا تزداد الغربة، ويزداد الإرجاف بالصالحين.

المطلب الثاني: الحالة الثانية: تحرير المرأة.

يحاول أعداء الإسلام الإرجاف بالمجتمع المسلم، ولم يجدوا طريقا لمآربهم أقصر ولا أسهل من مربية الأجيال، ومصنع الرجال، أُمًّا كانت أو زوجة أو أختا أو ابنة، فكلهنَّ مستهدفات.

كيف لا وهي الفتنة الكبرى على الرجال، كما قال ﷺ في الحديث الذي رواه أسامة بن زيد رضي الله عنهما: « مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»[2]. فَفَتْن الرجال بالنساء يطيح بهم جميعا، في أدنى جهد وأقصر مدة.

---

[1] الزخرف: 23

[2] رواه البخاري، **الصحيح**، كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة_واللفظ له_ (ح: 5096)، (7/ 8)، ومسلم، **الصحيح**، كتاب: الرقاق، بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، (ح: 2740) (4/ 2097).

ولم يأتوها بقول صريح مفاده: اخلعي دينك وحياءك؛ فحينها ستلفظهم كلُ النساء؛ لأنها دعوة مكشوفة الأهداف والنوايا، لكنهم زينوا لها طريق الانخلاع من القيم والأخلاق، بإعطائها حقوقها المسلوبة!، وأنهم يريدون تحريرها من القيود التي منحها لها القانون!. وهكذا تدرّجوا بحل قيود عفّتها وحيائها، فالجلباب الفضفاض بشروطه الشرعية أُحيط بوابل من الانتقادات، كالقول: لباس كالغربان، ولابسة خيمة!، وهكذا ترتجف هذه العبارات في نفس الأخت المسلمة، وتشكّل حاجزا نفسيا يتعاظم مع مرور الوقت، ليصبح خيارا من بين ثلاثة خيارات، الأول: امكثي في البيت وإلا سمعتِ ورأيتِ وابلا من عبارات ونظرات الاستهزاء والتجريح. والثاني: عليك بلباس يلائم التطور، كالتركي وغيره مما يستجد في الأسواق _ وهذا حال كثير من نسائنا، ترضخ للإرجاف لعدم الوعي والمعين_. والثالث: اصبري وتحملي كل الإرجاف، فأنت على الحق، وقدوتك آسية ومريم وخديجة وفاطمة رضي الله عنهن جميعا_وقلة من نسائنا من تختار هذا الأمر، وتلتزم بحجابها، وتحتسب الأجر من الله_.

ولقد بلغ حال لباس نساء المسلمين اليوم مبلغا يذهب بلبِّ الحازم، ويجعل الحليم حيرانا؛ إذ كيف سمح حياؤهن بالخروج بلباس لا يجوز ارتداؤه حتى أمام المحارم _باستثناء الزوج_؟!، وأين وليُّ الأمر من ذلك؟، وأين العلماء من وجوب إنكار هذه الجريمة؟!، ولا حول ولا قوة إلا بالله الحليم.

غير أن العجيب في الأمر، أن نساء الغرب بدأن يعدن إلى آداب الإسلام وتعاليمه من حيث شعرن أم لم يشعرن، فها هن أولاء يطالبن بالفصل بين الرجال والنساء في حافلات النقل، نتيجة لتزايد التحرش بهن، ويطالبن بالفصل بين الطالبات والطلاب في المدارس[1]، كل هذا ونساء المسلمين يرغبن بتجربة كل ما يخدش حياءهن، ويلوث فطرهن، وتناسين أن تشريعات القرآن الكريم هي الوحيدة التي كفلت لهن كامل حقوقهن، والتي لا يَصلح حالهن في الدنيا والآخرة إلا بها، ومن ذلك مجموعة من الإرشادات والنصائح التي تُحافظ على هذه الجوهرة المصونة، تزفُّها آية الأحزاب، في قول العليم الحكيم: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[2]، فهل هناك أحكم أو أعلم أو أحسن من الله حكما وقولا؟!.

---

[1] انظر: الحوالي، سفر بن عبد الرحمن، **دروس للشيخ سفر الحوالي**، (44 / 17)، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، الرابط: http://www.islamweb.net

[2] الأحزاب: 33

المبحث الخامس

الإرجاف العسكري

بعد انهيار دولة الخلافة الإسلامية وتقسيم البلاد إلى دويلات، ضعفت قوة المسلمين، حتى تساقطت بلادهم في براثن الاستعمار الأجنبي، وخسروا _كدول_ معظم الحروب التي خاضوها ضد المستعمرين، وازداد الإرجاف عن قوة الأعداء، حتى انطبع في الأذهان أنهم لا يُهزمون، وأن التعرض لهم هو قتل للنفس بلا نتيجة. ورضع الأطفال لبن الهزيمة النفسية، وتربوا على الذل، وظهر مرجفون ينعقون بلسان الإحباط واليأس والتخاذل، ومن هذه الأراجيف:

المطلب الأول: الإرجاف بأن قوة اليهود وأمريكا لا تقهر.

إن سنن الله تعالى جارية في الناس لا تتخلف، ومن هذه السنن: سنة التغيير، وكذلك سنة استخلاف الصالحين المرتبطة بما قبلها. وهذه السنن لها مقومات تقوم عليها، ولا تقوم بدونها إلا أن يتفضل الرحمن بها علينا مع عدم استحقاقنا لها.

ومن مقومات سنة التغيير: تغيير أنفسنا من الداخل، وتنقية صفوفنا من المرجفين والمنافقين؛ إذ إنهم يشكلون عقبة داخلية كأداء أمام النصر والتغيير، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، فعن قتادة قال:"إنّما يجيء التّغيير مِن الناس والتّيسير مِن الله، فلا تُغيّروا ما بكم مِن نعم الله"[2]، وفي هذا يقول الطبري: "(إن الله لا يغير ما بقوم)، من عافية ونعمة، فيزيل ذلك عنهم ويهلكهم، (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من ذلك بظلم بعضهم بعضًا، واعتداء بعضهم على بعض، فَتَحلَّ بهم حينئذ عقوبته وتغييره"[3].

ومن جهة أخرى فإن معظم غزوات الرسول ﷺ والصحابة الكرام _رضي الله عنهم_ كانوا فيها أقل عددا وعدة.

---

[1] الرعد: 11

[2] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (ح: 12202) (7/ 2233).

[3] الطبري، **جامع البيان** (16/382- 383).

وأما في عصرنا الحالي فقد خاضت أمريكا وحلفاؤها حربا ظالمة غير متكافئة ضدد الشعب العراقي الأعزل، فأجلبت عليهم بخيلها ورَجِلِها، وظنّت أن النصر السريع الحاسم حليفُها، وسقط الجيش النظامي العراقي بلا أية مقاومة، حتى إذا ظنوا أنهم قد ربحوا الحرب قامت ثلة من أهل السنة المجاهدين، يذودون عن حمى المسلمين _أرض الرافدين_، وأخذوا بالتكاثر حتى كونوا تنظيمات وجماعات تحارب رأس الإرجاف العالمي.

فماذا كانت النتيجة؟، الجواب يرسمه الواقع _على مرارته_، لقد مُرِّغ أنف المرجفين، حيث قُتل الآلاف _على الأقل_ من الجنود الأمريكان _ وقد يصل العدد الحقيقي إلى عشرات الآلاف وأكثر_، عدا عن عشرات الآلاف من الجرحى والمعاقين، والآلاف من المرضى النفسيين_الذين أنهكوا مستشفيات أمريكا واقتصادها_، ومئات المنتحرين بعد عودتهم إلى بلادهم، وما خفي كان أعظم. فهل ثلة مخلصة قليلة _لا قوة لها إلا بالله العظيم_ تكفي في ميزان المرجفين لصد كل هذه القوة التي لا تحصى؟!.

وهكذا جرَّت أمريكا بجيوشها الجرارة ذيول الخيبة والانكسار، خارجة مطأطئة الرأس، فعلى المرجفين الاتعاظ بمثل هذه العبر، وهي كثيرة _حيث سبقها هزيمة الروس في أفغانستان_ لا يراها أعمى البصيرة؛ لأنه لا يبغي طلب الحق. وماذا يقول المرجفون عن وعد الله تعالى للمستضعفين _من أهل الحق في فلسطين وبلاد الشام _ بهزيمة اليهود وأذنابهم كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾[1] ؟!، فعليهم أن ينفضوا عن أنفسهم غبار الكسل الذي تراكم من عشرات السنين، وأن يعدُّوا ويستعدوا، كما طلب الله تعالى منا، وأن يثقوا بوعد الله ونصره القريب_ إن شاء الله_.

المطلب الثاني: مَنْع المستضعفين في الأرض من الإعداد للجهاد.

لقد بات الجهاد في بلاد المسلمين فرض عين على كل مسلم بالغ عاقل قادر، فتحرير البلاد من العدو الصائل من أوجب الواجبات، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " وأما قتال الدفع فهو أشد

[1] الإسراء: 7

أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين فواجب إجماعا؛ فالعدوُّ الصّائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يُشترط له شرط بل يُدفع بحسب الإمكان.

وقد نصّ على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم فيجب التفريق بين دفع الصائل الظّالم الكافر وبين طلبه في بلاده"[1]. فالاحتلال يمنع العبادات _بإغلاق المساجد وبخاصة الأقصى مثلا_، وينتهك الأعراض، ويقتل الشيب والشباب، عدا عن احتلال الأرض، ولهذا دَفْعَه مقدمٌ على كثير من الواجبات، "وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم"[2].

لقد قام المرجفون بتثبيط من أخذ بواجب الإعداد، بل وسجنوهم وعذبوهم وأخبروا عنهم العدو، فأي بشر هؤلاء، وأي همٍّ للأمة يحملون؟!، ألم يعلموا بأن من سقط عنه واجبُ الجهاد لِعذرِ عدمِ الاستطاعة، صار الإعداد واجبا عليه قدر المستطاع؟، ألم يقرأوا قوله سبحانه: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[3]؟!.

عن عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر، يقول: " {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ} [الأنفال: 60]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ "[4].

وقد "أمر الله سبحانه المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى. فإن الله سبحانه لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم وبحفنة مِن تراب، كما فعل رسول الله ﷺ. ولكنه أراد

---

[1] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **الفتاوى الكبرى**، دار الكتب العلمية، ط/1، 1408هـ، 6ج، (5/ 538).

[2] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ): **المستدرك على مجموع الفتاوى**، جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن، ط/1، 1418هـ، 5ج، (3/ 218).

[3] الأنفال: 60

[4] رواه مسلم، **الصحيح**، كتاب: الإمارة، بَابُ: فَضْلِ الرَّمْيِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ، وَذَمِّ مَنْ عَلِمَهُ ثُمَّ نَسِيَهُ، (ح: 1917) (3/ 1522)، وأحمد، **المسند**، مسند الشاميين، حَدِيثُ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، (ح:17432)، (28/ 643).

أن يبتلي بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ. وكلما تَعده لصديقك من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عُدتك"[1].

ويعلّق النووي على ما يدخل في الإعداد فيقول:"هذا تصريح بتفسيرها ورد لما يحكيه المفسرون من الأقوال سوى هذا وفيه وفي الأحاديث بعده فضيلَة الرميِ والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى، وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح، وكذا المسابقة بالخيل وغيرها كما سبق في بابه والمراد بهذا كله التّمرّن على القتال والتدرب والتَّحذّق فيه ورياضة الأعضاء بذلك"[2].

وفي تفسير القوة يقول السعدي: " أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير... ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال، ولهذا قال تعالى: {وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب"[3].

وهكذا يتضح أنه إن سقط القتال للعذر، فلا يسقط الإعداد، ولو بجمع المال والنية. وكما سبق القول في أن المرجفين لم يكتفوا بالتعذّر _ كما كان سلفهم المنافقون_، إذن لهان الخطب على أصحاب الهمم السامية، لكن أبواقا من الإرجاف تنعق بين الفينة والأخرى؛ لترجف الناس عن

---

[1] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (8/ 35).

[2] النووي، **شرح النووي على مسلم** (13/ 64).

[3] السعدي، **تيسير الكريم الرحمن** (ص: 324)، بتصرف.

الـدفاع عـن أوطـانهم وأعراضــهم، وتـزداد المأسـاة إذا عرفنـا أنهـم مـن ذوي العمامـات واللحـى المستأجرة، ولا أدل على ذلك من الفتاوى التي حرمت الجهاد في العراق، بحجة عدم القتال تحت راية واضحة!! _لا ننسى ما أُصِّل سابقا من كلام شيخ الإسلام في عدم اشتراط شيء في جهاد الدفع _، وإثم ذهاب المجاهدين لنصرة إخوانهم _مع أنهم مجتهدون_؛ بزعم خروجهم بلا إذن ولي الأمر!!!.

ولمثل هؤلاء يقول ابن القيم:" فجهاد الدفع يقصده كل أحد ولا يرغب عنه إلا الجبان المذموم شرعا وعقلا"[1]؛ وذلك لأن قتال "الدّفع أوسع من قتال الطّلب وأعم وجوبا ولهذا يتعين على كل أحد يقوم ويجاهد فيه العبد بإذن سيده وبدون إذنه والولد بدون إذن أبويه والغريم بغير إذن غريمه وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق. ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو ضعفي المسلمين فما دون فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبا عليهم لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال"[2].

[1] ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: 751هـ): **الفروسية**، تحقيق: مشهور بن حسن، دار الأندلس – السعودية، ط/1، 1414هـ، (ص: 189).

[2] المصدر السابق (ص: 188).

الفصل الرابع

أسباب الإرجاف وآثاره وطرق مكافحته

المبحث الأول: أسباب الإرجاف وآثاره

المبحث الثاني: طرق مكافحة الإرجاف

المبحث الأول

أسباب الإرجاف وآثاره

بعد أن خلق الله تعالى آدم_عليه السلام_، ورفض إبليس السجود له تكريما بأمر من الله تعالى، بدأ الصراع بين الخير والشر، وهذا الشر _المتمثل بإبليس وجنوده_ تعددت غاياته، ومن غاياته: إقصاء أهل الخير عما ينفعهم في دنياهم وأخراهم، ومن ذلك إخراج آدم _عليه السلام_ من الجنة، وإغواء الناس ليدخلوا النار، وغير ذلك من أسباب وأهداف.

ومن أجل تلك الغايات والأسباب تعددت وسائل إرجافهم _كما سبق الحديث عنها في الفصل الثاني _، وبسبب هذا التعدد كانت هناك آثار جسيمة ومتعددة كما سيظهر.

المطلب الأول: أسباب الإرجاف

سبق الكلام أن أصل العداوة بين الحق والباطل هو إخراج إبليس من الجنة، بعد عصيانه أمر ربه، برفضه السجود لآدم عليه السلام؛ فعزم إبليسُ النية على رد نتيجة ما حصل معه على آدم وذريته، باعتباره مسببا، ومن ثم فلابد لكل الأسباب الأخرى للإرجاف أن تنبثق منه؛ **فأسباب الإرجاف هي:**

السبب الأول. إبليس وإخراجه لآدم وزوجه من الجنة.

إن الأمر القدري الذي حصل لإبليس كشف عن حقيقة خلقه من نار، والنار وإن كان فيها خير ودفء _ يمكن ربط هذا الخير بالعبادة والاستقامة التي كان عليها إبليس _، إلا أن فيها صفة الحرق، وسرعة الانتشار والأذى الكبير والاستعلاء المادي، فهذه الحادثة جَلَّت الشِّقَّ الثاني من طبيعة إبليس.

إن غضبة إبليس بعد استكباره على أمر الله تعالى ليس لها ما يبررها ولا ما يفسرها، والذي يراه الباحث أن إبليس أطلق العنان لطبيعته الشريرة حتى استولت عليه استيلاء كاملا، فصار لا يفعل إلا الشر، ولا يدعو إلا إليه، كما ذكر سبحانه عنه:﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ

ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾[1].

وقد ذكر مجاهد أن المقصود بالصراط المستقيم هو:" الإسلام: الدّين الحقّ "[2]، بهذا العموم، فكل ما يتعلق بالدين من أمر الدنيا والآخرة فهو هدف مشروع لإبليس ليرجف فيه، ولهذا فسر القرطبي قوله تعالى: (ثم لآتينهم من بين أيديهم...الآية) بالصد عن الحق والترغيب في الدنيا والتشكيك بالآخرة[3]. ومن المعلوم لإبليس أنه بإغوائه للناس يجمع إلى وزره أوزارهم، ومن ثم لا يزداد من الله إلا بعدا، وهذا فساد ثان يدل على حمقه، وعلى استيلاء الشر عليه.

السبب الثاني. صرف المرجفين الناسَ عن الحق الذي يهدد عروش الطغاة.

وهكذا كان فعل فرعون مع موسى _عليه السلام_، فقد هدده بالسجن، وهدد مؤمني السحرة بالصلب والقطع، كل ذلك خوفا على ملكه، قَالَ تَعَالَى:﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾[4]، وما يضير فرعون ماذا يعبد موسى ومن معه لو كانت عبادتهم لا تؤثر في ملكه؟، لكنه يعلم علم اليقين أن العبودية وفق مفهومه ومراده تشتمل على الطاعة المطلقة له، واستعباد البشر لخدمته، وهذا يتناقض تماما مع العبودية لله العظيم، ولهذا جاء رده إرجافا بموسى _عليه السلام_ بالتهديد بالسجن مع غيره من المظلومين.

وهذا حال الطغاة اليوم مع المصلحين، خوفوهم بالتضييق عليهم في أرزاقهم، وزجوا بعضهم في ظلمات السجون، وعذبوا آخرين منهم، وقتلوا الكثير، بل وانتهكوا أعراضهم في بعض الأحيان، كل ذلك حفاظا على الكرسي والمنصب المقدس.

---

[1] الأعراف: 16-17

[2] **تفسير مجاهد** (ص: 333).

[3] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (7/ 176).

[4] الشعراء: 29

وفي رأي الباحث أن الفساد كله يكمن في لجم كلمة الحق وقائليها، بل إنهم أنفسهم المفسدون للدين _فلم يُحكِّموه ولم يعملوا به_، وللدنيا _فهناك التنازل عن الأرض للمحتلين، ونشر الانحلال الأخلاقي الذي فتك بشبابنا، ونهْب الخيرات العامة، واعتبارها ملكا خاصّا كما يفعل بعض الحاكمين، وغير ذلك مما يندى له الجبين، وفوق صبر الحليم _.

السبب الثالث. حسد المرجفين وبغضهم لأهل الإيمان والخير.

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾[1].

فأعداء الله تعالى اليهود كانوا قد حسدوا رسول الله ﷺ [2]، وهم أولى الناس بالإيمان به؛ فهم أهل كتاب، والرسول جاء مصدقا لما معهم، وكانوا يستفتحون به على المشركين ويغلبونهم به[3]، لكنهم تفاجأوا بأنه من بني إسماعيل ﷺ من العرب، وكان من قبله من الأنبياء من بني إسرائيل، فحسدوهم لذلك، ولأنه الرسول الخاتم _ ولله الحمد والفضل_.

و"الحسد لا يحصل إلا عند الفضيلة، فكلما كانت فضيلة الإنسان أتم وأكمل كان حسد الحاسدين عليه أعظم، ومعلوم أنَ النّبوة أعظم المناصب في الدين، ثم إنه تعالى أعطاها لمحمد صلى الله عليه وسلم، وضم إليها أنه جعله كل يوم أقوى دولة وأعظمَ شوكة وأكثر أنصارا وأعوانا وكل ذلك مما يُوجب الحسد العظيم"[4].

والحسد محرك المرجفين؛ فلا تكاد نفس المرجف تهدأ حتى يرجف بالمحسود على ما آتاه الله تعالى من فضله، وهذا ما حصل مع إبليس تجاه آدم _عليه السلام_.

---

[1] النساء: 54

[2] انظر: **تفسير مجاهد** (ص: 284)، وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (3/ 978) (رقم: 5469) عن عكرمة.

[3] انظر: الطبري، **جامع البيان** (2/ 332).

[4] الرازي، **مفاتيح الغيب** (10/ 104).

السبب الرابع. حب المرجفين للدنيا وكراهيتهم للموت وللجهاد في سبيل الله، وهذا يجعلهم يرجفون بغيرهم؛ حتى لا يُعرف حالهم _في القعود عن القتال_، ولا يتعرضون للمحاسبة، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ﴾[1].

فعن قتادة قال: "هؤلاء أناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد وأصحابه إلا أكلة رأس، ولو كانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأصحابه. دعوا هذا الرجل فإنه هالك. والقائلين لإخوانهم أي: من المؤمنين. هلم إلينا أي: دعوا محمدًا وأصحابه فإنه هلك ومقتول"[2].

ومن شدة خوفهم يتغير حالهم، حتى إن الله تعالى وصف أعينهم في زوغانها ودورانها كحال الذي يغشاه الموت. منظر مخيف يدل على شدة خوفهم وقلة دينهم وقلة توكلهم على خالقهم.

وهكذا هو حالهم كلما دُعوا لبذل نفس أو مال أو غيره، يستحبون القعود ولو كان فيه منقصة لهم، غير أن وصفهم بالتخاذل والقعود أحب إليهم مما يتخيلونه لأنفسهم من احتمالية الأذى لو أنهم شاركوا المسلمين الجهاد في سبيل الله، قال سبحانه:﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾[3].

في الحقيقة إن المسلم الصادق دائم الحب لسماع أخبار الباذلين أرواحهم في سبيل إعلاء كلمة الحق، فهذا السماع وتلك المتابعة تُذكِّره بتقصيره في طاعة ربه، وتدعوه إلى البذل حتى يلحق بإخوانه، وتلومه على التقصير، وهذا أمر محمود، لكن المرجفين لا يحبون ذلك، بل ويجعلون السواتر أمام وصولها إلى حواسّهم.

---

[1] الأحزاب: 18-19

[2] الطبري، **جامع البيان** (20/ 230)، وابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (رقم:17624) (9/ 3121-3122).

[3] التوبة: 86

السبب الخامس. دفاع المرجفين عن باطلهم.

يرجف المبطلون بأهل الحق حتى لا يظهر الحق، ولا ينكشف حينئذ زيفهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

ويلاحظ الجمع في قوله: الذين كفروا، وكذلك في الرسل، حيث يدل على أنها سنة داوموا على الإرجاف بها، حتى مع حبيبنا ﷺ كما قال القرطبي: "خَيّر الكفارُ الرّسلَ بين أن يعودوا في ملتهم أو يخرجوهم من أرضهم، وهذه سيرة الله تعالى في رسله وعباده، ألا ترى إلى قوله:(وَإِنْ كادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْها وَإِذاً لَا يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا. سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنا)، [الإسراء: 77 – 76]"[2].

السبب السادس. دفاع المرجفين عن سيادتهم واستعلائهم ومكانتهم بين الناس.

وما فعله فرعون في بني إسرائيل من إرجاف إلا دليل على أهمية السيادة وعظمها في قلبه؛ فهو في البداية عذب المستضعفين منهم، كما قال ربنا: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[3]، وكفى به إرجافا ليحافظ على استعلائه. ثم لم يلبث إلا وجاءهم المُخَلِّص _بأمر من الله تعالى _ سيدنا موسى ﷺ، حتى فزع فرعون إلى مستشاريه يستأمرهم، ويزعم أن موسى ﷺ يريد إخراجهم من الأرض وامتلاكها، وهكذا خوفهم بذهاب المُلك، قال سبحانه: ﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴾[4]، و"إنما قاله لحمل قومه على غاية المقْت لموسى _عليه الصلاة والسلام_ بإبراز أن مرادَه _عليه الصلاة والسلام_ ليس مجرد إنجاء بني إسرائيلَ من أيديهم بل إخراجُ القِبط من وطنهم وحيازة أموالهم وأملاكهم بالكلية، حتى لا يتوجّهَ إلى اتباعه أحدٌ، ويبالغوا في المدافعة

---

[1] إبراهيم: 13

[2] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (9/ 348).

[3] القصص: 4

[4] طه: 57

والمخاصمة. وسمي ما أظهره عليه الصلاة والسلام من المعجزة الباهرة سحراً لتجسيرهم على المقابلة ثم ادّعى أنه يعارضه"[1].

المطلب الثاني: آثار الإرجاف على المسلمين من خلال القرآن والواقع.

لابد بعد هذه العجالة من التحذير من الإرجاف، وذلك ببيان آثاره المدمرة على الدين والدنيا؛ فكم من بلاد سقطت، وأُناسٍ قُتّلوا، وديارٍ ومساجدَ يُذكر فيها اسم الله هُدّمت، وأعراضٍ سُلبت، وشريعةٍ عن التحكيم أبطلت وحوربت، كله بفضل تخاذل المرجفين وإرجافهم المقيت. ومن تلك الآثار التي خلَّفَها الإرجاف والمرجفون على ديننا ودنيانا:

الأثر الأول: الهزيمة النفسية والمعنوية ومن ثم هزيمة الجيوش.

إن المتتبع لأثر المرجفين على الروح المعنوية للمسلمين، يعرف جيدا أنها حرب تسبق الحرب المادية، المهزوم فيها خاسر في النتائج العسكرية المادية، ولهذا أرشد الله تعالى رسوله ﷺ بألا يسمح للمرجفين المعلوم إرجافهم أن يخرجوا للغزو معه؛ لأنهم سيكونون خنجرا مسموما يطعن في داخل الجيش المسلم، حيث قال سبحانه: ﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾[2]، والهزيمة النفسية من أخطر أضرار الإرجاف على الأمة؛ لأن الحرب النفسية أعمُّ وأشمل من أي حرب أخرى؛ فهي تفت في عضد الأمة، ويتبعها بلا ريب هزيمة عسكرية منكرة، وهذا حال المرجفين شاهد عليهم، كما قال سبحانه: ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[3]؛ فقتل الهمة مصيبة كبرى تُثكل بها الأمة؛ مما يؤدي إلى توقُّف العمل الدؤوب لنصرة الحق وأهله، وتوقف العمل نحو تقدُّم المجتمع ورقيِّه.

---

[1] أبو السعود، **إرشاد العقل السليم** (6/ 23).

[2] التوبة: 47

[3] آل عمران: 168

الأثر الثاني: تخويف الناس، ونشر الاضطرابات والإشاعات بينهم.

من الآثار الواضحة للمرجفين، تخويف الناس وإرهابهم، فهم العدو الأول للاستقرار. ونسوا أو تناسوا أن الله ينصر عباده وكفى به وكيلا، فقد رد الله عليهم بقوله: ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[1]. وكذلك إثارة الفوضى والارتباك في المجتمع، كما في حادثة الإفك، وتناقل الأخبار الخبيثة وإشاعة الفاحشة، كما قال عز من قائل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

الأثر الثالث: فقدان الثقة وضعفها بالله.

إن الإرجاف يؤدي إلى فقدان الثقة بالله تعالى، وإذا فقد الإنسان ثقته بالله لم يعتمد عليه، ولم يعد يلجأ إليه، ولن يصنع بذلك نجاحًا، وسيبوء بالفشل، وحدث ذلك جليا في غزوة الخندق؛ إذ بعد الخوف والاضطراب بسبب الحصار على المدينة وثورة الشائعات التي ضربت بالمجتمع، بدأ سوء ظن المرجفين يظهر، قال تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ﴾[3]، ثم ما لبثوا إلا فقدوا ثقتهم به سبحانه ، وأخذوا يظهرون قطع صلتهم به، وعدم تصديقهم له، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[4].

الأثر الرابع: معاونة أهل الباطل في باطلهم.

عندما يجد أهلُ الفساد المساعدةَ والمعاونة، يزدادون نصرةً لباطلهم، ومن ذلك قول الله عنهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ

---

[1] الزمر:36

[2] النور: 19

[3] الأحزاب: 10

[4] الأحزاب: 12

﴿ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾[1]، فجنود الشيطان راياتهم شتى، ويجمعهم هدف واحد هو القضاء على الحق، وهيهات هيهات، فهم جنود الرحمن.

وكل يوم نرى مثل هذه التحالفات بين قوى الشر، تظهر بين حين وآخر تحت مسميات مختلفة، كأمم كذا، وحلف كذا، ويتبعهم مرجفو العرب، ممن تسموا بأسمائنا، غير أنهم انفصلوا عن ربقة الأمة، وما تحالف بني صهيون مع فرعون مصر الحالي ومخابرات الإمارات، مصحوبا بصمت المسلمين في أصقاع الأرض على غزة الجريحة إلا مثالا حيا على أثر إرجافهم وتعاونهم.

الأثر الخامس: سقوط الرموز والعلماء والمصلحين في نظر الجماهير.

كثيرا ما تَلقى إشاعاتُ المرجفين صدى عند عامة الناس الذين ليس لهم في تلقي الأخبار ضوابط ولا حدود شرعية، فها هو ذا خبر اتّهام أم المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_ عصف بالمدينة، وكاد أن يطيح ببيت النبوة، وهم رمز في الطهارة والعفة، وهكذا أرادها عبدالله بن أبي ابن سلول، نارا تحرق بيت رسول الله ﷺ لعلَّها أن تعيد له السيادة التي افتقدها.

وهذه هي سنة المرجفين مع الأنبياء الكرام _عليهم السلام_، فها هم أولاء عاد، يُبعث إليهم هود ﷺ فيكذبوه، ويتهمونه بالافتراء والكذب؛ حتى يَسقُط من أعين الناس، فلا يجد حينها من يسمع له، حيث قال سبحانه على لسانهم: ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

الأثر السادس: التثبيط عن الجهاد، وحماية الأوطان والإعداد.

إن من أسوء آثار الإرجاف، أنه يثبط الناس عن القيام بواجب الجهاد في سبيل الله؛ ففي غزوة تبوك قعد ثلاثة من المؤمنين القادرين على الغزو مع الرسول ﷺ، نتيجة للحرب النفسية التي أشعلها المرجفون، والإشاعات الكاذبة التي أشاعوها عن قوة الروم، وعن هلاك المسلمين المؤكد فيها.

---

[1] محمد: 26

[2] المؤمنون: 38

المبحث الثاني

طرق مكافحة الإرجاف

من خلال النظر في أساليب القرآن الكريم ووسائله في معالجة الإرجاف، يتبين أن له طرقا كثيرة في المعالجة، منها ما يكون قبل وقوعه كوقاية، ومنها ما يكون في أثناء وقوعه للتخفيف من آثاره، ومنها مايكون بعده كعلاج له وللإستفادة منه. وهكذا في مسألة الإرجاف؛ فبالنظر إلى المواقف التي تم عرضها في الفصل الثاني، والتي اشتملت على الإرجاف، نجد أن القرآن الكريم استخدم الأساليب الثلاثة، كلا حسب مقامه، ومن أهم الأساليب والوسائل التي استخدمها القرآن مع المرجفين:

المطلب الأول. طرق القرآن ووسائله في منع الإرجاف قبل حدوثه.

إن من الضرورة والحكمة بمكان أن نحاول منع وقوع المنكر بكل الطرق المشروعة، والحكيم الخبير _سبحانه_ اهتم بهذا الأمر كثيرا، حيث أصَّل منظومة كاملة شاملة تقوم على سد الذرائع، والتي من شأنها منع وقوع المنكر؛ ولهذا حرَّم الخلوة بغير المحارم من النساء، وأمر بغض البصر، والستر، كل ذلك صونا للمجتمع، وحفاظا على أفراده من الوقوع في كبيرة الزنا، وغير ذلك من الأمثلة.

وقد وضع الإسلام نظاما شاملا للعقوبات الرادعة، ووضحها وأشهرها حتى لا تسول نفس الجاني له الوقوع في الحرام.

وأما الإرجاف؛ فنظرا لخطورته المتمثلة في اضطراب الأمن بكل نواحيه_الدينية والنفسية والاقتصادية والعسكرية وغيرها_؛ فقد أولى الإسلام له وسائل وطرق متنوعة أهمها:

أولا: أسلوب التعامل مع المرجف الأول والأكبر "إبليس" في القرآن الكريم.

تختلف طرق ووسائل التعامل مع المرجفين لمنع إرجافهم تبعا لاختلاف شخص المرجف، فكما سبق القول أنه يمكن أن يكون المرجف إبليس، أو المشركون، أو كفار أهل الكتاب، أو

المنافقون، أو حتى من تبعهم من ضعاف الإيمان ممن لا ينضبطون بضوابط الشرع الحنيف، سواء في خصوصياتهم أو في معاملاتهم مع غيرهم.

ومن الملاحظ عند استعراض الآيات التي أشارت إلى إرجاف إبليس أنها تعتبر الحرب معه حربا طويلة لا راحة فيها، فهي تبين أن إبليس لا يكل ولا يمل من الترصد لبني آدم، ومن ثم فإن التعامل مع إرجافه يكون على مدار الساعة، وفي كل حين. ومن الخطوات التي يجب فعلها في حربنا معه لمنع إرجافه:

الخطوة الأولى: اتخاذه عدوا، مع إعلان الإستنفار الدائم لمواجهته، وذلك امتثالا لقول الحق:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[1]، وهذه العداوة لها مستلزمات كثيرة، منها: الحذر منه؛ فهو دائم الترصد، ولا يفوت الفرص. وكذلك: عدم اتباع خطواته في اتباع الشهوات والباطل ومعصية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[2]، قال قتادة لمَّا سئل عنها:" كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان"[3]، فمن عصى الله العظيم فقد تنكب عن اتخاذ الشيطان عدوا.

ومن مستلزمات عداوة الشيطان أيضا: أن نحاربه ونحارب أولياءه، ولا نخشاهم، قال سبحانه:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾[4].

الخطوة الثانية: الاستعاذة بالله العظيم من شره، واللجوء إلى الله بأن يدفع كيده ويرده خاسئا، كما فعلت أم مريم، حيث قال الله تعالى عنها:﴿ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[5].

---

[1] فاطر: 6

[2] البقرة: 168

[3] ابن أبي حاتم، **تفسير القرآن العظيم** (1/ 281).

[4] النساء: 76

[5] آل عمران: 36

الخطوة الثالثة: إغلاق منافذ الشيطان، التي يرجف من خلالها نفسَ المسلم، فلا يترك المسلمُ لنفسه المجال ليعشش فيها الشيطان، ويُمنِّيها ويفتنها، فيهلكه، وهذه وصية الله تعالى لنا يقول فيها: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾[1]، ولنا أن نتبين ضعفه وضعف أمانيه التي يفتن بها الناس، ماذكر الله من وعده لجنوده بالنصر والدفاع عنهم، حيث قال سبحانه:﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾[2].

وهكذا كثير من الشر يلجم، وتفشل خطط الإرجاف التي نسجها إبليس وأعوانه، ولا عاصم لنا إلا الله الحافظ.

ثانيا: الظن الحسن بالله ورسوله والمؤمنين، مع زيادة التوكل عليه سبحانه.

إن الظن الحسن بالله تعالى ورسوله ﷺ والمؤمنين من وسائل مكافحة الإرجاف، كما قال عزَّ من قائل: ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾[3]، و"(لَوْلا) هنا حَرفٌ بمعنى (هَلَّا) للتوبيخ؛ كما هو شأنها إذا وليها الفعل الماضي، وهو هنا ظن المؤمنون"[4]، كيف لا يحسنون الظن والحديث يتعلق بالبيت الطاهر، وبعرض سيد المرسلين؟!، "نعم كان هذا هو الأولى... أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا. وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة... وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم. فظن الخير بهما أولى.

---

[1] الأعراف: 27

[2] الأنفال: 48

[3] النور: 12

[4] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (18/ 174).

فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله ﷺ ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيرا"[1]. وهكذا في كل مسلم ومسلمة، يجب إحسان الظن وتغليبه؛ فهو الأصل، واليقين لا يزول بالشك. فالمرجف يعتمد كثيرا على ضعف ثقة السامعين له بالله تعالى، وكذا ضعف ثقتهم ببعضهم. وبهذا الضابط يُمنع المرجفون من ترويج باطلهم وإرجافهم.

ولننظر _كمثال على حسن الظن وقوة الثقة بالله تعالى_ إلى ما سبق ذكره في الفصل الأول في قوله: ﴿ **ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴾[2]، فمثل هذا الإرجاف من شأنه أن يفتت جمع المؤمنين، ويلقي بالنواحي النفسية للجيوش في الحضيض، لكنَّ شيئا من ذلك لم يحدث، بل حدث النقيض منه، ازدادوا إيمانا وثباتا؛ فالإنسان إما أن يكون منصورا بإيمانه بالله تعالى، وإما أن يُخذل بكفره[3].

وهكذا علينا تذكير الناس بالله تعالى ومعيته لأهل الإيمان بالنصر والتأييد والكيد لهم، ومن ذلك تذكيرهم بما فتح الله على المؤمنين قديما وحديثا بِمَنِّه وفضله، حتى ترسخ ثقتهم بالله العظيم، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿ **وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا** كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴾[4].

ثالثا. تربية المجتمع المسلم على طلب الدليل.

إن تربية المجتمع المسلم على طلب الدليل والبرهان عند سماع الأخبار، منهج قرآني واضح، ومن ذلك عندما أشاع بنو إسرائيل _ إرجافا بأهل الإسلام_ أنه (لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى)، جاء رد الحكيم العليم: ﴿ **تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ**

---

[1] قطب، **في ظلال القرآن** (4/ 2501).

[2] آل عمران: 173

[3] انظر: **تفسير الشعراوي** (3/ 1875).

[4] الأعراف:137

صَٰدِقِينَ ﴾[1]، وهكذا أصَّل الله فينا طلب الدليل، حتى يدل على صدق القائل، وبخاصة ما كان له كبير الأثر على أمن الناس وأعراضهم ودينهم، فالطلب حينها يكون آكد، كما قال سبحانه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴾[2]؛ فحتى لا تحصل الندامة بإصابة المؤمنين بقتل أو سبي أو غيره _نتيجة لخبر مرجف فاسق_، على المسلم أن يتثبت ويتوقف في الأمر، ويطلب كشف حقيقته قبل الحكم عليه[3].

رابعا. تهديد المرجفين ووعيدهم.

استخدم القرآن الكريم أسلوب تهديد المرجفين، مما قد يلحق بهم من نتائج وخيمة في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾[4]. وكذلك تخويفهم من الإثم الأخروي، كما وعد سبحانه ابنَ أبي بن سلول بالعذاب العظيم، وهذا بدوره يُعدُّ رادعا لغيره عن تكرار فعله، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5].

والتهديد بالعقاب وسيلة ناجعة لذوي النفوس الضعيفة، والقلوب المريضة، التي لم تستحضر في قلوبها عظمة الله، فلا يردعها حينئذ إلا التلويح بالعقاب، فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾[6]، " ففيه الإشارة إلى إعمال السيف بعد إقامة الحجة، فإن لم تنفع الكتب تعينت الكتائب"[7]، وفي هذا يقول شيخ الإسلام

---

[1] البقرة: 111

[2] الحجرات: 6

[3] انظر: الخازن، **لباب التأويل** (4/ 178).

[4] الأحزاب: 60

[5] النور: 11

[6] الحديد: 25

[7] الشنقيطي، **أضواء البيان** (1/ 464).

ابن تيمية: " ومن سمع المواعظ والزواجر من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ فلم يرتدع ولم ينْزجر، استحق العقوبة البليغة التي تزجره عن فعل المنكرات وتعاطى المحرمات"[1].

خامسا. التربية الإيمانية لأصحاب النفوس المريضة.

كثيرا من الأنفس مهيأة للخوض في الفتن والاضطرابات؛ فخص القرآن الحكيم هذه الأنفس بتربية إيمانية خاصة، تقوم على تذكيرهم الدائم بتقوى الله تعالى، واستحضار عظمته، وكذلك بتهيأة الصحبة والبيئة المناسبتين لهم إيمانيا؛ فالبيئة الرذيلة تغريهم وتسول لهم المنكرات، ولذا جاء قول الله: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ **مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم** بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ **وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ** عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾[2].

المطلب الثاني: طرق القرآن وأساليبه في معالجة الإرجاف أثناء حدوثه وبعده.

سبق القول بأن الوقاية _بمنع حدوث الإرجاف_ خير من علاجه _أثناء وبعد حدوثه_، غير أن الكثير من الأنفس _المشبعة بحب الفتن حتى النخاع _ لا ينفع معها التخويف ولا التذكير ولا التلويح بالعصا، بل تتوق أنفسهم لخوض غمار الإرجاف، ولهذا كان لا بد من التعامل مع هذا الواقع أثناء وبعد الحدث، ومن ذلك:

الوسيلة الأولى. الامتناع عن سماع المرجفين.

الامتناع عن السماع للمرجفين أثناء خوضهم للأراجيف، حتى لا تروج أراجيفهم، وسيلة قرآنية لمعالجة الإرجاف، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله:﴿ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ **وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ** وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]، وهذا إخبار بمعنى النهي، إذ لو لم يكن هناك من يسمع لهم، لما استطاعوا بث الفتن بينهم. وفي هذا

---

[1] آل الشيخ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ت: 1293هـ): **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام** (الجزء الأول)، دار العاصمة، السعودية، ط/1، 1349هـ، (ص: 21).

[2] الكهف: 28

[3] التوبة: 47

حث لنا في اختيار الصاحب، وعدم صحبة المرجفين، وبخاصة في المواقف التي تحتاج إلى رفع الروح المعنوية، والتي تتأثر بالحالة النفسية للجنود.

فمن أبى إلا السماع، فلا أقل من أن يعود إلى الأصول التي سبق الحديث عنها _في المطلب الأول_ فينضبط بها، كالتثبت وحسن الظن والرد على المرجف، كما قال تعالى:﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1]؛ فمرة بعد مرة ينسدُّ هذا الباب، وينكفئ المرجف على ذاته ذليلا مكسورا مرعويا.

الوسيلة الثانية. مناقشة المرجفين.

دعا القرآن العظيم إلى مناقشة أهل الإرجاف بالحجة الداحضة، التي بها تزول الشبهات، ويزول كيد أهل الباطل، وهذا لا يكون إلا ممن حصَّل علما شرعيا يستطيع به الوقوف أمام شبهات المرجفين ودحضها؛ فهذا إبراهيم الخليل ﷺ يناقش قومه بالحجج العقلية الدامغة، لعلهم يرعوون عن الإرجاف في ذات الله، كما قال سبحانه: ﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ﴾[2]؛ فقد"جادل إبراهيم قومه في توحيد الله وبراءته من الأصنام، وكان جدالهم إياه قولُهم: إن آلهتهم التي يعبدونها خير من إلهه. قال إبراهيم: "أتحاجوني في الله"، يقول: أتجادلونني في توحيدي الله وإخلاصي العمل له دون ما سواه من آلهة، "وقد هدان"، يقول: وقد وفقني ربي لمعرفة وحدانيته، وبصّرني طريق الحقّ حتى أيقنتُ أن لا شيء يستحق أن يعبد سواه"[3].

الوسيلة الثالثة. مناصحة المرجف ونهيه عن الإرجاف.

كثيرا ما تؤثر النصيحة في نفس المرجف؛ فيصطلح أمره ويحسن حاله، فيصبح عنصرا صالحا منتجا، بعد أن كان مرضا خبيثا في جسد الأمة جاثما، وهذا ما يُستشفُّ من التحذير الوارد

---

[1] النور: 16

[2] الأنعام: 80

[3] الطبري، **جامع البيان** (11/ 488).

في قوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1]، فهذه "الآية ترشد إلى تقديم إصلاح الفاسد من الأمّة على قطعه منها، لأنّ إصلاح الفاسد يكسب الأمّة فردا صالحا أو طائفة صالحة تنتفع الأمّة منها"[2].

وفي هذا المقام يجب أن يبرز دور الدعاة المصلحين، فربما يكون المرجف من الجهلة المغرَّر بهم، أو من ضعاف الإيمان الذين ينتظرون مُصلحا يأخذ بأيديهم؛ فالمؤمن لا يخلو قلبه من الحب بأن يعود الخلق إلى إيمانهم، وترك باطلهم، كما كان ديدن حبيبنا ﷺ حيث روى سهل بن سعد_رضي الله عنه_ أنه سمع النبي ﷺ يقول يوم خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»، فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ، فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «**عَلَى رِسْلِكَ**، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ **لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ**»[3].

الوسيلة الرابعة. الرجوع إلى أهل الاختصاص.

دعانا القرآن الكريم إلى الرجوع إلى جهة الاختصاص لمعرفة الحق فى الأخبار والشائعات، وعلى المختصين بيان الحق فيها. ومن ذلك ما أخبر به سبحانه عن المنافقين الذين كانوا يتلقون أخبار السرايا، ويشيعونها قبل أن يتحدث عنها النبى ﷺ، وهو جهة الاختصاص، حيث قال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[4].

---

[1] الأحزاب: 60

[2] ابن عاشور، **التحرير والتنوير** (22\ 110).

[3] رواه البخاري، **صحيح**، كتاب: الجهاد والسير، باب: دُعَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ إِلَى الإِسْلاَمِ وَالنُّبُوَّةِ، (ح: 2942) (4/ 47)، وح: [2847، 3498، 3973] _ واللفظ له_، ومسلم، **الصحيح**، كتاب: فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: فضائل الإمام علي بن أبي طالب،(ح: 2406) (4/ 1872).

[4] النساء: 83

روى ابن عباس _ رضي الله عنهما_عن عمر_رضي الله عنه_ قوله: "لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، **وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ**،... قَالَ فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ، فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ، **أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ؟**،... فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ، فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرُبَةِ[1]،... فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ،... وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ، وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ، فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ، وَمَلَائِكَتَهُ، وَجِبْرِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا، وَأَبُو بَكْرٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ،... فَقُلْتُ: **يَا رَسُولَ اللهِ أَطَلَّقْتَهُنَّ؟** قَالَ: «لَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ، فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ، قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ»، فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَشَرَ فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْرًا، ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ، وَنَزَلْتُ،... فَقُمْتُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، فَنَادَيْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي، لَمْ يُطَلِّقْ رَسُولُ اللهِ ﷺ نِسَاءَهُ، وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ}، فَكُنْتُ أَنَا اسْتَنْبَطْتُ ذَلِكَ الْأَمْرَ"[2].

ولـيُلاحظ كيف أثَّرت إشاعة طلاق الرسول ﷺ لزوجاته على المجتمع المسلم، حتى أصابهم الإحباط. وكذلك موقف عمر _رضي الله عنه_ وتثبته من الخبر الذي عصف بالمدينة، وحكمته الثاقبة؛ حيث يظهر دورُ المصلحين في اختيار أفضل طرق العلاج.

الوسيلة الخامسة. معاقبة المرجفين بما يردعهم ويردع غيرهم، كما قال تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ ﴾[3]، وقد أخرجهم الرسول من المسجد وأبعدهم عن المدينة، ثم قاتلهم لاستمرارهم على إيذاء المسلمين بشتى الوسائل، وذلك

---

[1] "هِيَ كَالْغُرْفَةِ يُخْزَنُ فِيهَا الطَّعَامُ وَغَيْرُهُ": النووي، **شرح النووي على مسلم** (12/ 29).

[2] رواه مسلم، **الصحيح**، كتاب: الطلاق، بَابٌ فِي الْإِيلَاءِ، وَاعْتِزَالِ النِّسَاءِ، وَتَخْيِيرِهِنَّ وَقَوْلِهِ تَعَالَى: {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ}، (ح: 1479) (2/ 1105-1107)، بتصرف.

[3] الأحزاب: 60-61

في غزوة بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة. وفي هذا تنقية للصف المسلم من كل أسباب الإرجاف.

فقوله تعالى:" لنغرينّك بهم، أي: لنسلطنك عليهم، ولنخرجنهم من المدينة، ثم لا يجاورونك وتخلو المدينة منهم بالموت أو الإخراج... والاستثناء فيه لطيفة وهي أن الله تعالى وعد النبي عليه السلام أنه يخرج أعداءه من المدينة، وينفيهم على يده إظهارا لشوكته، ولو كان النفي بإرادة الله من غير واسطة النبي لأخلى المدينة عنهم في ألطف آنٍ [بقوله] كن فيكون، ولكن لما أراد الله أن يكون على يد النبي لا يقع ذلك إلا بزمان وإن لطف فقال: ثُمَّ لَا يُجاوِرُونَكَ فِيها إِلَّا قَلِيلًا وهو أن يتهيأوا ويتأهبوا للخروج. ثم قال تعالى: (مَلْعُونِينَ أَيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً)... أي: في ذلك القليل الذي يجاورونك فيه يكونون ملعونين مطرودين من باب الله وبابك وإذا خرجوا لا ينفكون عن المَذلّة، ولا يجدون ملجأ بل أينما يكونون يُطلبون ويُؤخذون ويُقْتَلون"[1].

فتنفيذ العقوبات المناسبة الرادعة كالعقوبة التي حددها الإسلام للإشاعة التي تتعلق بالأعراض، وهى حد القذف، حيث يُتهم البريؤون بالفاحشة من غير بيِّنة، كما قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[2].

وهذه العقوبات هي آخر العلاج؛ فهي تأتي بعد التخويف والتذكير بالله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك بعد التخويف بالعقاب الأخروي، حتى إذا لم يُجْدِ ذلك نفعا، لم يبق إلا العقاب الفعلي، فهو الدواء النافع لمثل هؤلاء.

ومن خلال الحديث عن الوسيلة الخامسة لمكافحة الإرجاف، سيستعرض الباحث مجموعة من الأحكام المتعلقة بالإرجاف والمرجفين_على شكل ملاحظات_، لها علاقة وطيدة في تحقيق

---

[1] الرازي، **مفاتيح الغيب** (25/ 184)، بتصرف.

[2] النور: 4

الردع وتخيف آثار الإرجاف، مستنبطها من القرآن الكريم، ومستنيرا بفعل الرسول ﷺ المطبق للأمر الإلهي، وبآراء العلماء وشروحهم لتلك الأحكام، **ومن ذلك:**

الملحوظة الأولى: الحكم الشرعي لمن أرجف بالمسلمين.

الإرجاف من المحرمات في الإسلام[1]، وقد نهى الله تعالى عنه، كما قال سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾[2]، فقد نص سبحانه صراحة على وجوب الانتهاء عنه، بل ورتب على عدم الانتهاء عنه عقوبة قاسية، منها قتالهم وإخراجهم وتشريدهم.

وقد ورد في السيرة أنه ﷺ أمر بحرق بيوتهم، حيث "بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ نَاسًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَجْتَمِعُونَ فِي بَيْتِ سُوَيْلِمٍ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ بَيْتُهُ عِنْد جاسوم[3]، يثبّطون النَّاسَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَبَعَثَ إلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بَيْتَ سُوَيْلِمٍ، فَفَعَلَ طَلْحَةُ. فَاقْتَحَمَ الضَّحَّاكُ بْنُ خَلِيفَةَ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ، فَانْكَسَرَتْ رِجْلُهُ، وَاقْتَحَمَ أَصْحَابُهُ، فَأَفْلَتُوا"[4].

ويعتبر الإرجاف من المحرمات التي يعاقب عليها الشرع عقوبة تعزيرية[5]، تختلف باختلاف نوع الإرجاف وأثره على المُرجَفين، وذلك إذا أقام على الإرجاف ولم ينته عنه كما نصت الآية السابقة.

ولا أدل على حرمته من قول الله تعالى عنهم: (لنغرينك بهم)، أي: " لنسلطنك عليهم فتستأصلهم بالقتل"[6]. فالإغراء: "أن تحمل المخاطب وتُحبّبه في أمر محبوب ليفعله، كما تقول

---

[1] انظر: القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (14/ 246)، وإلكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبا الحسن، الشافعي (ت: 504هـ)، **أحكام القرآن**، تحقيق: موسى علي وعزة عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2، 1405 هـ، (4/ 350).

[2] الأحزاب: 60

[3] "هو بئر جاسوم، ويقال جاسم بالجيم سبق في مسجد راتج شربه صلى الله عليه وسلم منها ولابن سبة وابن زبالة عن خالد ابن رياح أن النبي صلى الله عليه وسلم شرب من جاسوم": السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني (ت: 911هـ)، **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق: د/ محمد الجكيني، 2ج، _بدون سنة ولا طبعة_(2/ 432).

[4] ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت: 213هـ)، **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وغيره، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط/2، 1375هـ، 2ج، (2/ 517).

[5] الجصاص، **أحكام القرآن** (245/5).

[6] القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن** (14/ 246).

لولدك مثلا: الاجتهادَ الاجتهاد"[1]، وهذا ما أراده الله تعالى من الرسول ﷺ حتى حبب ورغب إليه قتالهم والتسلط عليهم، حتى قال بعدها سبحانه: ﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾[2]، وهذا الخبر بمعنى الأمر في قتلهم قتلا شديدا[3].

وأيضا أمر ربنا عز وجل أن يُجلَوا من المدينة في قوله: (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا)، وهذا فيه تنبيه منه سبحانه إلى أنه يجب انتزاع سبب الإرجاف من بين المجتمع المسلم؛ فهم أهل الكيد والفتنة، ويمثلون الداء العضال، الذي لا يستقيم حال الجسد إلا باستئصاله.

الملحوظة الثانية: حكم أخذ المرجفين للغزو، والقسمة لهم من الغنائم.

إن المرجفين الذين يتحدث الباحث عنهم هم الذين يُظهرون الإسلام، سواء كانوا منافقين أم ضيعفي الإيمان، ومن ثم فإنهم كانوا يعاملون معاملة المسلمين من حيث الحقوق والواجبات، ومن واجباتهم: الخروج للغزو ودفع الصائل وغيرها، وهناك بعض الأحكام المتعلقة بالمرجفين في الغزو، منها:

الحكم الأول: أوجب العلماء على الإمام قبل الخروج للغزو أمورا منها: أن يستعرض حال الجيش وعتاده وجنوده، وحالتهم النفسية وروحهم المعنوية، والتي من شأنها أن تكون سببا في هزيمة الجيش قبل بدء القتال.

ومن ثم لم يَجُز في الشرع للإمام أن يسمح للمرجف بالغزو مع الجيش[4]، إذا ظهر منه تخذيل تخذيل لهم، أو معاونة للكفار عليهم.

وقد استدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا

---

[1] **تفسير الشعراوي** (19/ 12176).

[2] الأحزاب: 61

[3] انظر: السعدي، **تيسير الكريم المنان** (1/ 671).

[4] انظر: الشافعي، أبا عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ)، **الأم**، دار المعرفة – بيروت، 1410هـ، 8 ج، (166/4)، والنووي، أبا زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: 676هـ)، **المجموع شرح المهذب**، دار الفكر، (طبعة كاملة معها تكملة السبكي والمطيعي)، (362\19)، وابن قدامة المقدسي، أبا محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي الحنبلي، (ت: 620هـ)، **المغني**، مكتبة القاهرة، 1388هـ، 10ج، (9/ 259)، والبهوتى، منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن الحنبلى (ت:1051هـ)، **دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات**، عالم الكتب، ط/1، 1414هـ، 3ج، (1/ 630).

﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1]، فهي إرشادات واضحة الدلالة على خطر خروج المرجفين إلى الغزو، ففيهم الضرر والإفساد وإيقاع الخلاف والفرقة بين المسلمين، وهذا شر مستطير، في أهم أوقات حفظ بيضة المسلمين.

يقول سيد قطب:

" «وَلكِنْ كَرِهَ اللَّـهُ انْبِعاثَهُمْ»... لِمَا يعلمه من طبيعتهم ونفاقهم، ونواياهم المنطوية على السوء للمسلمين كما سيجيء.«فَثَبَّطَهُمْ» ولم يبعث فيهم الهمة للخروج. «وَقِيلَ: اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ» وتخلفوا مع العجائز والنساء والأطفال الذين لا يستطيعون الغزو، ولا ينبعثون للجهاد. فهذا مكانكم اللائق بالهمم الساقطة والقلوب المرتابة والنفوس الخاوية من اليقين.

وكان ذلك خيراً للدعوة وخيراً للمسلمين:

«لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ، وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ». والقلوب الحائرة تبث الخور والضعف في الصفوف، والنفوس الخائنة خطر على الجيوش ولو خرج أولئك المنافقون ما زادوا المسلمين قوة بخروجهم بل لزادوهم اضطراباً وفوضى. ولأسرعوا بينهم بالوقيعة والفتنة والتفرقة والتخذيل. وفي المسلمين من يسمع لهم في ذلك الحين. ولكن الله الذي يرعى دعوته ويكلأ رجالها المخلصين، كفى المؤمنين الفتنة، فترك المنافقين المتخاذلين قاعدين"[2].

مسألة:

كيف نوفق بين القول بعدم جواز إخراج المرجفين إلى الغزو، وسماح الرسول ﷺ لهم بالخروج في كثير من الغزوات كأحد والخندق وتبوك؟.

ذكر الباحث في النقطة السابقة أن عدم إخراج المرجفين يكون عندما يظهر منهم الإرجاف، أما إذا لم يظهر فلا ضير في السماح لهم بالخروج، وعلى هذا يُحمل سماح الرسول ﷺ لهم بالخروج، وعليه يُحمل أثر الفاروق عمر _رضي الله عنه_ مع ضعفه، حيث قال: " نَسْتَعِينُ بِقُوَّةِ الْمُنَافِقِينَ وَإِثْمُهُ عَلَيْهِمْ "[3]، وقد قال البيهقي بعده: "وهذا **مُنقطع**. فإن صحّ **فإنما ورد في منافقين لم يعرفوا بالتّخذيل والإرْجاف** والله أعلم"[4]، هذا من ناحية.

---

[1] التوبة: 46-47

[2] قطب، **في ظلال القرآن** (3/ 1663)، بتصرف.

[3] أخرجه ابن أبى شيبة، **المصنف**، كتاب: الأمراء، باب: ما ذكر من حديث الأمراء والدخول عليهم، (رقم: 30653) (200/6)، والبيهقي، **السنن الكبرى**، كتاب: جماع أبواب صفة السوط، باب: التعدي والاطلاع، **وضعّفه للانقطاع**، (رقم:17652) (36/9).

[4] البيهقي، **السنن الكبرى** (36/9).

ومن ناحية أخرى: فإن كمال طاعة الصحابة _رضي الله عنهم_ لرسول الله ﷺ، وقوة إيمانهم، وكثرة عددهم، وعدم التفاتهم إلى تخذيل وإرجاف المرجفين، جعل أثر إرجافهم لا يكاد يُذكر بالمقارنة بمكاسب خروجهم مع الجيش، كتكثير سواد المسلمين، وإظهارهم بمظهر التوحد والانضباط،[1] أما بعد عصر الصحابة فأثر المرجفين أكبر، وإيمان الناس أقل، وسماعهم للمرجفين أكثر، ومن ثم فإن المسألة تدور على المصالح والمفاسد وترجيح إحداها على الأخرى، تبعا لرأي الإمام.

الحكم الثاني: القسمة للمرجفين من الغنائم.

ذكر الباحث فيما سبق أن المرجفين قسمان، أولهما: الذي يُظهر إرجافه، وهذا لا يُصطحب في الغزو أصلا، وثانيهما: الذي يخفي إرجافه، أو من أجاز له الإمام الخروج لمصلحة راجحة، وهنا يطرأ تساؤل: هل يأخذ هذا المرجف شيئا من الغنائم؟.

الجواب عليه: لا يجوز إعطاء المرجف من الغنائم لا سهما ولا رضخا[2]_إذا أظهر إرجافا بعدها_، حتى لو كان راكبا على فرس، فلا يُعطى فرسه شيئا؛ فإن السهم والرضخ ثمن لمشاركة الغازي أو معاونته للمسلمين في الغزو، أما المرجف فلم يقم بأي منهما، بل كان معيقا عنهما، ووجوده ضرر على نتائج الغزو، وهو إلى صف الأعداء أقرب.[3]

---

[1] انظر: العمراني، أبا الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي (ت: 558هـ)، **البيان في مذهب الامام الشافعي**، تحقيق: قاسم محمد، دار المنهاج _ جدة، ط/1421،1 هـ، 13ج، (12\116).

[2] الرضخ هو: "العطاء ليس بالكثير دون سهام المقاتلين وأصله مأخوذه من الشئ المرضوخ وهو المرضوخ المشدوخ": النووي، **المجموع شرح المهذب** (362/19).

[3] انظر: الشافعي، **الأم** (166/4)، ومجد الدين ابن تيمية، عبد السلام بن عبد الله بن الخضر، الحراني أبا البركات، (ت: 652هـ) **المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**، مكتبة المعارف– الرياض، ط/2، 1404هـ، ج2، (2/ 177)، والعمراني، **البيان في مذهب الإمام الشافعي** (12/ 217)، وابن قدامة، **المغني** (9/ 259)، والنووي، **المجموع شرح المذهب** (362\19).

الخاتمة

إن الباحث في القرآن عموما يشعر بالاستمتاع، وهو يكتشف شيئا من أسرار كتاب الله، عدا عن الطمأنينة التي تسكنُ النفسَ كلما نظر الباحث في كلام الله تعالى؛ فهي فرصة عظيمة لاهتبال الوقت في النظر والتدبر في أشرف الكلام وأصح المعاني والموضوعات.

ومن ثم فإني أتوجه للمنعم الكريم الوهاب بالحمد، باستحضار القلب لعظيم فضله، والسجود شكرا على كريم منِّه، واللهج باللسان على جزيل عطائه؛ في إنهاء هذه الدراسة وليس إكمالها؛ فالكمال لله وحده، والشعور بالنقص يلازمني، فما كان في هذه الدراسة من حق وصواب فمن الله وتوفيقه، وأما النقص والقصور فمن الشيطان ومن نفسي الأمارة بالسوء.

ومن النتائج التي توصل الباحث إليها في هذه الدراسة:

1. يحتاج المسلمون اليوم جدا لمثل هذه الدراسة وأمثالها_وبخاصة نحن في فلسطين الأسيرة_؛ فمعرفة أعداء الملة يُعدُّ أول أسباب العلاج، وأظهر مقومات النصر؛ فالدواء حتى ينفع المريض، يجب أن يسبقه تشخيص دقيق للداء وموطنه، ومعرفة المرجفين وبيان كيفية التعامل الشرعي معهم، لهو أول خطوة في اتجاه تحقيق المقاصد النبيلة.

2. ظهر للباحث أن الإرجاف لغة يرتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى الاصطلاحي؛ إذ إنه يقوم على الاضطراب الشديد الذي يلحقه المرجف في نواح مختلفة في حياة المسلم.

3. رجح الباحث أن الإرجاف يشمل كل من أحدث اضطرابا شديدا في نفس المسلم _باعتباره مسلما_، سواء كان منافقا، أو كافرا، أو مسلما ضعيف الإيمان، أو حتى إبليس_عليه من الله ما يستحق_، هذا من ناحية الأشخاص.

أما من ناحية سبب الاضطراب الذي يُحدثه المرجف؛ فيشمل _حسب ترجيح الباحث_ كل ما من شأنه أن يحدث اضطرابا شديدا في النفس، سواء كان بالإشاعة، أو بالفعل، أو بالنظر أم بغيره.

4. وردت المادة (رجف) في القرآن في ثمانية مواضع، في سبع آيات لخمس سور، كلها مكية إلا واحدة مدنية، وهذا يدل على أسلوب حكيم، ناسب فيه واقع أهل مكة المعرضين عن الصراط المستقيم، حيث ناسبهم أسلوب التخويف والترهيب، ببيان حال اضطرابهم يوم القيامة، سواء النفسي_ الناتج عن الخوف من سوء مآلهم_ أو المادي_بالرجفة والزلزلة الشديدة _، لعلهم يرجعون عن غيهم ويؤوبون إلى رشدهم.

5. ظهر أن هناك معان كثيرة في القرآن يظهر فيها الإرجاف جليا، ومنها: الإشاعة والتثبيط والتخذيل واللمز والهمز والنبز والإرهاب والتعويق؛ فهي إما وسائل أو نتائج لإرجاف المرجفين.

6. إن إبليس هو حامل لواء الإرجاف، وإنه سمي بالشيطان بعدما خرج عن طاعة الله واستكبر، ثم أخذ على عاتقه قيادة كل شر _ ومنه الإرجاف_ حتى قيام الساعة، مستخدما كل الوسائل المتاحة، من الكيد والوسوسة لآدم وزوجه، وإيحاء الشبه إلى أوليائه لمجادلة أهل الحق، وغيرها من وسائل.

7. ظهر أن أهل الكتاب والكفار عموما كانوا طلّاب إبليس بحقّ، وأنهم تفننوا بإرجاف أهل الحق؛ فما تركوا من باب للإرجاف إلا وولجوه، إما بوصفهم بما ينفر الناس عنهم، وإما بإرهابهم بالقتل والسجن وسلب الأموال، ومساومة الأنبياء بطرد الفقراء والعامة، حتى وصل إلى قتل الأنبياء.

8. يظهر من خلال الدراسة أن شر أصناف المرجفين هم المنافقون، وذلك ناتج عن أنهم تزيّوا بزي المسلمين، فلبّسوا على الناس حقيقتهم، وكذلك لأنهم يعيشون بين المسلمين، ويعرفون مكامن الخلل والضعف فيستغلّونه، ويظهر ذلك جليا في استغلالهم لحادثة الإفك، وغزوة أحد والخندق وتبوك.

9. يعتبر إخراج إبليس من الجنة _في حادثة السجود لآدم _ السبب الرئيس والمباشر للإرجاف في الحياة، وما دونه فرع عنه؛ كإقصاء أهل الإيمان عن السلطة لاستغلالها، ودفاع أهل الباطل عن باطلهم، وغيرها من أسباب.

10. تبين أن وسائل وطرق محاربة المرجفين متنوعة؛ فمنها ما يكون قبل وقوع الإرجاف، ومنها ما يكون علاجا له بعد وقوعه. وأولها هو التعامل مع المرجف الأول إبليس، بخطوات منها: إعلان الاستنفار الدائم في عداوته، وإغلاق منافذه التي يرجف من خلالها.

وثانيها حسن الظن بالله وبالرسول وبالمؤمنين، وكذلك طلب الدليل والبرهان عند سماع الأخبار، والامتناع عن السماع للمرجفين، ومناصحتهم، ومعاقبتهم وزجرهم والإغراء بهم.

11. ظهر من خلال الدراسة أن حكم الإرجاف محرم، وأنه كبيرة من الكبائر التي توعّد الله فاعلها بالعذاب في الدارين.

12. لا يجوز إخراج المرجف للغزو إذا كان ممن يظهر إرجافه، أما من لا يظهر إرجافه فلا بأس بإخراجهم كما فعل الرسول ﷺ في غزواته، لتكثير السواد وغيره من مصالح.

13. تبين أنه إن سمح الإمام للمرجف بالخروج للغزو معه ثم ظهر إرجافه فيها، فإنه لا يُقسم له بسهم ولا رضخ؛ لأنهما يكونان لمن ساعد المسلمين في غزوهم، أما المرجف فكان عقبة في وجه النصر.

14. إن الإرجاف اليوم تعددت صوره وتنوعت، وأخذ طابع المدنية والحضارة، مستغلا الثورة التكنولوجية العلمية في تعزيز قدرته وبطشه بالمسلمين.

15. تجدد الإرجاف العقدي اليوم بصورة العودة إلى العَلمانية، والتي تعني غير الدّين، ونتيجتها فصل الدين عن الحياة. ولم يكتفوا بالدعوة إليها، بل أرجفوا بأهل الحق قتلا وسجنا وتضييقا في الحياة عموما، ومن ذلك ما تفعله جمعيات التنصير والتبشير في العالم.

16. تبين من خلال الدراسة أن أصل مصطلح العَلمانية يرجع إلى العالَم والعالمية، وليس إلى العِلم، كما يروّج لها أتباع الحضارة الغربية.

17. ظهر للباحث أن السياسة بمفهومها الحالي تتعارض مع مفهومها الشرعي، حيث إنها تعني اليوم: المكر والخداع والكذب والحيلة على الخصم السياسي،؛ فالغاية تبرر الوسيلة فيها، بينما عُرفت في الشريعة بالسياسة الشرعية أو الأحكام السلطانية.

18. تبين أن الديمقراطية تناقض الإسلام، وذلك في توحيد الحاكمية لله تعالى، وأنها مصطلح غربي، يتكون من كلمتين معناهما: حكم الشعب للشعب، أو حكم الرّعاع.

19. ظهر بالأدلة الجلية التباين المطلق بين الديمقراطية والشورى، منها: أن الممثلين عن الشعب في الديمقراطية قد يكونون فاسقين بل كافرين، أو جاهلين، وأن لهم الحق والحرية الكاملة في الحكم، وتتحدد المصلحة فيها حسبما يريده الشعب، وغير ذلك من أدلة.

20. أن من الإرجاف الإعلامي اليوم: القنوات الفضائية، التي ترجف بأعراض المسلمين، وتنشر الرذائل، وتضخّم الأحداث، وتخذّل المسلمين وتثبطهم، بتهويل قوة أعدائهم.

21. أنه قد ظهر اليوم إرجاف اجتماعي، يقوم على تقديس العادات المناقضة للدين، باعتبارها واجبا عرفيا، ويُحلُّونها محل الواجبات الشرعية، كالاختلاط في الأعراس، وترك الصلاة والجلوس في بيوت للعزاء.

22. من أخبث أنواع الإرجاف الاجتماعي: إرجاف النساء بعرضهن، بحجة تحريرهنّ، فقاموا بنزع جلباب الحياء عن كثير من نسائنا، لتتسابق مع ما يُسمى ب(الموضة) والزينة المخزية.

23. ظهر من خلال الدراسة أيضا، الإرجاف العسكري، المتمثل ببث الهزيمة النفسية، بتهويل قوة الأعداء، والتثبيط عن قتالهم والإعداد لهم.

24. ظهر بشكل واضح جلي أثر الإرجاف، كما بينه القرآن الكريم، وكذلك ما أظهره واقع المرجفين في كل عصر، حتى يومنا هذا؛ حيث حلّت الهزيمة النفسية، وفُقدت الثقة بالله عز وجل، وتعاون المرجفون على أهل الإيمان، وسقط رموز وقادة، وتثبط الناس عن واجب الدفاع عن حمى وأعراض وأموال المسلمين.

وأما التوصيات التي يوصي بها الباحث:

أولا. تقوى الله وطاعته؛ فهما العاصمان من الزلل، وهما سبب فتح الله على الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾[1].

ثانيا. على أهل الإيمان معرفة أعدائهم المرجفين، والحذر منهم؛ فهم دائما ما يكيدون للإسلام وأهله.

ثالثا. على المسلمين العودة إلى كتاب ربهم _عز وجل_ وسنة نبيهم ﷺ؛ ففيهما يكمن الحل في التعامل مع المرجفين، ومعرفة كيدهم، ومعرفة صفاتهم.

رابعا. على حكام المسلمين تبني مشروع تحكيم الكتاب والسنة، وترك مناهج الغرب الكافر، وسياساتهم البعيدة عن تعاليم ديننا؛ فديننا كامل، وصالح لكل زمان ومكان، وعلينا ألا نجرب في المسلمين بضاعة الغرب المزجاة، ونترك ما يصلحهم من كلام رب العالمين.

خامسا. على المسلمين التأسي بالأنبياء الكرام؛ فالإرجاف سنة تناقلها الكفار جيلا بعد جيل، وهو يقع تحت باب الابتلاء، فعليهم بالصبر والتصبر.

سادسا. على الباحثين الاهتمام بالقرآن العظيم، دراسة وبحثا وتعليما؛ فعجائبه لا تنقضي، ولا يخلق على كثرة الرد، وهو زاخر بما يصلح البشرية، وهو صالح لكل زمان ومكان.

[1] البقرة: 282

فهرس الآيات الكريمة

الرقم	الآية	رقمها	اسم السورة	الصفحة
1	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	30	البقرة	61
2	﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾	33	البقرة	61
3	﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ ﴾	40	البقرة	52
4	﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ﴾	85	البقرة	117
5	﴿ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا ﴾	100	البقرة	87
6	﴿ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا ﴾	111	البقرة	162،91
7	﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ﴾	120	البقرة	116
8	﴿ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ ﴾	135	البقرة	122
9	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ﴾	168	البقرة	160
10	﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ ﴾	249	البقرة	94،39
11	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾	256	البقرة	119،86
12	﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ﴾	282	البقرة	174
13	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾	19	آل عمران	123
14	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ ﴾	36	آل عمران	160
15	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ ﴾	56	آل عمران	135

16	﴿ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ﴾	75	آل عمران	92
17	﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ ﴾	85	آل عمران	124
18	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن ﴾	100	آل عمران	89
19	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ ﴾	144	آل عمران	66
20	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا ﴾	156	آل عمران	36،108
21	﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ ﴾	160	آل عمران	37
22	﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	166	آل عمران	41
23	﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ ﴾	167	آل عمران	39،108
24	﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ ﴾	168	آل عمران	154،35،108
25	﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ﴾	173	آل عمران	32،161
26	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ ﴾	181	آل عمران	90،91
27	﴿ لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ ﴾	186	آل عمران	86،91
28	﴿ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ ﴾	25	النساء	27
29	﴿ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ ﴾	54	النساء	151
30	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ﴾	60 - 59	النساء	119 ،111
31	﴿ وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ ﴾	72	النساء	111
32	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي ﴾	76	النساء	160

32	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ﴾	83	النساء	166
33	﴿ فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا ﴾	84	النساء	94
34	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا ﴾	144	النساء	122
35	﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ﴾	21	المائدة	93
36	﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا ﴾	22	المائدة	38،93
37	﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ ﴾	23	المائدة	94
38	﴿ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن ﴾	24	المائدة	38
39	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا ﴾	25	المائدة	39
40	﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ ﴾	48	المائدة	124
41	﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ ﴾	49	المائدة	129
42	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن ﴾	54	المائدة	121
43	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ﴾	55 - 57	المائدة	120
44	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ ﴾	82	المائدة	52
45	﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ	57	الأنعام	118،130
46	﴿ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ ﴾	65	الأنعام	25
47	﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي ﴾	80	الأنعام	80،165
48	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ ﴾	82	الأنعام	27

49	﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ ﴾	121	الأنعام	68
50	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ ﴾	159	الأنعام	25
51	﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ ﴾	17-16	الأعراف	62،150
52	﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾	20	الأعراف	65
53	﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ﴾	27	الأعراف	160
54	﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ ﴾	78	الأعراف	15
55	﴿ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ ﴾	91	الأعراف	15
56	﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ ﴾	110	الأعراف	79
57	﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ ﴾	114-113	الأعراف	80
58	﴿ قَالَ ٱلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ ﴾	116	الأعراف	52،53
59	﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ ﴾	137	الأعراف	162
60	﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ﴾	154	الأعراف	52
61	﴿ وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ ﴾	155	الأعراف	15
62	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	36	الأنفال	123
63	﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾	48	الأنفال	161
64	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ﴾	60	الأنفال	50،52،145
65	﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ ﴾	12	التوبة	131

66	﴿ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ ﴾	**30**	التوبة	90
67	﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ ﴾	**31**	التوبة	53
68	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ﴾	**34**	التوبة	53
69	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾	**38**	التوبة	112
70	﴿ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ ﴾	**46**	التوبة	30،169
71	﴿ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا ﴾	**48 – 47**	التوبة	164،31،34،155
72	﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن ﴾	**49**	التوبة	106
73	﴿ وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	**58**	التوبة	43
74	﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ ﴾	**61**	التوبة	109،46
75	﴿ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ﴾	**67**	التوبة	33
76	﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا ﴾	**74**	التوبة	136
77	﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ﴾	**79**	التوبة	107،42،43،45
78	﴿ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ ﴾	**81**	التوبة	34
79	﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ ﴾	**86**	التوبة	153
80	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ﴾	**107**	التوبة	109
81	﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ ﴾	**114**	التوبة	120
82	﴿ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن ﴾	**27**	هود	44،81

83	﴿ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ﴾	**30**	هود	81
84	﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾	**67**	هود	22
85	﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي ﴾	**32**	يوسف	83،84
86	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا ﴾	**11**	الرعد	143
87	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	**13**	إبراهيم	153
88	﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ ﴾	**42**	إبراهيم	131
89	﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ ﴾	**10**	الحجر	26
90	﴿ وَٱلۡجَآنَّ خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ مِن ﴾	**27**	الحجر	61
91	﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ ﴾	**32**	الحجر	59
92	﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ ﴾	**36**	النحل	123
93	﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ﴾	**51**	النحل	51
94	﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾	**7**	الإسراء	144
95	﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ﴾	**22**	الإسراء	38
96	﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾	**70**	الإسراء	61
97	﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ﴾	**6**	الكهف	83
98	﴿ إِنَّهُمۡ إِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ ﴾	**20**	الكهف	96
99	﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ ﴾	**28**	الكهف	163

100	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ ﴾	50	الكهف	58،61
101	﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾	59	الكهف	135
102	﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ﴾	46	مريم	82
103	﴿ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ ﴾	47	مريم	82
104	﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ ﴾	69	مريم	26
105	﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴾	88	مريم	90
106	﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾	90-89	مريم	90
107	﴿ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا ﴾	57	طه	154
108	﴿ إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ ﴾	90	الأنبياء	52
109	﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن ﴾	18	الحج	80
110	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن ﴾	52	الحج	69
111	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ ﴾	38	المؤمنون	157
112	﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ ﴾	97	المؤمنون	43
113	﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ ﴾	4	النور	167
114	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ ﴾	11	النور	27،105،163
115	﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ﴾	12	النور	161
116	﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم ﴾	16	النور	164

117	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن ﴾	19	النور	65،25،27،135
118	﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾	49	النور	98
119	﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ ﴾	29	الفرقان	38
120	﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي ﴾	29	الشعراء	151
121	﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ ﴾	35	الشعراء	77
122	﴿ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ ﴾	49	الشعراء	79
123	﴿ فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ ﴾	95-94	الشعراء	60
124	﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾	4	القصص	26،153
125	﴿ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾	15	القصص	26
126	﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ ﴾	32	القصص	52
127	﴿ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ﴾	37	العنكبوت	15
128	﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾	32	الروم	26
129	﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ﴾	47	الروم	94
130	﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ ﴾	10	الأحزاب	156،112
131	﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ ﴾	12	الأحزاب	28،156
132	﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ﴾	13	الأحزاب	106
133	﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾	18	الأحزاب	152،54،107

134	﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا ﴾	33	الأحزاب	141
135	﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾	48	الأحزاب	19
136	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ ﴾	57– 58	الأحزاب	19
137	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ ﴾	59	الأحزاب	18
138	﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾	60	الأحزاب	11،15،17،162،16 168،167،4،166
139	﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟	61	الأحزاب	169
140	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ ﴾	69	الأحزاب	19
141	﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ ﴾	20	سبأ	60
142	﴿ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ﴾	54	سبأ	26
143	﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ ﴾	6	فاطر	160
144	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ ﴾	72–71	ص	61
145	﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن ﴾	75	ص	61
146	﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ ﴾	76	ص	62
147	﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾	78_77	ص	62
148	﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ﴾	83 – 79	ص	62
149	﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾	83	الصافات	26

150	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ﴾	**38**	الشورى	130
151	﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾	**23**	الزخرف	139
152	﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾	**38-36**	الزخرف	73
153	﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ ﴾	**7**	محمد	94
154	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ ﴾	**26**	محمد	156
155	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ ﴾	**6**	الحجرات	162،134
156	﴿ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ﴾	**11**	الحجرات	43
157	﴿ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم ﴾	**53-52**	الذاريات	76
158	﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ ﴾	**9**	القمر	77
159	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ ﴾	**51**	القمر	26
160	﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ ﴾	**15**	الرحمن	61
161	﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا ﴾	**11**	الحديد	90
162	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾	**25**	الحديد	163
163	﴿ وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ﴾	**27**	الحديد	52
164	﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ﴾	**10**	المجادلة	46،109
165	﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى ﴾	**13**	الحشر	52
166	﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	**4**	الممتحنة	120

167	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾	**8**	الصف	133
168	﴿ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴾	**11**	القلم	43
169	﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ	**14**	المزمل	15
170	﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴾	**6**	النازعات	15
171	﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴾	**4**	البروج	97
172	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	**10**	البروج	97
173	﴿ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴾	**11**	الليل	81
174	﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾	**1**	الهمزة	43

فهرس الأحاديث الشريفة

الرقم	طرف الحديث	رقم الصفحة
1	" وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُفَرَّجَنَّ عَنْكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْبَلَاءِ...	**28**
2	"أَلَا عِصَابَةٌ تُشَدِّدُ لِأَمْرِ اللَّهِ فَتَطْلُبُ عَدُوَّهَا فَإِنَّهُ أَنَكَى لِلْعَدُوِّ ..."	**32**
3	"إِنَ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلاَمِ النُّبُوَّةِ، إِذَا لَمْ تَسْتَحْ فَافْعَلْ مَا شِئْتَ"...	**34**
4	" إِذَا كَانُوا ثَلَاثَةٌ فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ"...	**46**
5	" إِنَّ الشَّيْطَانَ قَعَدَ لِابْنِ آدَمَ بِأَطْرُقِهِ، فَقَعَدَ لَهُ بِطَرِيقِ الْإِسْلَامِ"...	**62**
6	«أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا ...	**76**
7	" ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ...	**83**
8	" كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ،..."	**99**
9	"أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ..."	**103**
10	كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا"...	**104**
11	«إِنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوبَ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ»...	**107**
12	"أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ...	**124**
13	«كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ...	**126**
14	«بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»...	**138**
15	«مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»...	**140**

16	" أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ،...	**145**
17	«لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ»،...	**165**
18	"لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءَهُ، قَالَ..."	**166**

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولا. المصادر:

_ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد: **تفسير القرآن العظيم**. تحقيق أسعد الطيب. ط3. السعودية: مكتبة نزار الباز. 1419هـ.

_ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد: **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**. 7ج. تحقيق كمال الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد. 1409هـ.

_ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي: **سيرة ابن اسحاق (السير والمغازي)**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، ط/1، 1398هـ.

_ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. 5ج. تحقيق طاهر الزاوى ومحمود الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. 1399هـ.

_ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: **أسد الغابة**. بيروت: دار الفكر. 1409هـ.

_ابن الأثير، علي بن أبي الكرم: **الكامل في التاريخ**. 10ج. تحقيق عمر تدمري. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1417هـ.

_ابن بطال، أبو الحسن علي بن خلف: **شرح صحيح البخاري**. 10ج. تحقيق ياسر بن إبراهيم. ط2. الرياض: مكتبة الرشد. 1423هـ.

_ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **الفتاوى الكبرى**. ط1. دار الكتب العلمية. 1408هـ.

_ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **مجموع الفتاوى**. تحقيق عبد الرحمن بن محمد. السعودية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. 1416هـ.

_ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **المستدرك على مجموع الفتاوى**. 5ج. جمعه ورتبه: محمد بن عبد الرحمن. ط1. 1418هـ.

_ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم: **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**. 6ج. تحقيق علي بن حسن. ط2. السعودية: دار العاصمة. 1419هـ.

_ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد: **تحبير التيسير في القراءات العشر**. تحقيق د.أحمد القضاة. ط1. عمان: دار الفرقان. 1421هـ.

_ابن جماعة، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم: **كشف المعانى فى المتشابه من المثانى**. تحقيق د. عبد الجواد خلف. ط1. المنصورة: دار الوفاء. 1410هـ.

_ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد: **الثقات**. 9ج. ط1. الهند: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن. 1393هـ.

_ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد: **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**. تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. بيروت: ط2. 1414هـ. 18ج.

_ابن حجر، أحمد بن علي: **تقريب التهذيب**. تحقيق محمد عوامة. ط1. سوريا: دار الرشيد. 1406هـ.

_ابن حجر، أحمد بن علي: **الإصابة في تمييز الصحابة**. تحقيق عادل أحمد. دار الكتب العلمية. بيروت: ط1. 1415هـ. 8ج.

_ابن حجر، أحمد بن علي: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. 13مج. رقمه محمد فؤاد عبد الباقي. أشرف على طبعه محب الدين الخطيب. بيروت: دار المعرفة. 1379هـ.

_ابن حجر، أحمد بن علي: **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**. 19ج. تنسيق د. سعد الشثري. ط1. السعودية: دار الغيث. 1419هـ.

_ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد: **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم**. 3ج. تحقيق د. محمد أبو النور. ط2. دار السلام. 1424هـ.

_ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد: **حجة القراءات**. تحقيق سعيد الأفغاني. دار الرسالة.

_ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد: **التحرير والتنوير**. 30 مج و(ج 8 قسمين). تونس: الدار التونسية. 1984م.

_ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله: **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. 4ج. تحقيق علي البجاوي. ط1. بيروت: دار الجيل. 1412هـ.

_ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله: **أحكام القرآن**. 4ج. تخريج وتعليق: محمد عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1424هـ .

_ابن عطية، عبد الحق بن غالب: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. تحقيق عبد السلام عبد الشافي. دار الكتب العلمية. بيروت: ط1. 1422هـ.

_ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء: **مجمل اللغة**. 2ج. تحقيق زهير سلطان. ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1406هـ.

_ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء: **معجم مقاييس اللغة**. 6مج. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر. 1399هـ.

_ابن فورك، محمد بن الحسن: **تفسير ابن فورك** من أول سورة المؤمنون – آخر سورة السجدة. تحقيق علال بندويش (ماجستير). ط1. جامعة أم القرى السعودية. 1430هـ.

_ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: **تأويل مشكل القرآن**. تحقيق إبراهيم شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

_ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم: **غريب القرآن**. تحقيق أحمد صقر. دار الكتب العلمية. 1398هـ.

_ابن قدامة المقدسي، موفق الدين عبد الله بن أحمد: **المغني لابن قدامة**. 10ج. مكتبة القاهرة. 1388هـ.

_ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **الفروسية**. تحقيق مشهور بن حسن. دار الأندلس. السعودية: ط1. 1414هـ.

_ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**. 8ج. تحقيق سامي سلامة ط2. دار طيبة. 1420هـ.

_ابن الملقن، أبو حفص عمر بن علي: **التوضيح لشرح الجامع الصحيح لتوضيح لشرح الجامع الصحيح**. 36ج. تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي ط1. سوريا: دار النوادر. 1429هـ.

_ابن منظور، محمد بن مكرم: **لسان العرب**. 15مج. ط3. بيروت: دار صادر. 1414 هـ.

_ ابن الهائم، أحمد بن محمد: **التبيان في تفسير غريب القرآن**. تحقيق د. ضاحي محمد. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1423هـ.

_ابن هشام، عبد الملك بن هشام: **السيرة النبوية**. 2ج. تحقيق مصطفى السقا وغيره. ط2. مصر: مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1375هـ.

_أبو بكر الأنباري، محمد بن القاسم: **الزاهر في معاني كلمات الناس**. 2مج. تحقيق د. حاتم الضامن. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1412هـ.

_أبو بكر بن مجاهد، أحمد بن موسى: **السبعة في القراءات**. تحقيق شوقي ضيف. ط2. مصر: دار المعارف. 1400هـ.

_أبو حيان، محمد بن يوسف: **البحر المحيط في التفسير**. تحقيق صدقي جميل. بيروت: دار الفكر. 1420هـ.

_أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

_أبو عبيدة، معمر بن المثنى: **مجاز القرآن**. تحقيق محمد سزگين. مكتبة الخانجى. القاهرة: 1381هـ.

_الأبياري، إبراهيم بن إسماعيل: **الموسوعة القرآنية**. مؤسسة سجل العرب. 1405هـ .

_أحمد، بن محمد بن حنبل: **مسند أحمد**. 8ج. تحقيق أحمد شاكر. ط1. القاهرة: دار الحديث. 1416هـ.

_الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح: **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**. 9ج. إشراف: زهير الشاويش. ط2. بيروت: المكتب الإسلامي. 1405هـ.

_الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح: **صحيح الجامع الصغير وزيادته**. 2ج. المكتب الإسلامي.

_إسماعيل حقي، بن مصطفى الإستانبولي: **روح البيان**. بيروت: دار الفكر.

_الأصفهاني، الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**. تحقيق صفوان الداودي. ط1. دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشامية. 1412هـ.

_الألوسي، محمود بن عبد الله: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**. 16ج. تحقيق علي عبد الباري. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ.

_البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه**. تحقيق محمد زهير. دار طوق النجاة. ط1. 1422هـ. 9مج.

_البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو: **مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار**. 18ج. تحقيق محفوظ الرحمن زين الله وغيره. ط1. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم. (1988م – 2009م).

_البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**. 5ج. تحقيق عبد الرزاق المهدي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1420هـ.

_البقاعي، إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 22مج. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

_بنت الشاطئ، عائشة محمد علي: **التفسير البياني للقرآن الكريم**. 2مج. ط7. القاهرة: دار المعارف.

_البهوتى، منصور بن يونس: **دقائق أولي النهى لشرح المنتهى المعروف بشرح منتهى الإرادات**. 3ج. ط1. عالم الكتب. 1414هـ.

_البيضاوي، عبد الله بن عمر: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**. تحقيق محمد المرعشلي. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1418هـ.

_البيهقي، أحمد بن الحسين: **السنن الكبرى**. تحقيق محمد عبد القادر. ط3. بيروت: دار الكتب العلمية. 1424هـ.

_الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد: **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. تحقيق محمد معوض وعادل أحمد. دار إحياء التراث العربي. بيروت: ط1. 1418هـ.

_الجرجاني، علي بن محمد: **التعريفات**. تحقيق جماعة من العلماء. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1403هـ.

_الجصاص، أحمد بن علي: **أحكام القرآن**. تحقيق محمد صادق. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1405هـ.

_الخازن، علاء الدين علي بن محمد: **لباب التأويل في معاني التنزيل**. تحقيق محمد شاهين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1415هـ.

-الخليل، بن أحمد بن عمرو: **العين**. 8 مج. تحقيق د. مهدي المخزومي. دار ومكتبة الهلال.

_الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد ابن البيع: **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1،1990م، 4ج.

_ د. أحمد مختار عبد الحميد عمر: **معجم اللغة العربية المعاصرة**. بمساعدة فريق عمل. عالم الكتب. ط1. 1429هـ. 4مج.

_درويش، محيي الدين بن أحمد: **إعراب القرآن وبيانه**. 10مج. ط4. دمشق و بيروت: دار اليمامة ودار ابن كثير. 1415هـ.

_الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. 15ج. تحقيق د. بشار عوّاد. ط1. دار الغرب الإسلامي. 2003م.

_الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: **مفاتيح الغيب**. دار الكتب العلمية. بيروت:1421هـ. ط1.

_الرازي، محمد بن أبي بكر: **مختار الصحاح**. تحقيق يوسف محمد. ط5. بيروت: المكتبة العصرية. 1420هـ.

_رشيد رضا، محمد رشيد بن علي رضا: **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**. 12مج. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1990م.

_الزجاج، إبراهيم بن السري: **معاني القرآن وإعرابه**. 5ج. ط1. بيروت: عالم الكتب. 1408هـ.

_الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. 30مج. ط2. دمشق: دار الفكر المعاصر. 1418هـ.

_الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**. تحقيق محمد إبراهيم. ط1. 1376هـ. دار إحياء الكتب العربية. 4ج.

_الزمخشري، محمود بن عمرو: **أساس البلاغة**. 2مج. تحقيق محمد السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1419هـ.

_الزمخشري، محمود بن عمرو: **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**. 4ج. ط3. بيروت: دار الكتاب العربي. 1407هـ.

_السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. تحقيق عبد الرحمن اللويحق. مؤسسة الرسالة. ط1. 1420هـ.

_السمهودي، علي بن عبد الله: **خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى**. 2ج. تحقيق د. محمد الجكيني.

_ سيد قطب، بن إبراهيم: **في ظلال القرآن**. دار الشروق. ط9. 1980م.

_الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس: **الأم**. 8 ج. بيروت: دار المعرفة. 1410هـ.

_الشعراوي، محمد متولي: **تفسير الشعراوي _ الخواطر**. 20مج. مطابع أخبار اليوم، 1997م.

_الشنقيطي، محمد الأمين: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. بيروت: دار الفكر. 1415هـ.

_الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير**. ط1. بيروت: دار ابن كثير. 1414هـ.

_الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**. ط1. القاهرة: دار الصابوني. 1417هـ.

_الطبري، محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**. 11ج. ط2. بيروت: دار التراث. 1387هـ.

بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1392هـ.

_الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان**. 24مج. تحقيق أحمد شاكر. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1420هـ.

_العز بن عبد السلام، عبد العزيز بن عبد السلام: **تفسير القرآن**. 3مج. تحقيق الدكتور عبد الله الوهبي. ط1. بيروت: دار ابن حزم. 1416هـ.

_العسكري، الحسن بن عبد الله: **معجم الفروق اللغوية**. تحقيق الشيخ بيت الله بيات. ط1. قم: مؤسسة النشر الإسلامي. 1412هـ.

_العمراني، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير: **البيان في مذهب الامام الشافعي**. 13ج. تحقيق قاسم محمد. . ط1. جدة: دار المنهاج 1421هـ.

_الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**. 4ج. بيروت: دار االمعرفة.

_الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**. 6ج. تحقيق أحمد عطار. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. 1407هـ.

_الفراء، يحيى بن زياد: **معاني القرآن**. تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي. ط1. مصر: دار المصرية.

الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب: **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. 6مج. تحقيق محمد النجار. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. 1973 1996.

_الفيروزآبادى، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**. تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة. ط8. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1426هـ.

_القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد: **محاسن التأويل**. تحقيق محمد السود. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1418هـ.

_القرطبي، محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**. (20ج في10مج). تحقيق أحمد البردوني. ط2. القاهرة: دار الكتب المصرية. 1384هـ.

_قلعجي، محمد رواس وقنيبي، حامد صادق: **معجم لغة الفقهاء**. ط2.دار النفائس. 1408هـ.

_الكفوي، أيوب بن موسى: **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. تحقيق عدنان درويش. بيروت: مؤسسة الرسالة.

_الكيا الهراسي، علي بن محمد: **أحكام القرآن**. تحقيق موسى علي وعزة عطية. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية. 1405هـ.

_الماوردي، علي بن محمد: **النكت والعيون**. مج6. تحقيق السيد بن عبد المقصود. بيروت: دار الكتب العلمية.

_ مجاهد، أبو الحجاج ابن جبر التابعي: **التفسير**. تحقيق د. محمد عبد السلام. ط1. مصر: دار الفكر الإسلامي الحديث. 1410هـ.

_مجد الدين ابن تيمية، عبد السلام بن عبد الله: **المحرر في الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل**. ج2. ط2. الرياض: مكتبة المعارف. 1404هـ.

_المدخلي، إبراهيم بن محمد: **مرويات غزوة الخندق**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط\1، 1424هـ.

_المراغي، أحمد بن مصطفى: **تفسير المراغي**. 30مج. ط1. مصر: مكتبة مصطفى البابى الحلبي. 1365هـ.

_مرتضى الزَّبيدي، محمّد بن عبد الرزّاق: **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية.

_مسلم، بن الحجاج القشيري: **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم**. 5مج. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

_المطعني، عبد العظيم إبراهيم: **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**. 2مج. ط\1. مكتبة وهبة. 1413هـ.

_المطهر، بن طاهر المقدسي: **البدء والتاريخ**. مكتبة الثقافة الدينية. بور سعيد: 6ج.

_النحاس، أحمد بن محمد المرادي: **إعراب القرآن**، ط1. تعليق عبد المنعم إبراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية. 1421هـ.

_النسائي، أحمد بن شعيب: **المجتبى من السنن _ السنن الصغرى_**. 8ج. تحقيق عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية. 1406هـ.

_النووي، محيي الدين يحيى بن شرف: **المجموع شرح المذهب**، دار الفكر.

_النووي، محيي الدين يحيى بن شرف: **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. 18ج. ط2.

_الهروي، محمد بن أحمد: **تهذيب اللغة**. 8ج. تحقيق محمد عوض. ط1. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 2001م.

_الواحدي، علي بن أحمد: **أسباب نزول القرآن**. تحقيق عصام عبد المحسن. ط2. الدمام: دار الإصلاح. 1412هـ.

_وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية: **الموسوعة الفقهية الكويتية**. 45ج. ط2. الكويت ومصر: (1404 – 1427 هـ).

_الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان: **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ.

ثانيا. المراجع:

_ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**. 2ج تحقيق ناصر العقل. ط7. لبنان: دار عالم الكتب. 1419هـ.

_ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: **الصارم المسلول على شاتم الرسول**. تحقيق محمد عبد الحميد. السعودية.

_ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**. 2ج. تحقيق محمد البغدادي. ط2. بيروت: دار الكتاب العربي. 1416هـ.

_ابن القيم، محمد بن أبي بكر: **الوابل الصيب**. رابط: https://archive.org/stream/

_الأثري، عبد الله بن عبد الحميد: **الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة**. تقديم د. عبد الرحمن صالح. ط1. الرياض: مدار الوطن. 1424هـ.

_أجناس جولد تسيهر: **العقيدة والشريعة في الإسلام**_تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الإسلامي_. مصر: دار الكتب الحديثة. http://www.maaber.50megs.com.pdf.

_الألباني، محمد ناصر الدين بن الحاج نوح: **نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق**. ط3. المكتب الإسلامي. 1417هـ.

_بعض علماء نجد: **مجموعة الرسائل والمسائل النجدية** (الجزء الأول). ط1. السعودية: دار العاصمة. 1341هـ.

_البهنساوي، المستشار سالم علي: **تهافت العلمانية في الصحافة العربية**. ط1. مصر: دار الوفاء. 1410هـ.

_ حبنكة، الدكتور عبدالرحمن حسن: **أجنحة المكر الثلاث وخوافيها: التبشير، الإستشراق، الاستعمار**، دراسة وتحليل وتوجيه. مكة: دار القلم. 1403هـ.

_حبنكة، د. عبد الرحمن بن حسن: **كواشف زيوف**. ط2. دمشق: دار القلم. 1412هـ.

_الحقوي، أبو عبد الله خلدون بن محمود: **التوضيح الرشيد في شرح التوحيد** المذيل بالتفنيد لشبهات العنيد.

_الخالدي، د.محمود، **نقض النظام الديمقراطي**. ط1. بيروت: دار الجيل. 1984م. الرابط: http://www.waqfeya.com/book.php?bid=6687-pdf.

_الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج: **العلمانية وموقف الإسلام منها**. ط العدد 115. المدينة المنورة: الجامعة الاسلامية. 1422هـ.

_الرحيلي، حمود بن أحمد بن فرج: **تحصين المجتمع المسلم ضد الغزو الفكري**. الجامعة الإسلامية. المدينة المنورة: ط35. العدد (121). 1424هـ.

_ سفر الحوالي، د. سفر بن عبد الرحمن: **العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة**. دار الهجرة. أصل الكتاب: رسالة دكتوراة.

_ سفر الحوالي، د. سفر بن عبد الرحمن: **الكتاب: دروس صوتية** قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net

_د.عادل عبد الجبار: **الإرهاب في ميزان الشريعة:** www.saaid.net/Doat/adel/8.htm

_د.عماد الدين خليل: **أحقاد وأطماع التبشير في أفريقيا المسلمة**. ط2. القاهرة: دار المختار الإسلامي. 1979م.

_ سعيد عبد العظيم: **الديمقراطية قي الميزان**. ط2. الإسكندرية: 1410هـ. الرابط: https://archive.org/details/waq85970

_سيد بن إبراهيم بن قطب: **معالم في الطريق**. الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية.

_العفاني، أبو التراب سيد بن حسين: **أعلام وأقزام في ميزان الإسلام**. 2ج. ط1. السعودية: دار ماجد. 1424هـ.

_الفوزان، صالح بن فوزان بن عبد الله: **عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها** من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع وغير ذلك.

_كتاب: **قرارات المجمع الفقهي الإسلامي:** http://www.minshawi.com/node/766

_ كجك، مروان: من قصيدة له بعنوان: **(يا حابس الفيل)**، مجلة البيان، عدد: 35، 2012م.

_اللجنة العلمية بجمعية الترتيل: **العلمانية – الليبرالية – الديمقراطية – الدولة المدنية في ميزان الإسلام**. إشراف محمد عبد العزيز. ط3.

_مجموعة من العلماء والاختصاصيين: **أساليب مواجهة الشائعات**. أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية. ط1. الرياض: مركز الدراسات والبحوث. 1422هـ. رابط:
http://www.nauss.edu.sa/Ar/DigitalLibrary/Books/Pages/Books.aspx?BookId=575

_ محمد، بن عبد الوهاب بن سليمان: **الرسالة المفيدة**. تحقيق محمد المانع. رئاسة إدراة البحوث العلمية والإفتاء.

_محمد، بن قطب بن إبراهيم: **كيف ندعو الناس**. ط3. القاهرة: دار الشروق. 1424هـ.

_محمد عبدالرحمن عوض: **أخطار التبشير في ديار المسلمين**. مصر: دار الأنصار.

_منير شفيق: **الإسلام ومواجهة الدولة الحديثة**. ط3. بيروت: دار البراق. 1412هـ.

_موقع **ويكيبيديا**. رابط: http://ar.wikipedia.org/wiki

An - Najah National University

Faculty of Graduate Studies

The Shuddering AKoranic Study

by

Hamzah Abed AL.Fatah

Supervisor

Dr. Mohsen Samih Khalidi

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An – Najah National University, Nablus, Palestine .

2015

The Shuddering AKoranic Study

by

Hamzah Abed AL.Fatah

Supervisor

Dr. Mohsen Samih Khalidi

Abstract

The thesis has embedded four chapters, an ending and three indexes as follow:

Chapter 1:

The" False rumors", and its koranic context semantic whereas the researcher made a link between the lingual meaning of " false rumors" within the idiomatic meaning and he made a bound in the koranic context to the extend that he made an expansion of the subjects which share the meaning of the "false rumors".

Chapter2:

Mentioning the false rumors and manifesting their means ;hence , the researcher has traced those who spread rumors among the people of right since the beginning of the caliph where Lucifer rumored Adam, people of the book , polytheists and hypocrites in the prophetic era up to the false rumors in our era, illustrating their positions who rumored the people of the book.

Chapter 3:

The False rumors between the past and the present

The researcher has treated with the modern forms of the "false rumors" regarding the religious , political , media , social and military aspects, where it was combined with the Koranic verses , treated its ancient forms.

Chapter 4:

The causes of false rumors and the means of its confrontations well as its orders.

The researcher has investigated the causes of the false rumors and the deprivation as well as the confrontation means through the Quranic verses and the various stances which occurred with our hearty prophet Mohammad (PBUH).

At last, the thesis has included the utmost results and the recommendations accompanied by three indexes:

The first index: the Holy Verses.

The second index: Hadeath Sharif.

The third index: Resources and References.

a